

د. صابر طعيمة

الأصول العقلية للإمامية

دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة

- | | |
|---------------------------------|---|
| ● الإمام الغائب ومتى يجيء | ● التناقض السياسي والمذهبي في تاريخ إيران |
| ● كربلاء أقدم من الكعبة | ● أثر اليهودية في المنهج الإمامي |
| ● زواج المتعة وقصته المخزية | ● الإمامة عند الشيعة |
| ● المتعة وكيف تكون وكيف تتحقق | ● النبوة لم تنته عند الإمامية |
| ● الحلال والحرام في نكاح المتعة | ● الإمامية ومنهج العنف |
| ● مزاعم حب آل البيت وزيفها | ● عقيدة الشيعة في القرآن |
| ● الخمس عند الإمامية | ● براهين على قول الإمامية |
| ● أهم العبادات عند الإمامية | ● نماذج من تحريفهم القرآن الكريم |

مكتبة مدبولي

الأصول العقديّة للإمامية
دراسة نقدية لمقائد غلاة الشيعة

الكتاب : الأصول العقدية للإمامية
دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة
المؤلف : الدكتور / صابر طعيمة
الطبعة : الأولى عام ٢٠٠٤
الناشر : مكتبة مدهولى ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
الإخراج والتنفيذ : مكتب النصر للجمع والتصوير
القاهرة - تليفون ٨٧٦٣١٩٩
رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٥٧٤٦
الترقيم الدولي : ٩٧٧-2١١8-447-3

الأصول العقديّة للإماميّة

دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة

تأليف

الدكتور صابر طعيمة

الناشر

مكتبة مدبولي

2004

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٩	المقدمة
١٣	التناقض السياسي والمذهبي في تاريخ إيران
١٧	أطماع الدولة الصفوية
٢٢	ظهور الخمينية السياسي
٢٤	الخمينية بين المذهبية والثورية
٢٨	ال جذور العقيدة والتاريخية للإمامية
٢٨	اليهود وعقائد الإمامية
٣٣	أثر اليهودية في المنهج الإمامي
٤٤	التشبيه والتجسيم
٥٣	البداء عند الإمامية
٥٨	الرجعة عند الإمامية
٦٥	عقيدة الوصي
٦٩	الإمامة عند الشيعة
٧٣	وجوب نصب الإمام وتعيينه
٧٣	باب معرفة الإمام
٨١	باب أن الأئمة هم الهداة
٨٩	الأئمة ولادة الأمر وهم الناس المحسودون
٩٠	مفتريات الإمام الكليني حول الأئمة
٩٨	الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم
١٠٠	باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان : إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار
١٠١	باب أن القرآن يهدي للإمام

الموضوع	الصفحة
الأئمة ورثة العلم يورث بعضهم بعضاً	١٠٦
الأئمة ورثة علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء	١٠٧
لم يجمع القرآن إلا الأئمة، وأنهم يعلمونه كله	١١١
باب نادر فيه ذكر الغيب	١١٢
الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا	١١٦
الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون	١١٧
وجوب عصمة الإمام	١٢٤
أكذوبة عصمة الإمام	١٣٠
النبوة لم تنته عند الإمامية	١٣٣
الخومنية والمذهب الإمامي	١٣٨
دستور الحكومة الإسلامية	١٤١
الإمامية ومنهج العنف	١٤٣
حقيقة المأساة	١٤٤
نماذج الغلو العقدي في مذهب الخوميني	١٤٤
إلغاء بعض مقررات المذهب على يدي الخوميني	١٥٣
المذهب السياسي في فكر الخوميني الديني	١٥٦
الإمام الخوميني يحب إراقة الدماء	١٦٠
الهوميني كان شيوعي الهوى	١٦٤
العقائد التي أحيها الخوميني	١٧٢
مأثورات عند أئمة الخوميني	١٧٥
عقيدة الشيعة في القرآن	١٨٠
الخميني والمذهب والقول بتحريف القرآن	١٨٦
ما الذي يراه المحدثون في القرآن الكريم	١٩٢

الموضوع	الصفحة
براهين على قول الإمامية بتحريف	١٩٥
نماذج من تحريفهم القرآن الكريم	٢١٠
التطاول على قدره ﷺ	٢١٦
الإمام الغائب ومتى يجيء	٢٢٤
كربلاء أقدس من الكعبة	٢٢٨
زواج المتعة وقصته المخزية	٢٣٧
نكاح المتعة في تراث الإمامية	٢٣٩
اضطراب الأئمة في رواية نكاح المتعة	٢٤٦
المتعة وكيف تكون وكيف تتحقق	٢٤٩
الحد الأدنى لزمان المتعة	٢٥١
الحلال والحرام في نكاح المتعة	٢٥٤
حب أهل بين النبي ﷺ	٢٦٧
مزاعم حب آل البيت وزيفها	٢٧١
أهم العبادات عند الإمامية	٢٨٨
الزكاة والخمس في الفقه الإمامي	٢٩٧
الخمس عند الإمامية	٢٩٩
أدلة دفع الخمس عند الإمامية	٣٠٣
الخمس في الكتاب والسنة	٣١٠
الشيعة وكلام أبي يوسف في المعدن والركاز	٣١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

منذ أكثر من عشرين عاماً فرغت من جمع ودراسة مفردات وقضايا هذا الكتاب وكنت أتريث وأتردد في طبعه وعرضه على الدارسين والباحثين بأمل أن تقع تجاوزات وتصحيحات عقدية وفكرية من قبل علماء الإمامية المعاصرين تماثل ما يقع أحياناً من قبل رجال السياسة والأحزاب الإمامية من شجب ورفض بل ومقاومة أحياناً إذا ما تجاوزت القوى المعادية للعرب والمسلمين خطوط الحوار واعتمدت العدوان والحديد والنار سبيلاً للأطماع والسيطرة، لكن الذي انتهينا إليه هو أن النضال السياسي والكفاح المسلح إن وقع من قبل الإمامية ضد أعداء الأمة فذلك لأنه يتكئ على روح الجهاد في الإسلام ومن خلال التنظيمات الحزبية وروابطها الفكرية ولا أثر ذا شأن لقواعد المذهب وعقائده ومقالاته في شحذ الهمة وتعبئة المشاعر أي أنه لا معنى للانتظار إلى ما لا نهاية له لكي تتعاقب عقائد المذهب مع مواقف السياسة والتضحية أحياناً .

وعلى الرغم من ظهور كتابات نقدية وتصحيحية لبعض أئمة المذهب المعاصرين من أمثال السيد موسى الموسوي والسيد حسين الموسوي والسيد أبو الفضل ابن الرضا البرقي إلا أنها تمثل رجعة إلى الحق من قبل أصحابها فقط وردة عن المذهب وعقائده ولذا فإنهم مجرّمون ومجروحون من قبل الغالبية العظيمة من أئمة المذهب وعلمائه والعوار الذي كشفه بعض الأئمة والزيغ الذي فضحوه لم يلق ترحيباً وتقديراً إلا من أهل السنة ومن ثم باتت الدعوة إلى التصويب والتصحيح ورفض المدسوس من الغلو في الناس والعقائد لا تلق اهتماماً ولا ينظر إليها كدعوة للحوار من قبل علماء ليسوا أعداءً للمذهب على امتداد عمرهم

وارتباطهم الديني والعائلي ويتفق في ذلك الرفض المصلحون والمحافظون من سدنة الحكم والفتيا في قيادة المذهب ومرجعياته وهم إذا أجازوا الحوار والاختلاف في وسط الفئات والقطاعات والقوى التي قيل عنها المصلحون والمحافظون. فهو فيما يتعلق بالعمران والتنمية وعلاقات الجوار أو العلاقات الدولية والاقتصادية أما الاقتراب من الغلو العقدي الذي أوشكت بعض شعائره وطقوسه بسبب منافاتها للفطرة أن تذوب وتتلاشى كالاعتقاد مثلاً بعصمة الإمام وجواز نكاح المتعة وغيرهما من العقائد فإن الواقع السياسي والاحتكاك الحضاري جعل الكثير من المؤمنين بالمذهب وقواعده يرفض ذلك اللون من الاعتقاد ذلك أن الاقتراب الفكري أو العقدي من قبل بعض أئمة المذهب لنسخ مثل هذه العقائد يعتبر دخولاً إلى منطقة : (الحرام) بل وشروعاً عند القوم في الدخول إلى الكفر وهذا ما يجعل من التصحيح والدعوة إليه عملاً غير مأمون ولا مأمول .

وهذا الكتاب (الأصول العقدية للإمامية) محاولة لمساندة ودعم مواقف دعاة التصحيح من علماء المذهب الذين خرجوا على الغلو فيه واستنهاض همم مخالفيهم من سدنة المذهب ودعاته وأئمة وذلك من خلال عرض مقالات المذهب وعقائده من المصادر القديمة والحديثة لأئمتهم الذين يجلونهم وينظرون إليهم كمراجع بعين الاعتبار والتقدير.

وفي إيجاز تناولنا التاريخ السياسي لإيران كشعب متعدد الانتماءات خاصة حين قامت الدولة الصفوية ذات الانتماء السياسي للمذهب ثم قبل أن نعرض لأهم العقائد الإمامية تناولنا ظهور الخمينية كتيار انبعاثي للمذهب وقواعده في إطار ثوري، وكان مما لا بد منه بيان التأثير والتأثير الذي شاب عقائد الإمامية من الأمم والعقائد القديمة كاليهودية التي أسهمت في تغذية بعض المقالات الإمامية كالقول بالتشبيه والتجسيم، والبداء، والرجعة والوصي والولي ونكاح المتعة ذات الأثر الأجنبي بعد نسخها في الإسلام ولما كان أئمة المذهب والمراجع العظمى لعقائده من أمثال الشيخ الكليني، والقمي، والطبرسي، والطوسي، والمفيد، ومحمد رضا المظفر، والنوبختي، والنعماني، ونعمة الجزائري، والكاشاني وغيرهم كثير قد

تناولوا من عقائد المذهب وتفسيره وعرض أحكامه بالتأويل والوضع والاقتباس مقالات سندها ومنتها مضطرب ومتناقض مما يخالف ما عليه جمهور أمة الإسلام من فهم وفقه لكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ فقد تناولنا معظمها بالعرض والنقد وبيان وجه الفساد فيها على ضوء منهج يتكئ على ما هو قطعي الثبوت قطي الدلالة، وتوسعنا في قضايا بعينها لأثرها السلبي على مستقبل ووحدة أمة المسلمين تلك القضايا التي كثر الكلام حولها في الحقبة الأخيرة مثل قول أئمة المذهب: بالبداء والرجعة وتعيين الإمام في القرآن والقول بتحريف القرآن بالزيادة والنقصان والقول بوراثنة الأئمة لعلم الأنبياء ما كان وما يكون، وكذا الاعتقاد بأن كربلاء أقدس من الكعبة وقولهم باستمرار عقيدة (التقية) وإباحة وجواز نكاح المتعة وتوسعهم في قواعد أخذ الأئمة للخمس من المال فوق الزكاة والصدقات وغير ذلك مما امتلأت به مصنفات الأئمة حول المذهب وقواعده وعقائده. واستنباط الدليل الذي اعتمدوه ومناقشته والرد عليه في ضوء الكتاب والسنة وفهم وفقه خير الناس في خير القرون أملين أن تكون هذه الدراسة دعوة لحوار هادئ لا يؤمل فيه أن يتنازل أهل الكتاب والسنة عن بعض ما يؤمنون وأن يدرك غيرهم مخاطر التأويل والتحريف والوضع على مستقبل أصحاب القبلة الواحدة .

هذا ونرجو الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى وأن يجعله في موازين أعمالنا وأن يغفر ما قد قصر الجهد دونه . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المؤلف

التناقض السياسي والمذهبي في تاريخ إيران

شعب إيران الذي تقبل الإسلام فترة لا بأس بها من التاريخ الإسلامي العام والذي أخرج للعالم الإسلامي نخبة من أبر وأطهر العلماء الذين خدموا دين الله بصدق ومسئولية ، منذ قهر التتار المغول العالم الإسلامي تعرض لموجات من الغزو العقدي والمذهبي عمقت فيه جذور المذهبية الشعبوية وأحييت نعمة الجنس الفارسي التي كانت قد خبت بنور الإسلام.

ونود هنا في هذه العجالة أن نشير إلى حقيقة تتصل بمسار علم العقائد والمذاهب بين الأمم والشعوب وهي أن الفرس أو غيرهم من الأمم التي يمكن أن تتخلى عن عقيدتها سواء أكانت تلك العقائد الجديدة تمثل الحق والخير والعدل أو كانت على غير ذلك لا يستطيعون تحت تأثير الدين الجديد أن يتخلصوا من رواسب الاعتقاد السابق، اللهم إلا تلك الصفوة من الخلق التي يريد الله بها مثلاً إعلاء كلمة الله وإظهار دينه كآية من آياته سبحانه في هداية الناس، أما القاعدة فهي أنه من العسير أن يمحو الجديد القديم كلية ومن هنا نخطئ كثيراً إذا تصورنا أن انتقال الفرس من أديانهم السابقة محاسناً تصوراتهم السابقة عن نظام الحكم .. فمثل هذا الظن تأباه علوم التاريخ والاجتماع السياسي ، كما أن تاريخ الأديان والمذاهب والدعوات يرفض مثل هذه الافتراضات الساذجة، فالشعوب عندما تعتق الدين الجديد تبقى في وجدانها آثار من المعتقدات السابقة، حتى المخلصون منهم في اعتناقهم الإسلام، لم يبرأوا تماماً من تقاليدهم وتراثهم السالف، ويظل القديم والجديد يتفاعلان فترة قد تطول أو تقصر حسب درجة الوعي والاستنارة. وعلى هذا الأساس الواقعي انتقل الفرس إلى الإسلام وهم يحملون في صدورهم تصوراً مطبوعاً حول نظام الحكم مستمداً من عقائدهم الدينية. وفي هذا يقول أحمد أمين رحمه الله: أن الفرس كانوا ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية اصطفاها الله للحكم بين الناس ، وخصهم بالسيادة وأيدهم بروح من عنده ، فهم ظل الله في

أرضه، أقامهم على مصالح عبادته، وليس للناس قبلهم حقوق والملوك على الناس السمع والطاعة ، وهو معنى يشبه ما عرف في أوروبا بنظرية الحق الإلهي، التي سادت في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وينقل أحمد أمين عن الأستاذ (بسون) قوله: لم تعتق نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الملوك الساسانية، وقد كان الأكاسرة يزعمون أن لهم الحق وحدهم في أن يلبسوا تاج الملك بما يجرى في عروقهم من دم إلهي.

بهذا المفهوم السياسي الموروث اعتنق الفرس الإسلام، فكان من طبيعة الأمور أن ينفروا من المنهج الذي جاء به الإسلام للنظام السياسي، ونظرته إلى الحكام من حيث أنهم بشر عاديون ليس لهم على الناس أكثر من حق الطاعة ما أقاموا أمر الله حتى ولو كان الحاكم عبدا حبشيا على رأسه زبيبة، كما هال الفرس أن نزع الإسلام من الحاكم الحصانة أو العصمة وقرر حق محاسبته إذا أخطأ، وعزله إذا انحرف ولذلك ظل الفرس محافظين على نظريتهم المقدسة إلى الحكام، وظلت تعاليم زرادشت تعمل في تشكيل نظرتهم السياسية وتطبعهم بطابعها القوي. وكان زرادشت الذي ظهر في منتصف القرن السابع قبل الميلاد يرى أن تتمثل الزعامتان الدينية والسياسية في البيت الحاكم والزعيم المقدس الذي تجرى في عروقه الدماء النبيلة، ويظل الحكم بالتوارث في هذا البيت حفاظا على وحدة الدولة وقوتها ، فإذا اندثرت القبيلة أو انهدم البيت وتصدع الملك، فعلى الفرس أن يتطلعوا إلى ظهور الإمام الذي سيأتي في آخر الزمان ليحيي العدل ويميت الجور، ويرد السنن المقلوبة إلى أوضاعها الأولى. والذي تنقاد له الملوك، وتتيسر له الأمور، وينصر الدين الحق.

وعندما ما دخل الإسلام إيران اصطدم بهذه الأفكار السياسية المختلطة بالمعتقدات الوثنية وقد كان من الصعب اقتلاع هذه الأفكار الراسخة في النفسية الإيرانية منذ عشرة قرون ، كان آخرها القرون الأربعة التي انفردت فيها عائلة آل ساسان بحكم البلاد فظهرت آثارها في العهد الإسلامي في صورة (التشيع) التي تقوم على الحق الوراثي للأئمة ورفض فكرة الاختيار الشعبي للحاكم، فإذا كانت

فكرة انتخاب الخليفة جاءت متمشية مع ديمقراطية المسلم العربي، ألا أنها لم تظهر في نظر الفرس إلا بمظهر ثوري غير مطابق لطبيعة الأشياء، ولذلك اعترضوا على الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول. وعندما انهار بيت الملك الساساني تحت معاول المسلمين، كان على الفرس أن يصطنعوا بيتا شريفا في ظل الإسلام يدينون له بالولاء، ويتلمسون لأنفسهم إماما يحقق لهم أحلامهم في إقامة العدل، ومقاومة الظلم، رغم أن الإسلام حقق لهم - ولغيرهم من الشعوب المقهورة - فوق ما كانت تتمناه من الرفعة والأمن والتحرر من الطغيان، ولكنها قوة المؤثرات القومية التي تقف أحيانا في مواجهة العقيدة الدينية - ووجد الفرس ضالتهم في البيت العلوي، فتشيعوا له في مواجهة البيوتات الأخرى، وجعلوا من علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - المنارة التي يلتفون حولها لتهديهم إلى الحلم القديم، وقد جمع الإمام كل مناقب الشرف والنبل والشجاعة والبلاغة، فهو ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته الغالية فاطمة الزهراء وأبو سبطيه الحبيين الحسن والحسين فكان على الفرس أن يصطنعوا لأنفسهم نسبا إلى هذا البيت الشريف ليكون لهم - عن طريق هذا النسب - حق إحياء العرش الفارسي الذي يجمع بين شرف الدين وعراقة الأصل، ووجدوا ضالتهم في علي زين العابدين بن الحسين من زوجته الفارسية (سلافة) بنت الملك يزجرد التي دخلت إلى المحيط الإسلامي في آخر معركة من معارك الفتح الإسلامي لإيران، وهى معركة (جلولاء) حين فر الملك (يزجرد) يائسا من القتال ليلقى مصرعه في أحراش الهضبة الإيرانية، تاركا وراءه ثلاثا من بناته وقعن سبايا في أيدي الفاتحين المسلمين، فانتقلن مع الأسرى إلى المدينة المنورة حسب تعليمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليجرى توزيعهن على الجند وفقا لنظم الحرب في ذلك العصر وأوشك عمر أن يطبق على الأميرات الثلاث منهجه في التسوية وتوزيعهن على عامة الجند دون اعتبار لمسألة الحسب والنسب. ولكن علي بن أبي طالب - المستشار الصدوق لأمير المؤمنين - اعترض على هذه القسمة التي لا تناسب مكانة بنات الملوك، وأشار على الخليفة أن يجرى توزيعهن على أبناء كبار الصحابة الذين يعرفون للناس أقدارها، واستجاب عمر لنصيحة مستشاره، فكانت الأولى من نصيب محمد بن أبي بكر الصديق وقد

أنجبت منه ولدهما عبد الرحمن ، وكانت الثانية من نصيب عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد أنجبت منه ولدهما سالم، وكانت الثالثة من نصيب الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وقد أنجبت منه ولدهما علي (السجاد) المشهور بزين العابدين لورعه وتقواه ، والذي شهد - طفلا - مع أبيه منبحة كربلاء، وأفلت منها بأعجوبة.

كانت كربلاء (سنة ٦١ هـ) صدمة لكل المسلمين في بقاع العالم الإسلامي ، بل كانت صدمة للضمير الإنساني في كل بقاع الأرض، كما أنها كانت ذات تأثير عميق من الناحيتين النفسية والسياسية لدى عناصر الشيعة التي كانت قد بدأت تتكاثر، واستغلت هذا المناخ العناصر الباطنية المقهورة بفكرها وظلمها وظلامها بعد أن حجبها عن الخداع نور الإسلام

ويرى المؤرخ "بروكلمان" أن الطريقة التي مات بها الحسين قد عجلت في عملية التطور الديني للشيعة ، فقد أذكت روح التشيع وجعلتهم يوحّدون صفوفهم السياسية حتى يستطيعوا أن يكونوا قوة فعالة في الميدان السياسي وهذا هو ما حدث بالفعل إذ قد تحول بسرعة التشيع إلى ظاهرة سياسية معادية للعرب والإسلام بفعل ما صنع موالى الفرس إذ نقموا على العرب والمسلمين وقد تحول معسكرهم إلى وكر للحاقدين والناقمين والمرتدين عن الإسلام ثم غالوا في تقديس الإمام علي بن أبي طالب عندما استحضروا صورة من التوقيير الوثني عند حكام الفرس. وقد بلغت طائفة النصيرية مرحلة الوثنية الخالصة عندما اعتقدوا في علي بن أبي طالب على أنه (الإله) - تعالى الله عما يقول الظالمون.

ومن العجيب الغريب أن طائفة النصيرية العلوية استطاعت في النصف الثاني من القرن العشرين وفي ظل دعم كامل من الاستعمار والصهيونية أن تقيم لها كيانا سياسيا وثقافيا في قلب الوطن العربي وهذه الطائفة ترى أن عليا لم يمّت وأنه مستقر في السحاب فالرعد صوته، والبرق ابتسامته واللافت للنظر أن التشيع تحول إلى مرتع خصب للفرس الطامعين في أحياء مجد الدولة الفارسية، والبداية قديمة فقد تعددت انتفاضات الشيعة خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، حتى

أنه لم تمر سنة حتى يهب أحد العلويين الثائرين ضد النظام الحاكم، وكان الأمويون ومن بعدهم العباسيون يتصدون لهذه الانتفاضات ويوسعونها ضرباً مؤلماً. فكان بعضهم يعتمد إلى أطراف الدولة - شرقاً أو غرباً - لتدبير المؤامرات وإعداد التنظيمات السرية وشراء العملاء والأعوان، مستخدمين في ذلك اسم البيت العلوي الذي يتمتع بحسب المسلمين على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم، ولكن سرعان ما يكتشف الناس أنهم ثاروا لحساب مذاهب مشبوهة تتستر وراء أهل البيت. ولعل أشهر هذه الدعوات ما فعله الشيعة الباطنية الإسماعيلية عندما نجحوا في إقامة دولة لهم في تونس، ثم انتقلت في عهد المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر وحكمتها لمدة قرنين كاملين تعطل خلالها كل عمل إسلامي مستتير.

وفى المسلسل التاريخي للتناقض العقدي والمذهبي الذي تعيشه شعوب فارس فإنه قد حدث في عام ١٤٤٤م أن تسلمت "الإمامية" حين قامت الدولة الصفوية بعد اعتناق "إسماعيل الصفوي" لمذهب الإمامية وأشاع إسماعيل الصفوي مذهباً لا علاقة له بأصول المذهب التاريخي بل ولا علاقة له بالإسلام وقد زادت الأمور توتراً في العالم الإسلامي بظهور الدولة الصفوية في إيران، وتطلع هذه الدولة إلى حكم العالم الإسلامي ونشر المذهب الشيعي بالقوة، ولكن كيف قامت هذه الدولة وما هي الدوافع الكامنة وراء تدخلها في شئون الدول الإسلامية؟ وما هي الأسباب التي دعته إلى التطلع لزعامة العالم الإسلامي؟ وللإجابة على هذه التساؤلات علينا أن نلم بهذه الأمور في إيجاز بحكم أن ما يجري اليوم في العالم الإسلامي على يد الإمامية فإنما هو استمرار لهذه البدايات.

أطماع الدولة الصفوية

استطاع أحد الزعماء الشيعة الاثني عشرية في أردبيل ويدعى صفى الدين الأردبيلي أن يجمع حوله رهطاً من العشائر التركمانية حديثة العهد بالإسلام، فتحلقوا حوله وكثر عددهم بمرور الأيام لاسيما بعد أن ادعى أن نسبه يصل إلى الإمام موسى الكاظم من نسل الحسين (رضى الله عنه)، واستمر أبناؤه وحفدته من

بعده في توثيق علاقتهم بالقبائل والأتباع واضطر حاكم شيروان لطرد الجنيد - حفيد صفى الدين الأردبيلي من البطن الثالث - لما ينشره بين الناس من بدع فلجا الجنيد إلى حسن الطويل حاكم دولة الشاه البيضاء وعاش هو وأبناؤه وحفدته في كنف هذه الدولة بمدينة أردبيل ثم انتقلوا منها إلى جيلان حيث وجدوا أتباعهم كثرة، وكان من بين هؤلاء الأبناء إسماعيل (أصبح الشاه إسماعيل ٩٠٧ - ٩٣٠ هـ) الذي بدأ يجمع أتباع جده مع العشائر التركمانية وشيعة إيران واستطاع أن يحصل على مبايعة معظم هذه العشائر فأطاح بالثني عشر أميراً كانوا يحكمون إيران وشرع يخضع إيران كلها لسيادته.

قامت دعوة إسماعيل لأتباع جده على أساس مذهبي ، إذا بدأ يدبر أموره على أساس أن القوة السياسية يجب أن تعتمد على قوة عسكرية مخصصة تربطها به وشائج عقائدية متينة جعلها مستعدة للاستماتة في الدفاع عن قائدها ولجأ إلى القوة والعنف لإيجاد هذه الرابطة فجعل الشيعة مذهب دولته الرسمي وأعمل القتل في كل من يرفض اعتناق هذا المذهب ولم ينج من ذلك أحد، طفلاً كان أو امرأة وراح ضحية هذا العنف أكثر من مليون نفس، وفرض إسماعيل على جنوده لباساً يجمع بين لباس الزرادشت ولباس الفرق المبتدعة في أردبيل ، إذا تميز هذا اللباس بالقلنسوة الحمراء ذات الاثني عشرة ذؤابة سوداء وكان الملاحدة الزرادشت في عهد الساسانيين يتميزون بالملابس الحمراء ، كذلك كان المبتدعون في أردبيل يرتدون القلنسوة الحمراء ذات الاثني عشرة ذؤابة.

وهكذا أراد مؤسس الدولة الصفوية أن يحقق التجانس بين مختلف العناصر في الهضبة الإيرانية فدعا إلى مذهب مخالف لإجماع المسلمين ، ومناقض لما حوله من الدول الإسلامية وأفلح في تعبئة جنوده روحياً فأخضع في سنوات قلائل - ولاية التيموريين ، ثم تجاوزت جيوشه خراسان فاستولى على أنريجان وديار بكر ثم العراق وفارس وعلى هذا النحو قامت الدولة الصفوية على أنقاض الدويلات الإسلامية في خراسان والعراقين وتاخمت حدودها حدود الدولة العثمانية. ولما كان الأناضول من قديم الزمان يعد معبراً تجارياً هاماً بين أوروبا وآسيا ، فكانت القوافل

تمر عبر الوديان التي تتخلل جباله العالية حتى تصل إلى شواطئ البحر المتوسط حيث تقوم أساطيل البنادقة والجنوبيين بتوزيع البضائع على مختلف أنحاء أوروبا.

فإذا عرفنا أن الحرير الإيراني كان ينقل من تبريز إلى أوروبا عبر الطريقين الثاني والثالث بل كان بعضه يغزل في مغازل بورصة والباقي تتسلمه أوروبا في شكله الخام، وأن الدولة الصفوية قامت دولة داخلية لا شواطئ لها تطل على أوروبا وأن الدولة العثمانية قد قامت في الأناضول ، وكانت في يدها مقاليد التجارة العابرة من أوروبا إلى الشرق وبالعكس إذا عرفنا كل ذلك أدركنا الأهمية الاقتصادية للأناضول بالنسبة للصفويين وخاصة المراكز التجارية منه ولذا كانت البلاد التي عدناها آنفا هي أهم ما استهدفته الهجمات الإيرانية عبر تاريخ الحروب الصفوية العثمانية. ولما كان الشاه إسماعيل حريصا على أن يكون له منفذ لأوروبا فقد عرض على الفرنجة الاتفاق ضد المماليك ، بحيث يهجمون عليهم من جهة البحر بينما يهاجمهم هو - أي إسماعيل - من جهة البر. وكرر نفس المحاولة ضد العثمانيين ففي شوال من عام ٩٠٦هـ بعث بسفير إلى البنادقة يعرض عليهم التحالف ضد "با يزيد العثماني" ونظرا لعبور هذا السفير الأراضي السورية توترت العلاقات بين العثمانيين والمماليك، وإذا كانت هذه أهمية الأناضول بصفة عامة بالنسبة للصفويين فهناك أهمية خاصة لشرقي الأناضول وجنوب شرقيه حيث توجد الأبواب الرئيسية لطرق القوافل: في قونية وآماسيا وطوقات وديار وأرضروم وطرابزون وهناك أهم مناجم للمعادن الرئيسية كالفضة (بين طرابزون وأرضروم) والسنحاس (قرب ديار بكر). وهناك عدد لا بأس به من القبائل التركمانية الشيعية والواعدة بالتشيع. وكان من أهداف حملة لشاه إسماعيل على إمارة ذي القادر في جنوب شرقي الأناضول، تفقد هذه القبائل وتبشيرها بالمذهب الشيعي.

هذا وقد ورث الصفويون عن فرق الباطنية في إيران والعراق تراثا يزخر بشتى أنواع التخريب والاغتيال وتدبير الفتن ، وكانت فتنة "شاه قولي" - وهي من كبريات الفتن في التاريخ العثماني - من تدبيرهم. والجدير ذكره أن نتتبع جنورها ونلم بتفاصيلها حتى نتعرف على دورهم في إعاقلة المسيرة الإسلامية للعثمانيين.

كان هناك من يدعى حسن خليفة، تظاهر بالزهد واعتكف هو وابنه في إحدى المغارات بجبل قريب من أنطاكيا، وطارت أنباء زهده إلى السلطان بايزيد الثاني، فبات يغدق عليه العطايا والهبات ورتب له راتبا سنويا، ولم يكن هذا الشيخ سوى واحد من دعاة الشيعة فكان يلقي زائريه تعاليم المذهب الشيعي ، وبعد وفاته واصل الابن نور خليفة نشاط أبيه وأطلق على نفسه (شاه قولي) أي عبد الشاه ولكن بعد أن افتضح أمره بين الناس صاروا يلقبونه بـ (شيطان قولي) أي عبد الشيطان.

على أية حال، حين اعتلى الشاه إسماعيل حكم إيران كان عدد مريدي هذا الشيخ من الكثرة بمكان فبدأ يدعووا بالبيعة للشاه إسماعيل ووصل بدعوته إلى البلقان.

إلى هذا الحد بلغ نشاط الشيعة داخل الدولة العثمانية: توزيع ما عرفناه اليوم باسم (منشورات) والدعوة لمبايعة رئيس أجنبي والدعوة في مكان أريقت فيه دماء الأتراك المسلمين في سبيل فتحه ورفع لواء الإسلام فيه.

زاد نشاط الدعاة ومثيري الفتن في أواخر عهد السلطان: "بايزيد" الذي كان قد بلغ من الكبر عتيا وترك شئون الحكم لوزرائه وأبنائه ، وكان الأبناء في شغل شاغل بتنافسهم على العرش المرتقب مما أدى إلى اختلال الأمن بالبلاد ، فزاد عدد الخلايا السرطانية بين القبائل، ويات نور على خليفة يترقب ساعة الصفر لتنفيذ ما كان يرتب له. وذات يوم رأى أتباعه قافلة أمير أنطاليا وهي تتجه صوب الشمال فظنوا أن السلطان قد وافته المنية وأن الأمير ذاهب لقتال اخوته فانقض نور خليفة وأتباعه على تلك القافلة وسلبوها ثم سار في عشرين ألف من المريدين والاتباع يدعو لنفسه باعتباره خليفة الشاه إسماعيل في الأناضول "سبقت فرقة صغيرة بقيادة (صوباشي) ظنا من الحكومة أن الأمر لا يعدو كونه جريمة فردية ، ورغم هزيمة هذه الفرقة لم يأبه أولوا الأمر للفتنة فزادت جرأة "نور على خليفة" واستشرت فتنته، فبدأ يهاجم البلدة تلو الأخرى وكلما داخل بلدا وجد له أتباعا ، فزاد عدد قواته وبدأ يهزم القوات الحكومية المرسله إليه، ووصل إلى مشارف بورصة وحاصرها حتى أرسل قاضيها مستغيثا: "إذا لم تصل إلينا تعزيزات خلال يومين قضى الأمر" ولكن

قوات: "نور خليفة" عدلت عن الحصار واتجهت إلى طوقات - إحدى محطات القوافل التجارية التي يستهدفها الصفويون - فاستولى عليها حيث قرأت الخطبة باسم الشاه إسماعيل ، وعلى هذا المنوال ظلت قوات العصاة تستولي على مدينة اثر الأخرى وتقيم المذابح الجماعية إلى أن سيرت إليها حملة كبيرة بقيادة الصدر الأعظم على خادم باشا فالتقى بالعصاة قرب نهر جوبوك وفي هذه المعركة استشهد الصدر الأعظم ، ورغم ذلك استطاعت القوات الحكومية أن تفرق جميع أتباع: "نور خليفة" بصعوبة ولكنها لم تقض على الفتنة نهائيا ، فقد فر رأسها إلى إيران.

استنزفت هذه الفتنة دماء المسلمين وطاقاتهم وإمكاناتهم زهاء سنتين (٩١٥ - ٩١٧ هـ) مما حدا بالأمير سليم الذي كان واليا على طرابزون في أقصى شرق الأناضول أن يحسم الأمر ويمسك مقاليد الأمور بيده ويطالب والده السلطان "بايزيد" بالتنازل عن العرش ، فقد كان بحكم موقعه في شرق الأناضول - يراقب عن كثب ما يخطط له الصفويون ورأى تغلغل الخطر الشيعي بين أخوته الأمراء أنفسهم مما بات يهدد كيان الدولة ذاتها ، وربما كان ذلك هو السبب المباشر الذي حدا بالسلطان سليم (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) أن يبدأ نشاطه العسكري بالشرق فكانت معركة جالديران (٩١٨ هـ) مع الصفويين أولى الحروب التي خاضها بعيدا عن دار الجهاد في أوروبا، ولم تكن الأخيرة فقد قضى سنَى حكمه في حروب على جبهة المشرق الإسلامي.

ومهما يكن من أمر فقد وصل خطر الزحف الشيعي إلى شرق الأناضول إلى الحد الذي لا يمكن السكوت عنه، لا سيما بعد أن وصلت إلى السلطان سليم تقارير تقول: "أن المبتدعين من الصوفية والشيعة قد استفحل خطرهم وزاد عددهم وباتوا يمعنون في القرى سلبا ونهبا ولم يتورعوا عن قتل الرجال وسبى النساء وأتوا على الأخضر واليابس.

يتضح مما تقدم أن الدولة الصفوية قامت على أساس خلاف مذهبي ارتضته لنفسها وخالقت عداً مذهبياً بين المسلمين لم يكن نابعا من إخلاص بقدر ما كان يعبر عن أطماع وأحقاد ضد المسلمين على قدم وساق. وفي المسلسل الطويل لمحنة

الشعب الإيراني منذ ابتلى بالإمامية غزا السلطان سليم إيران عام ١٥١٤م ثم قام الأتراك بغزو إيران ثم ارتدوا عنها فاتصل البريطانيون بالشاه عباس ووسعوا نفوذهم داخل إيران وقد سقطت إيران تحت حكم الأفغان وظلت في اضطراب سياسي حتى قامت الدولة الزيدية عام ١٧٤٩م ودولة الافشار عام ١٧٥٠م والدولة القاجارية التي امتد حكمها في إيران من عام ١٧٩٤ إلى عام ١٢٢٥هـ حيث أحدث رضاخان انقلابه العسكري واستولى على إيران، وقد استمر التنافس بين النفوذ بين الروسي والإنجليزي للسيطرة على بحر قزوين ومن ثم للسيطرة على إيران كلها، وبالرغم من مرحلة القلق الاجتماعي والاضطراب السياسي والتمزق المذهبي الذي عاشته إيران طوال أكثر من أربعة قرون بسبب تناقض وتعدد التيارات الدينية والمذهبية التي تعرضت لها إلا أنه في نصف القرن المنصرم عاشت إيران لمسة حضارية وتحررا سياسيا ودينيا قام به بعض أبناء إيران المستنيرين تحررا من جمود المعتقد الامامي وهي مرحلة جعلت علامة مثل (جواد - مغنية) يرفض التعصب المذهبي لمذهب فقهي خاص ويحاول انتهاج معتقد مستقيم ولكن القوى الأجنبية التي استغلت الخلاف الذي كان بين تركيا وإيران في العقود المنصرمة من القرن العشرين عاونت على ابراز شخصيات فارسية متعصبة في الفقه الإمامي جامدة عليه وكان ذلك بالعمل على بعث معتقدات وأفكار مذهب الإمامية والذي يعرف أصحابه تاريخيا باسم الروافض.

ظهور الخمينية السياسي:

عبر أجواء التناقض الاجتماعي الذي عاشت فيه إيران مع تدخل القوى الأجنبية وذلك بهدف وأد بعض جوانب الحضارة والعمران الذي كانت إيران قد قطعت فيه شوطا خلال العقود المنصرمة القريبة ظهر التراث العقدي للإمامية عبر فكر ثوري قاده الآيات بزعامة الخميني تحت بريق أعلامي استهدف وقوة ردة حضارية في عدد من مواقع تجمعات الأمم التي تنسب إلى الإسلام، وكانت المذهبية الخمينية تتمثل في رد الفعل العنيف الذي خدع به الخميني الرأي العام باسم

الإسلام، فالرجل على ضوء سيرته وتراثه المكتوب والمسموع يمثل تطورا في رد الفعل العدواني لموقف الآيات الايرانيين الذين أدوا دورا بشكل مكثف ضد شعب إيران منذ أقدم (مرزا رضا كرماني) تلميذ (جمال الدين الأفغاني) على اغتيال (ناصر الدين شاه) يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة ١٣١٨ هـ أبان الاحتفال بمرور خمسين عاما على سلطة ناصر الدين شاه، ومنذ قام الآيات في إيران بتكثيف العمل ضد مصلحة الشعب الايراني عندما كان محمد مصدق يناضل لكي يكون النفط في خدمة الشعب الايراني وكادت جهود مصدق تؤتي ثمارها لولا موقف رجال من طراز (آية الله كاشاني) ضد مصلحة الشعب الايراني وقد ظلت إيران بفعل الغلاة من الآيات مسرحا للقتال والفتن طوال الحرب العالمية الأولى حتى أن بعضهم امعنا في انكاء لهيب الحرب وبعثرة طاقة وجهد الشعب الايراني كان عضوا في حزب (توده الشيوعي الايراني) وقد أشار إلى ذلك (لولونشوا فيسكي) في كتابه (الشرق الأوسط) وعزا أسباب المآسى والمحن التي كانت تقع بين رضا شاه وبين الشعب الايراني إلى رجال الدين الايرانيين وقد ترتب على هذه المراحل من التمزق السياسي والصراع الاجتماعي أن أصبح الشعب الايراني شبه مهين لأي جديد عساه أن يعمل على انقاذه من فعل ما صنعه الآيات ضده لمصلحة الاستعمار والأطماع العالمية، ومن هنا عندما أتيح لآية الله الخميني أن يطفو على سطح الحوادث وأن يكون من أكثر الآيات ابهارا للرأى العالم إذ تمكن بمهارة عاونته معها قوى باطنية عديدة بحيث استطاع بنهر من الدماء أن يكيف العلاقة بين الاستعمار الصهيوني وبين مذهب الروافض كما استطاع في ضوء مخطط كبير ضد العالم العربي وأمة الإسلام أشار إلى بعضه في مقام الثناء على الخميني صاحب كتاب (الثورة الإيرانية) الذي سجل للخميني على ضوء تراثه وكتبه وفتاويه آلاف الدعاوى المذهبية ذات الطابع العدواني التي تجعله في عداد الخوارج الأزارقة لا الباطنية، لكن الغريب هو خداع الرأى العام الذي بهرته الدعاوى الخمينية مغلفة ومخبوءة في ثوب ديني استطاع أن يشغل الرأى العام العالمي بهذه الفتاوى التي ساق بها شعب إيران إلى المهالك.

الخميني بين المذهبية والثورية :

لقد عرض صاحب كتاب الثورة الإيرانية وهو في مقام الثناء على الخميني والاعجاب ببعض فكره المتناقض وهو يحرض شعوب المسلمين على حكاهم لتدمير حياة المجتمع الإسلامي ولم يستثن من ذلك النظام العادل أو الظالم وإنما راح يقول الخميني في الفتوى رقم ٢٧٩٨ (لا يجوز للعلماء والأئمة إدارة المدارس الدينية من طرف الدولة وإدارة الأوقاف لأنه في هذه الحالة يتقاضون مرتباتهم ويتقاضى طلاب العلوم الدينية مرتباتهم إما من الناس أو من الأوقاف أو من الحكومة ولأن تدخل الدولة في هذه الأمور مقدمة لهدم أساس الإسلام).

وفي الفتوى رقم ٢٧٩٩ يقول: (لا يجوز لطلاب العلوم الدينية دخول المؤسسات الحكومية التي أسست تحت اسم مدارس دينية وهي التي تتدخل فيها الدولة).

وأما في الفتوى رقم ٢٨٠٠ يقول : (لا يجوز لطلاب العلوم الدينية دخول المدارس التي يديرها المعمون والأئمة من قبل الحكومة أو بإشارة منها لأن البرامج الدراسية فيها من طرف الحكومة أو من طرف هذا الصنف من المديرين الذين أجازهم عمال الدولة لمحو أحكام القرآن الكريم) !! هكذا !! نعم هكذا يزعم الخميني في فتاواه ولذا فانه في هذه المسائل يقول في الفتوى رقم ٢٠٨٩: (ينبغي على المسلمين والمتدينين الاعراض عن أولئك الذين دخلوا في كسوة أهل العلم ثم التحقوا في المؤسسات التي أسست بتدبير الحكومة وعليهم الا يختلطوا بهم وأن يصفوهم بعدم العدل ولا تجوز صلاة الجماعة خلفهم).

هذه نماذج بعض عقائد الخميني كواحد من أقطاب الخوارج والروافض معا ولا غرابة في ذلك فالعقائد التي توضع لتشويه صورة الإسلام وتوظف لأعداء الدعوة إلى الله تقوم دائماً وأبداً على الشيء ونقيضه.

فالخميني الذي نراه هنا يؤلب الشعوب على حكوماتها ويسعى للفساد الاجتماعي والسياسي في بلاد المسلمين هو الخميني الذي يمجد نفسه ويقدها بحيث

يجازى مثلاً المدعو (فخر الحجازي) الذي قال ان الخميني أعظم من النبي موسى وإبراهيم نائبا عن طهران ورئيسا لمؤسسة المستضعفين ، أعظم مؤسسة مالية في البلاد. وهو الخميني الذي جعل نفسه أعظم من النبي الكريم وأدخل اسمه في آذان الصلوات. وقبل اسم محمد صلى الله عليه وسلم إذ أمرهم أن يقولوا (الله أكبر خوميني هبر). وهو الخميني الذي يرى نفسه حارسا الهيا أرسله الله لانقاذ البشرية ونصب نفسه وخلفائه في الدستور الايراني الذي أحدثه متصفا بهذه الصفة، كما احتكر لشخصه كل الصلاحيات التي احتكرها المستبدون.

وهو الخميني الذي كان يروق له ويسعده أن تشيد بفضله ودمويته كل أجهزة أعلامه والصحف التي أستولى عليها من الصباح إلى المساء وتصفه بالصفات البطولية.

وبالرغم من أن كل المعنيين بالمحنة التي أبلى بها شعب إيران المسلم يعرفون تماما تاريخ وموطن ونسب الخوميني ويعرفون أن جده قدم من الهند إلى إيران قبل حوال مائة عام وسكن قرية (خمين) وقد مات والده مصطفى في ريعان الشباب وبعد ذلك فتاريخ آباء الخوميني في الهند مجهول الا أن الاعلام الخوميني الذي يتناول حياة وسيرة الزعيم الخوميني يتغافل عن هذا التاريخ تماما بل ان هناك تعتيما شديدا حول جذور هذه العلاقة الأسرية والعائلية التي تربط: "أمام إيران خوميني - رهبر" وبين أصوله الهندية ، بحيث لا يلقي الضوء على هذه الأصول أكانت أمامية أيضا، أم سيخية أم بوذية أم من التاميل؟؟.

والخلاصة أن الخوميني الذي كان شخصية مغمورة عندما كان مدرسا للفلسفة في (قم) هو الخوميني الذي يدرك تماما أوجه التماثل بين أصول معتقدات الروافض في القول (بعصمة الإمام) والقول بالغيبة الصغرى والغيبة الكبرى والقول بالرجعة وغير ذلك من معتقدات الامامية وما في كتب اليهود من معتقدات تبشر بها الصهيونية المحدثه عن المهدي اليهودي التلمودي الذي تقول به الاسطورة اليهودية بأنه عندما يرجع سيهدم دمشق حجرا حجرا وعند هذه النقاط يبدو الخل واضحا في شخصية الخوميني إذ يطلق فتاويه المتناقضة بين الثورية والمذهبية بغير تناغم وانسجام.

وعلى غرار ما تقول النبوءة اليهودية عن المهدي النلمودي الذي يهدم العواصم العربية بدءاً بدمشق تقول نبوءة الروافض عن المهدي الامامي الذي يقتل أمة العرب عند ظهوره بدءاً بأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا عجب في ذلك ولا غرابة فالخمينية باعتبارها تطورا حادا في الانحراف العقدي الذي يمثله الروافض طالعت الرأي العام الإسلامي والعالمي ببدع وضلالات بل وتناول على الأنبياء والرسل وانقاص من قدرهم وتهوين من شأنهم ووصم رسالتهم بالقصور والعجز بما يعد معه القول بتلك المقولات إلغاء كاملاً لدين الإسلام وادعاء دين باطل جديد. ولذا فإن الخمينية ما فتئت تخادع الرأي العام العالمي والرأي العام المسلم بل وتخادع الشعب الإيراني نفسه فالخميني في محاضرة له بالنجف الأشرف حول ما أسماه الحكومة الإسلامية يقول بهذه الكلمات الجوفاء : (أخرجوا من عزلتكم وأكملوا برامجكم الدراسية والارشادية واركبوا الصعاب في سبيل ذلك وخططوا للحكومة الإسلامية وتقدموا في خططكم وكونوا في ذلك يدا واحدة مع كل من يطالب بالحرية والاستقلال فإنكم ستصلون إلى أهدافكم يقينا اعتمدوا على أنفسكم وأنا على يقين أنكم قادرون على إدارة دفة الحكم عند تقويض أسس الجور والظلم والعدوان^(١)، كما يقول في موقف آخر (إن جمهورية إيران الإسلامية المقبلة ستحترم كافة الحريات بشرط ألا تتنافى والمبادئ السماوية والأخلاقيات الاجتماعية التي حددها الإسلام ويشترط ألا تكون ضارة بالشعب)^(٢).

كما يقول للرأي العام الإسلامي (إن الحكومات الأوربية ليس لديها ما يدعوها للخوف من إقامة حكومة ترتكز على المبادئ الإسلامية في طهران لأن الإسلام سيعاملهم باحترام وسيواصل كل المشروعات الاقتصادية الأجنبية التي تخدم مصالح الشعب) ومع ذلك كله فإنه لا يتردد في القيام بالعدوان المسلح سواء في حرم الله وضد المقدسات الإسلامية أو ضد حدود وكيانات الأوطان العربية خاصة عندما دعت التصريحات الإيرانية الرسمية جيش العراق (الذي سقط) إلى التمرد على

(١) الخميني القائد - من محاضراته بالنجف الأشرف حول الحكومة الإسلامية ص ١٣٤.

(٢) الخميني القائد - نقلا عن صحيفة السفير عدد ١٧١١.

شعبه وحكومته ومثل ما جاهرت به من هجوم على المسؤولين في الدول العربية والدعوة لاستخدام القوة المسلحة ضد الوطن العربي كما أخذت الثورة الإيرانية تتدخل بالشئون الداخلية في بعض الأوطان العربية كما حدث مع العراق عندما دعا النظام الخميني بقايا زمرة البارازاني إلى القدوم من الولايات المتحدة لتقديم لهم الدعم المادي والمعنوي للتخريب في الوطن العراقي وبالفعل تعاونت قوى الثورة في إيران الخمينية مع الصهيونية والاستعمار العالمي حتى قامت بعدة مؤامرات سياسية ضد البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والكويت وقطر فضلا عن انتهاك حرمة الحرمين الشريفين^(١).

وعلى طريق المخطط أصدرت الأجهزة السياسية التابعة للإمام لأجهزة الاعلام وخطباء المساجد بضرورة تحريك القوات المسلحة الإيرانية للزحف على العراق واسقاط نظام حكمه (الذي أسقطته الولايات المتحدة)، كما قامت القوات الجوية الإيرانية باختراق الأجواء العراقية خلال الفترة من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨١م يوميا مع قيام المدافع الإيرانية بضرب المدن والقرى وقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال.

وبجانب العنف والرغبة في الانتقام من العنصر العربي والمعتقد السني الذي عليه معظم جمهور أمة الإسلام تبدو أوضح ما تكون في فكر الخميني ومعتقده الروح العدوانية باعتباره باعث فكرة عنصرية.

وإذا كان الخميني بحكم ما يمثله من كونه رائدا لردة حضارية في إيران فإنه يكفر أمة الإسلام ويعمل على إسقاط أوطانها فان مخاطبة الرأي العام العالمي للتعريف بحقيقة هذا الزعيم الذي أراق من دماء أمة الإسلام الدم الكثير تكون من أوجب الواجبات على كل قادر مستطيع وفي ضوء ذلك نحاول أن نتعرف على أوجه العلاقة بين الخمينية والامامية وذلك للوقوف على ما أضافه للمذهب من عقائد وآراء.

(١) الصراع العراقي الفارسي ، لجنة من أساتذة جامعة بغداد عام ١٩٨٣م ص ٣٨٣ ، ٣٨٤.

الجذور العقدية والتاريخية للإمامية

تمهيد :

دراسة الفكر الأمامي من مصادره العديدة تشير الى أن الإمامية باعتبارها مدرسة باطنية لعبت أدوارا خطيرة في هز أركان بعض المجتمعات الإسلامية وزعزعة روايتها وتفكيك روابطها وقد كان من اليسير على هذه المجتمعات التي ابتليت (بالإمامية) أن تتخلص منها وتقضي على قواها التنظيمية والفكرية إلا أن الجمعيات السرية التي نفذت من خلالها الأفكار الباطنية جعلت للعمل الباطني قدرة على الاستمرار وجاذبية قوية سيطرت على فريق من الناس بحكم أن قطاعا من الناس تهفو نفوسهم الى المخاطرة والمجازفة والالتيان بغرائب الأعمال.

وتقول دراسة الفكر الباطني مثلما هو حال وطبيعة التنظيمات السرية كالصهيونية والماسونية أنه كلما كان السر أدق وأخفى وكان الغموض أعوص وأعرق كان سحر الجاذبية أقوى وأشد وطبيعة الجمعيات السرية والتنظيمات الباطنية أنها تضيف الى ولع بعض الناس بالمجهول تحقيق بعض مآربهم فضلا عن العمل على تبوئهم أوضاعا وامتيازات خاصة ، ومن هنا كانت عناية بعض الناس نحو الفكر الباطني للانخراط في عضويته تحقيقا لمآربهم واستجابة لرغباتهم فكان من اليسير على أصحاب الفكر الباطني تجنيد العناصر التي قد يستهويها الفكر الغامض والعقائد المركبة من الأسطورة والخرافة لتحقيق مآربهم وغاياتهم. ولعل هذه من بين أسباب استمرار وتطور العمل الباطني بوجه عام سواء كان في العقائد الدينية أو التنظيمات السياسية.

اليهود وعقائد الإمامية:

إن أطماع اليهود في البيئة التي حملت لواء الاسلام والقيام بالدعوة اليه قديمة جدا فبعد أن نزع اليهود الى الجزيرة العربية نقلوا معهم من الأساطير التي شاعت

بينهم أبان الأسر البابلى العقائد الكثيرة والأطماع العديدة وكان من بين هذه الأساطير اليهودية عقيدة التناسخ التى أصبحت مصدرا رئيسيا عند الامامية عندما قالوا بعقيدة الرجعة التى اعتنقوها كتعبير عن مشاعر الانتقام والحق الذى انطوت عليه نفوس بعض الذين زعموا ظلم آل البيت من أعدائهم ، وقد ساعد العمل السرى والتحريف العقائدى الذى دعا اليه عبد الله بن سبأ فى اشاعة جومن الاضطراب السياسى والعقدى فى الأمصار الاسلامية كنوع من الحرب النفسية وتعميق مشاعر الاحباط والهزيمة فى كيان الامة الاسلامية.

والجدير ذكره ان اليهود وجدوا منذ عصر الفتنة التى أعقبت مقتل عثمان مسرعا لنقل الفكر الباطنى الى الساحة الاسلامية، وكان ذلك بسبب سماحة الفكر الاسلامى الذى تقبل كل العناصر التى تظاهرت بالاسلام حتى شاعت فى وقت مبكر الأفكار اليهودية التى تدور حول جملة من العقائد تناقض عقيدة الاسلام والتى كان من أهمها عقائد: الامامة والوصية والرجعة والغيبة والعصمة الى غير ذلك من العقائد الوضعية والقول بالظاهر والباطن فى تناول النصوص ومقارنة بسيطة بين عقائد اليهود فى القول بالتناسخ وبين عقائد غلاة الباطنية التى تزعم أن الأموات يرجعون الى الدنيا للانتقام من أعدائهم توضح أثر اليهود التناسخى على الامامية فى القول بعقيدة الرجعة. وقد أوضح (الشهرستانى) هذه العلاقة وذكر أن الامامية عرفوا التناسخ والرجعة عند اليهود ، وقد بنيت فكرة (تأليه الأئمة) فى القول بالعصمة على المعتقد الذى استهدف تقديس على - رضى الله عنه - بتأثير من عقيدتى الرجعة والغيبة التى تصورها أسطورة القول بالتناسخ اليهودية والتى تفرعت فى اتجاهات ثلاثة:

الأول: القول بالامام المعصوم والثانى القول بعقيدة ختم الأوصياء والثالث القول بعقيدة القداسة الإلهية لعلى - رضى الله عنه.

وهذه العقائد الثلاثة اعتبرت علما خاصا يطلق عليه (العلم السرى) الذى يعبر عن عقيدة الرجعة عند الامامية كنوع من الاعتقاد الخاص الذى لم يشرعه الاسلام

ولم يقل به أحد من المسلمين حتى من تفلسف منهم وتأثرت مقالاته بالافكار والمبادئ ذات النزعة التجسيمية أو التعطيلية.

ولما كان التراث الفارسي في مجال العقيدة الدينية القديمة قبل ظهور الاسلام يقوم هو الآخر على فكرة الناسخ فان العمل الباطني وجد المجال مهيباً أمام العناصر التي أندست في المحيط الاسلامي وكان أن تشكلت مقومات المذهب الامامي بحيث يبدأ التناقض مع الاسلام بصدام يعتمد على المقولات العقدية ضد الخطاب العربي عند الأمة العربية باعتبارها منذ ظهور الاسلام العقل الصحيح والترجمان الصريح والأداة الراشدة للتعبير عن دين الاسلام فمثلاً في ظل عقيدة الرجعة تعتقد الإمامية أن أول عمل للغائب أن يبدأ بقتل العرب فقد جاء في كتاب الارشاد للشيخ (المفيد)^(١) وأعلام الوري (للطبرسي)^(٢) وكتاب الغيبة (للنعماني)^(٣) فيما نسبت وادعت روايات الامامية الى أبي جعفر أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم اذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس أما أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يبدأها إلا بالسيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس هذا ليس من آل محمد لو كان من آل محمد لرحم ويتوسع المفيد والطبرسي فيرويان من هذا المعتقد العدواني صورة أشد وأفظع في العدوان اذ يرويان فيما تنسب روايات الامامية عن جعفر معتقداً يقول:

(واذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قریش تضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة تضرب أعناقهم يفعل ذلك ست مرات).

وأما (الطوسي)^(٤) في كتاب الغيبة فيروي عن جعفر أنه اذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قریش إلا السجن، وأما (الصافي) صاحب التفسير العمدة عند الإمامية

(١) الارشاد للشيخ المفيد - مطبوعات الأعلمى ص ٣٦٤.

(٢) اعلام الوري للطبرسي ص ٣٦١.

(٣) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٥.

(٤) الغيبة للطوسي ص ٩٠.

فيقول : (لو قام قائمنا رد بالحميراء - يعنى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حتى يجلد الحد وينتقم لابنة محمد - صلى الله عليه وسلم).

والعجيب الغريب هو أن ما فى اليهودية من معتقدات عنصرية أخذت بها الصهيونية المحدثّة فهو ما يطالع الباحث من سياق المقولات الامامية معتقدا بعد الآخر فالمهدى اليهودى تحدثت عنه أسفار العهد القديم وشروحه من التلمود وغيره بأنه يهدم قصور دمشق حجرا حجرا هو المهدى الرافضى الذى يقتل أمة العرب والمسلمين بدءا بأصحاب محمد والأمام المعصوم فى عصر السبى اليهودى هو الأمام المعصوم فى الفكر الامامى الذى تتدافع عمليات عنفه وعدوانه ضد الأجيال المؤمنة عقب وثوب المذهب الى السلطة مرتديا الثوب الثورى ورافعا الشعار الدينى الباطنى التحريفى.

واللافت للنظر أن المطلع على كتاب (الأنوار النعمانية)^(١) لواحد من أئمة الروافض سيقف أمام معتقد أسطورى يفسر تلك الظواهر العدوانية الشاذة التى يقول بها الروافض عبر التاريخ وتعتمد على أصل خرافى أسطورى ولا بأس عندهم أن يعبروا عنها حتى فى حرم الله فى البيت الحرام بالعدوان المسلح وممارسة العنف ضد المسالمين فى بيت الله الحرام أو برفع الشعارات التى لا تمت للنشاط الدينى بصلة

يروى صاحب الأنوار النعمانية هذه الأسطورة التى تدل على حجم التركيبات العقديّة المتناقضة فى فكر الامامية، تقول هذه العقيدة المستندة الى خرافة أسطورية: أن بقاع الأرض تفاخرت وتفاخرت الكعبة على بقعة كربلاء فأوحى الله عز وجل اليها أن اسكنى يا كعبة ولا تفخرى على كربلاء فأنها البقعة المباركة التى قال الله فيها لموسى (أنى أنا الله) وهى (موضع المسيح وأمه فى وقت ولادته) ومن مثل هذه المقولة تتشكل معظم جوانب الاعتقاد فى القضايا الأساسية عند الامامية فى القديم والحديث، وعندما نقلب صفحات التاريخ المعاصر ما الذى يعثر عليه الباحث

(١) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٨٦

من جوانب الاعتقاد الأمامي الذي يشكل اليوم ملامح المدرسة الإمامية في العنف والارهاب وممارسة العدوان ضد حرمان المسلمين وخاصة منها ما يتعلق بقدسية الحرمين الشريفين وعدم الإلحاد فيهما. ان ما تناقلته وكالات الانبياء وما صورته الكاميرات من اقتحام أنصار المذهب لبيت الله الحرام وقتل الأبرياء ذات يوم في تاريخ المسلمين المعاصر لأكبر برهان عما تتطوى عليه عقائد المذهب ضد المسلمين.

أثر اليهودية في المنهج الإمامي

على ضوء نقول وتفاسير المصادر الإمامية ذات الجذر التاريخي في تناول عقائد القوم تبرز من سمات النقل والوضع والدس علامة بارزة عند تناول النصوص وهذه السمة هي "التأويل" وهي قاسم مشترك بين كل المصادر الإمامية وهذا التأويل في تناول النصوص الدينية له جذر يهودي عندما اضطروا إليه لتمرير أخطاء العهد القديم امتد فيما بعد إلى معظم العقائد الباطنية وكان في مقدمتهما : المنهج الإمامي في تناول النصوص الدينية وأسبابه ودواعيه كما يذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي عديدة لكن من أهمها كما تقوم الشواهد على ذلك:

(١) التحرر من قيد النص المقدس ابتغاء التوفيق بينه وبين الرأي الذي يذهب إليه صاحب التأويل.

(٢) التحرر من قيد النص المقدس ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ وبين ما يقتضيه العقل.

(٣) الرغبة في تعميق صريح النص المقدس ابتغاء مزيد من العمق في الآراء التي يحتويها ومن هذه الدواعي يتبين أن ما يلجئ إلى التأويل هو الاضطرار إلى الأخذ بنص يعد مقدسا أو مقيدا ولولا هذا لما كان ثم أي داع إلى التأويل^(١).

وهذه الدواعي تصدق على كل من قال بالتأويل بالباطن سواء لدى اليهود أو المسيحيين أو غيرهم - أما حجة الباطنية فانهم قالوا لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل^(٢) فلظواهر القرآن والاحبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جليلة وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة وأن من تقاعد عقله عن الغوص على

(١) مذاهب الإماميين ج ٢/ ١٠ .

(٢) خطط المقرئ ج ٢/ ١٠٠ .

الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها مسارعا الى الاغترار بما كان تحت الأواصر والأغلال وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية فان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] "الآية" وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم إن الجاهل المنكرين للباطن هم الذين أريدوا بقوله تعالى ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣] (١).

ولقد عرف التأويل الرمزي أو الباطني لدى اليهود وانتقل اليهم من الفلسفة اليونانية. يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي "انتقل التأويل الرمزي الى اليهودية على يد فيلون اليهودي" (٢) في القرن الأول الميلادي الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة الى التأويل في العصر القديم وان كان قد سبقه في اليهودية كثيرون أولوا الكتب المقدسة في العهد القديم تأويلا رمزيا وهو نفسه يشير اليها لكن فيلون ذرف عليهم بأن جعل من التأويل مذهباً قائماً برأسه ومنهجاً في الفهم (٣).

والذين قالوا بالتأويل قبل فيلون هم "يهود الاسكندرية اذ كانوا يشرحون التوراة شرحاً رمزياً على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصاص

(١) الامام الغزالي فضائح الباطنية ص ١١ ، ١٢ تحقيق وتقديم د/ عبد الرحمن بدوي نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤.

(٢) فيلون الاسكندري ولد بالاسكندرية عام ٢٠ أو ٣٠ ق،م ومات بعد ٥٤ من القرن الأول للميلاد في زمن الحواريين وقد كان كبير المنزلة بين أبناء جنسه اليهود وطائفته يقول عنه د/ يوسف كرم "كان كبير القدر في قومه فمما يذكر عنه أنه في أواخر أيامه ذهب في وفد الى روما يشكو معاملة الحاكم الروماني على مصر لأهل ملته. ويعد فيلون من أشهر المؤلفين الذين كتبوا التوراة وشرحوها باليونانية. راجع اميل برييه الآراء الدينية والفلسفة لفيلون الاسكندري ص ٦. وما بعدها طبعة الحلبي ١٩٥٤م تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٧. دار بيروت لبنان.

(٣) مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ١١، ١٢.

الميثولوجيا وعبادات الأسرار^(١) وكان هذا هو الطريق الوحيد أمامهم لجعلها مقبولة لدى اليونان ويوجد في نسخة التوراة السبعينية آثار من هذا الاتجاه الرمزي الذي انتشر بين يهود الاسكندرية^(٢).

ولذلك فإن بعض اليهود كانوا لا يقرأون التوراة إلا في هذه الترجمة اليونانية^(٣) ومن تأويلاتهم أنهم قالوا عن التوراة (التي هي في جملتها تاريخ بني إسرائيل وما أصابوا من نعم حين كانوا يراعون شريعة الله وما عانوا من نقمة حين كانوا يعصونها):

إنها تمثل قصة النفس مع الله تدنو النفس من الله بقدر ابتعادها عن الشهوة فتصيب رضاه وتبتعد منه بقدر انصياعها للشهوة فينزل بها سخطه.

وكانوا يؤولون الفصل الأول من سفر التكوين مثلاً بأن الله خلق عقلاً خالصاً في عالم المثل هو الإنسان المعقول ثم صنع على مثال هذا العقل عقلاً أقرب إلى الأرض (هو آدم) وأعطاه الحس (وهو حواء) معونة ضرورية له فطاع العقل الحس وانقاد للذة (الممثلة بالحياة التي وسوست لحواء) فولدت النفس في ذاتها الكبرياء (وهو قابيل) وجميع الشرور وانتفى منها الخير (وهو هابيل) وماتت موتاً خلقياً وأولوا عبور البحر الأحمر بأنه رمز لخروج النفس من الحياة الحسية وسبعة أغصان الشمعدان بأنها رمز للسيارات السبع وأولوا الحجرين الكريمين اللذين يحملهما الكائن الأكبر بأنهما رمز للشمس والقمر أو لنصفى الكرة الأرضية والآباء الذين يعود اليهم ابراهيم بأنهم رمز للكواكب^(٤).

(١) د/ يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٨.

(٢) د/ النشار نشأة الفكر ج ١ ص ٧٤ (والسبعينية هي أقدم الترجمات وأشهرها قام بها في القرن الثالث ق.م تلبية لدعوة بطليموس فيلاذيف اثنان وسبعون عالماً وهذا العدد هو أصل التسمية هامش تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٧ راجع أيضاً ترجمات العهد القديم في رسالة الدكتوراه "تأثر اليهودية بالاديان القديمة"

(٣) د/ يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٧ .

(٤) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٨.

وأولوا ابراهيم بأنه "التنور" (العقل) وزوجته سارة بأنها الفضيلة والفصح بأنه
إما - تطهير الروح أو خلق العالم^(١).

أما فيلون فقد أصطنع هذا الضرب من التأويل غير أنه يقف به عند حد وان
كان يستابع الفلاسفة أحيانا على خلاف قصد الشريعة^(٢) وقد دفعه الى اتخاذ هذا
المذهب (التأويل الرمزي) الحملة التي قام بها المفكرون اليونانيون على ما في
التوراة (العهد القديم) من قصص وآساطير ساذجة أو غير معقولة : مثل برج بابل
والحية التي أغرت حواء في الجنة وغيرها فاضطر فيلون الى الدفاع عن التوراة
بتأويل هذه المواضع الأسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراة تأويلا بالباطن
ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس وأن التفسير بالمعنى الحرفي هو
مجرد جسم هذا النص المقدس - للنص سيؤدي حتما الى الفكر والإحالة^(٣).

ويذكر اميل ابريهيه أن التأويلات التي ذكرها فيلون باعتبارها مأثورة تتناول
تقريبا كل الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس أي التوراة وأنه بلا ريب
مجرد حالة عرضية أن نجد الأكبر عددا من هذه التأويل يتصل بحياة ابراهيم ولكن
توجد أخرى عن آدم والجنة وعن يوسف وعن الخروج وعن المعجزات وعن
صلاة موسى وغير ذلك^(٤).

والغرض الأساسي عند فيلون من استعمال التأويل الرمزي ومحاولة تطبيقه
على نصوص التوراة هو تحويل أشخاص قصص التوراة الى رموز يعبر بها عن
جوانب الخير والشر في النفس الانسانية ونزعاتها المختلفة، فقصة بدء الخليقة تمثل
عند فيلون رموزا ايحائية تفسر حالات النفس الانسانية تفسيرا داخليا كما أنها تمثل
عنده تقلبات النفس البشرية بين حالات الخير والشر والرذيلة والفضيلة - فآدم مثال
للنفس العارية عن الفضيلة والرذيلة نراه يخرج من هذه الحالة بالاحساس المرموز

(١) مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ١٢

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٩.

(٣) مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ١٢

(٤) الاراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندري ص ٨٧.

له (حواء) التي تغريها اللذة والسرور المرموز لهما بالحياة، وبهذا تلد النفس العجب المرموز له بـ (قابيل) مع كل ما يتبع ذلك من سوء ومن ثم نجد الخير المرموز له بـ (هابيل) يخرج من النفس ويبتعد عنها وأخيراً تغنى النفس الانسانية في الحياة الاخلاقية ولكن تنمو بذور الخير التي في النفس بسبب الأمل والرجاء المرموز له بـ (أنبيوس) والندم المرموز له بـ (إدريس) ثم ينتهي الأمر بعد ذلك الى العدالة المرموز لها بـ (نوح) ثم بالجزاء على ذلك وهو التطهير التام المرموز به بـ (الطوفان) ^(١).

هذا نموذج لشرحه وتفسيره لأشخاص التوراة تفسيراً رمزياً ومن خلال ذلك التأويل نستطيع أن ندرك كيف تحولت الشخصيات الدينية عنده الى رموز لحالات نفسية معينة ^(٢).

ويسوق الدكتور عبدالرحمن بدوي أمثلة أخرى على تأويلات فيلون لمواضع في التوراة فهو يؤول الجنة بأنها ملكوت الروح وشجرة الحياة بأنها خوف الله وشجرة المعرفة هي الحكمة والأنهار الأربعة في الجنة هي الفضائل الأربع الأصلية وهابيل بأنه التقوى الخالصة من الثقافة الفعلية وقابيل بأنه الأناني وشيث الفضيلة المزودة بالحكمة وأخنوخ الرجاء وسارة بأنها الفضيلة والحكمة ويوسف بأنه نموذج الرجل السياسي ومعطفه المؤلف من عدة ألوان يدل على سياسته المركبة الضيقة الإدراك ^(٣).

ويؤول فيلون الوعود الإلهية الواردة في التوراة بأنها خيرات روحية للنفس الصالحة وسيادة الشريعة على العالم حتى التئام اليهود في بلد واحد بعد

(١) راجع الآراء الدينية والفلسفية لفيلون ص ٧٣-٩٥ الامام بن تيمية وموقفه من التأويل ص ٤، ٢، ٥، ٢.

(٢) دكتور محمد السيد الجليلي الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٥، ٢.

(٣) مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ١٢، ١٣

توبتهم يؤوله بمعنى اجتماع الفضائل في النفس وتتاسقها بعد ما تحدث الرذيلة من نشئت^(١).

ويلاحظ أن تأويل فيلون قريب إلى حد ما من تأويل يهود الإسكندرية الذين سبقوه فقد كان الاتجاه العام لفيلون في شرحه للشرعية هو وضع المعنى الخلقى بازاء المعنى الحرفى أو نقل الثاني إلى الأول أحيانا فيرى في الطقوس الدينية علامات على الشروط الخلقية اللازمة للعبادة وفى تحريم الحيوانات النجسة وجوب قمع الشهوات الرديئة، ومثل هذا النقل أو ذلك التأويل ينزع عن الشرعية صفتها الظاهرية أو المدنية ويحولها الى قانون باطن^(٢).

وقد فعل هذا من قبله كثير من اليهود "إذ كانوا يدينون بدينهم ولكنهم يتحللون من قيود الشرعية بالتأويل"^(٣) وهذا واضح بين تأويلات الباطنية "فقد أخذوا بالباطن فقط والأخذ بالظاهر فقط خروج عن الإسلام في نظرهم وقد بينا ذلك وأوضحناه بالتفصيل في كتابنا " العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها " انتقل التأويل الرمزي أو الباطنى إلى غلاة الشيعة وخاصة الباطنية منهم وفى ذلك يقول الدكتور محمد الجليند "يبدو الآن واضحا أن هناك علاقة تاريخية قوية بين التأويل عند الباطنية والقرامطة وبين ما وجدناه عند فيلون ويذكر أن طريقة التأويل قد تسربت إليهم عن طريق الفلسفة اليونانية التي ظلت تنبض بالحياة في مدرسة الإسكندرية بعد أن اصطبغت بالافلاطونية المحدثه حتى آخر زعيم لهذه المدرسة وهو "اصطفن الإسكندري" وذلك زمن الفتح الإسلامي للإسكندرية ثم انتقلت هذه الفلسفة إلى مدارس انطاكية وحران وهى تحمل معها تعاليم الافلاطونية المحدثه وآراء فيلون الإسكندري وموقفه من نصوص التوراة بعد محاولته التوفيق بينها وبين آراء

(١) د/ يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٩

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٩

اليونان وبقيت تعاليم هذه الفلسفة مختمرة مرة في ظل الحكم الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري وبها شروح فيلون للتوراة وطريقته في التأويل^(١).

ويذكر الدكتور النشار أن المسلمين عرفوا الغنوصية اليهودية ونقلت إليهم بل أن فيلون قد وصل إليهم خلال مسالك متعددة وانبثت أفكاره في كثير من الكتب^(٢).

وكون أفكار فيلون وتعاليمه (بما فيها شروحه للتوراة وتأويله الرمزي لها) قد نفذت إلى الحياة الفكرية في المجتمع الإسلامي يجعل من الطبيعي جدا أن يتأثر غلاة الإمامية بهذه التأويل، ويدعم ذلك الاستنتاج الصلات القوية وأوجه التشابه الكثيرة بين المنهج اليهودي وغلاة الإمامية.

ويحتمل أيضاً أن يكون التأويل الرمزي قد انتقل أولاً إلى السبئية طريق عبد الله سبأ فهو يهودي بل من علماء اليهود ولا يستبعد اطلاعه على حركة التأويل عند اليهود قبل فيلون وبعده ويؤيد هذا الاحتمال ما قام به ابن سبأ من عرض لأفكار يهودية كالرجعة والوصية واستناده فيهما على التأويل، وجاء من بعده تلميذه ابن حرب ونقل عقيدة الاسباط من الفكر اليهودي وقام بتأويل آيات من القرآن تؤيد دعواه ، وبيان بن سمعان صاحب البيانية كان ذا أصل يهودي وقال هو الآخر بالتأويل وخاصة عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] واتصل اليهود بالكنيسانية اتصالاً وثيقاً وكان التأويل من الأسس الهامة لدى الكنيسانية، والمغيرة بن سعيد العجلي كان على صلة باليهود وقد قال بالتأويل الذي يسبب فيه الصحابة ويلعنهم وهو ما يبغيه اليهود ويهدفون إليه ثم ما فعله فيما بعد كما سنراه في الصفحات القادمة غلاة الإمامية يؤكد انتقال التأويل من اليهود إلى

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١ - راجع أيضاً الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي للدكتور محمد البهي من ص ١٤٠، إلى ص ١٦٠ نشر وهبة ١٩٨٢م.

(٢) نشأة الفكر ج ١ ص ١٨٨

الإمامية هو أن مؤسس الباطنية وهي الشجرة التي أثمرت فكر الغلو الامامي فيما بعد يهودي كما سبق وأن ذكرناه في كتابنا " العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها " وقد قال عن هذا المؤسس الحمادي إنه جعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا وزخرف الأقوال وضرب الأمثال وجعل لآي القرآن شكلا يوازيه ومثلا يضاهيه^(١) " وقد استخدم عبد الله بن ميمون التأويل فأدخله إلى الباطنية وتوسع فيه وكان أبوه ميمون من قبل قد وضع كتابا في التأويل الباطني وأخذ يؤول الآيات القرآنية بما يتفق مع عقيدته في إمامة إسماعيل وابنه محمد وأسبغ عليهما قداسة كبرى^(٢) وأضاف ابن ميمون إلى ما فعله أبوه فتطورت العقيدة تطورا ملحوظا وأخذ هو يجمع ويلفق بين مختلف الآراء مستعينا بالتأويل^(٣) .

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرا إلى أن أصل مقالة التأويل بالباطن غير إسلامي وصرح في بعض كتبه أنه أصل يهودي^(٤) والشيخ محمد الخضر حسين يقول "لم يكن تأويل البهائية وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لأصولها بشيء ابتدعوه من عند أنفسهم ابتداعا وإنما هو صنع عملوا فيه على شاكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل من أمثال فيلون الفيلسوف اليهودي^(٥) - ويقول الدكتور محسن عبد الحميد إن التأويل الباطني لآيات القرآن قديم لجأ إليه لهدم الإسلام وشريعته الأنبياء الكذابون والهدامون من أهل النحل الباطنية كالخرمية والقرامطة وهم قد أخذوا التأويل من أدباء اليهود وفلاسفتهم الذين عاشوا في الإسكندرية ق.م^(٦) .

(١) كشف أسرار الباطنية ص ١٩٧

(٢) د/ النشار نشأة الفكر ج ٢ ص ٣٧٩

(٣) المصدر السابق ج ٢، ص ٣٩٠

(٤) الامام بن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٠٢

(٥) اليابية أو البهائية ص ٢١

(٦) حقيقة اليابية والبهائية ص ١٧٩

ومما لاشك فيه أن اتصال الباطنية بالكبالات اليهودية كان له أثر في نقل طريقة التأويل بالباطن واستغلالها لآيات القرآن بعد أن كانت مستخدمة في آيات التوراة وكان اليهود الذين تظاهروا بالاسلام وانضموا الى الباطنية فرحين بهذا النهج إذ كان يحقق لهم ما يريدون من انسلاخ المسلم عن عقيدته وانخلاءه من شريعته، يقول المقرئى "دخل جماعات من الناس في دعوة الباطنية ومالوا الى قولهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به فضلوا - وأضلوا عالما كثيرا (١) .

فبينما اليهود كانوا يلجأون الى التأويل ليتحلوا من قيود الشريعة وينزعون عنها صفتها الظاهرية أو المدنية ويحولونها الى قانون باطن نجد أيضا أن الباطنية "كان غرضهم الأقصى إبطال الشرائع فانهم اذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين (٢) - فالمنقول عنهم الاباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وانكار الشرائع (٣) والذى جعل الباطنية يلجأون الى التأويل انهم "لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما الى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض أو التكذيب المجرد لم يحظوا بموالاة الموالين وكانوا أول المقصودين المقتولين (٤)

وقد ذكر الامام الغزالى نماذج من تأويلات الباطنية وقسمها الى:

الشرعيات ، المعاد ، المعجزات وفصل فيها القول (٥) وقد أجملها الامام ابن الجوزى بقوله: قالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر ومعنى الغسل:

(١) خطط المقرئى ج ٣ ص ٣٠٣

(٢) فضائح الباطنية ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٥) راجع المصدر السابق من ص ٥٥-٥٨ .

تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد - والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هي النبي. والباب على. والطوفان طوفان العلم اغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذي يحصن به من استجاب لدعوته ونار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقية - وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه وعصى موسى حجته - ويأجوج وماجوج هم أهل الظاهر^(١).

ومن نافلة القول التأكيد على أن استناد الباطنية وغيرهم من غلاة الشيعة على قضية أن لكل شئ ظاهرا وباطنا استناد لا أساس له من الصحة وقولهم بأن هناك أموراً لا يعلمها إلا أئمتهم وهي أسرار إلى غير ذلك كله دجل وشعوذة ليصلوا إلى أغراضهم وفي ذلك يذكر ابن حزم أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سر تحته^(٢) وهو كله لازم كل أحد لا مسامحة فيه وكل من ادعى للديانة سرا أو

(١) تلبس إبليس ص ١٠٨ .

(٢) لعل من الأفضل أن يؤخذ كلام ابن حزم على إطلاقه فليس معنى أن نعارض الباطنية أن ننكر أن في كلام الله أسراراً وخفايا فليس الخطر في أن يكون في كلام الله تعالى باطن وظاهر ولكن الخطر في أن يكون الباطن مستقلاً عن الظاهر وأن تكون له مقاييسه الخاصة بحيث ينفرد عن أحكام الظاهر . يقول لامام التفتازاني "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تتكشف على أرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان، (السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٣٦). ونقل ابن الجوزي عن ابن عقيل قوله "هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية فأما أهل الباطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شئ إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الواجب والنهي عن المنهي. أما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله فحملوا الأسماء لضافت على ما عقلوه والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظواهر مالم يصرفنا عنه بل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع (تلبس إبليس ص ١٠٩)

باطنا فهي دعاوى ومخاريق . ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا أطلع أخص الناس به من زوجه أو أبنه أو عم أو ابن عم أو صاحب على شئ من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير مادعا الناس كلهم إليه ولو كتم لما بلغ شيئا كما أمر ومن قال هذا فهو كافر بإجماع الأمة^(١) .

والباطنية قد اعتمدوا على الظن والوهم "وميدان الظن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الأوهام"^(٢) وقال النسفى فى عقائده:

النصوص على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد وقال التفتازانى فى شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية^(٣) .

ولا يتردد ان تيمية فى الحكم على معتقد هذه التأويلات كالباطنية بالزندقة والكفر والالحاد ثم يتتبع المنهج الباطنى لدى جميع الفرق التى سلكت فى تأويل القرآن مسلك الظاهر والباطن أو الرمز والمرموز أو المثل والممثل فيبين لكل من سلك هذا المسلك أنه طريق الشيطان وليس طريق الرحمن^(٤) .

وإذا كانت طريقة الغلاة فى التأويل فاسدة فإن محصلات التأويل التى استنتجوها من تأويلاتهم قد خالفوا بها الشريعة فرفعوا التكاليف وتركوا الفرائض وارتكبوا المحرمات وهذا وحده كفى بالحكم على من يؤول القرآن كتأويلات الباطنية بأنه خارج عن المنهج الإسلامى ومخالف لإجماع المسلمين ومن ثم فهو شارد عن صراط الله المستقيم .

(١) ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ١١٦

(٢) خطط المقرئ ج ٣ ص ٣١٣

(٣) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ص ٢٣٦ ج ٢

(٤) الامام ابن تيمية وموقفه من التأويل ص ٢٩٩

التشبيه والتجسيم

جاء فى المعجم الفلسفى أن "التشبيه هو تصور الأله فى ذاتها وصفاتها على غرار الانسان" وأن "المشبهة هم قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثله بالمحدثات^(١)" ويقول الدكتور محمد يوسف موسى "فكرة التشبيه معناها الذهاب الى أن بين الله تعالى والانسان وجوه شبه فى الذات أو فى الصفات أو فى كليهما معا^(٢) .

وذكر الدكتور محمد البهى أن التشبيه معناه تقريب المعبود من الانسان وتوثيق أواصر الشبه بينهما فما يتصوره الانسان فى دائرته يحمله كذلك على معبوده وما يشرح للإنسان فى البيئة الانسانية يعطى على نحوه للإله^(٣) .

وهكذا فإن تشبيه الاله بالمخلوق يجعله مضاهيا له فى هيئته وتكوينه وطبعا المخلوق جسم فيكون الإله جسما ويوصف بالجسمية ولأن المخلوق له حيز لجسمانيته فهم - أى المشبهة يجسمون الله بشكل معين ويجعلون له مكانا محددا. فالتجسيم إذن ناتج عن التشبيه وقد يستعملان فى صعيد واحد ويؤديان معنى مشتركا .

وقد بدأ القول بالتشبيه فى الاسلام - أو بمعنى أدق فى الفكر الاسلامى - على أيدى غلاة الشيعة "إذ أن جماعة منهم صرحوا بالتشبيه"^(٤) .

ويقول الشهرستاني "وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة^(٥) ثم انتقل منهم الى غيرهم واعتبره الشهرستاني إحدى بدع الغلاة الأربعة المشهورة^(٦) .

(١) ص ٤٤ مجمع اللغة العربية ١٩٧٩

(٢) القرآن والفلسفة ص ٦٨ طبعة دار المعارف ١٩٨٢م

(٣) الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ٦٣

(٤) الشهرستاني الملل والنحل ص ١٠٥

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٣

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٣

وقد أعتنقه كثير من الغلاة وصار هو والتجسيم من عقائدهم الرئيسية بل "كان التجسيم مبدأ مشتركاً بين جميع فرق الغلاة والعلة في اجتماعهم عليه هو أنهم ركزوا اهتمامهم في الارتفاع بالإنسان مرة حتى يصير إلهاً والنزول بالإله حتى يصير إنساناً فعقيقتهم في جدلهم الصاعد والنازل تعتمد على إله وإنسان وكلها تدور حول الارتفاع بهذا الإنسان فحاجتهم إلى التجسيم أشد من حاجتهم إلى التجريد فهم لا يستطيعون تجريد المادة الحية السائرة الآكلة الشاربة وإنما يستطيعون أن يجسموا المجرد لتقريب فكرة تألية الإنسان^(١) .

ومن أجل ذلك "سرت شبهات اليهود والنصارى في أذهان الغلاة إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق^(٢) " .

ومعنى هذا أن كلا من التجسيم والتشبيه قد يؤدي إلى القول بالحلول وهو ما عناه الشهرستاني بقوله "ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية وقال يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل في صورة أعرابي وقد تمثل لمريم بشراً سوياً^(٣)" ثم يقول "والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول أي أنهم مشبهة وذهبوا إليه نتيجة التشبيه^(٤) ولذلك فإن البغدادى يرى أن المشبهة صنفان صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره ثم يذكر أن الأول صادر عن أصناف الغلاة من الروافض ويضع منهم السبئية لقولهم بالإلهية على والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية والمقنعية والعذاقرة أي كل من قال بالحلول يكون مشبهاً^(٥) لأنهم قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك وذكر من المشبهة أيضاً الحلمانية المنسوبة إلى أبي حلمان الدمشقى الذى زعم أن الإله يحل في كل صورة حسنة وكان يسجد لكل صورة

(١) د/ كامل مصطفى الشببي الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٢٤

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٧، ١٠٨

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٣

(٥) البغدادى الفرق بين الفرق ص ١٣٨

حسنة^(١) اعتقاداً منه أنها محل روح الإله ومثله المقنع بن بابك الخرمي الذي قال عن نفسه إنه كان إلهاً وأنه مصور في كل زمان ومكان بصورة مخصوصة^(٢) ومجمل القول أن التشبيه وجد عند الغلاة بل هم أول من قالوا به وأنه وجد له بين عقائدهم مكاناً فسيحاً وقد ارتبط بقولهم بالحلول.

ويذكر الرازي أن ظهور التشبيه في الإسلام كان من الروافض وعلى يد (بيان) الذي ادعى لله تعالى الأعضاء والجوارح^(٣) بل كان التجسيم عقيدة بيان الرئيسية^(٤) وجاء من بعده المغيرة بن سعيد ووصفه البغدادي بأنه أفرط في التشبيه ولكن صورة التشبيه قد بلغت إلى حد كبير من الغلطة لدى الهشامية من غلاة الشيعة المنسوبون إلى هشام بن الحكم وتلميذه هشام بن سالم الجواليقي^(٥) ولقد وصفهم الشهرستاني من بين أصناف الغالية في الشيعة ونعت الأول بأنه صاحب المقالة في التشبيه وذكر عنه أنه غلا في حق علي فقال إنه إله واجب الطاعة والثاني بأنه هو الذي نسج على منواله في التشبيه^(٦) أما هشام ابن الحكم فانتحل في التوحيد التشبيه بهدف هدم أركان الإسلام فهدم ركن التوحيد وساوى بين الخالق والمخلوق^(٧).

ويذكر الدكتور النشار أن مؤرخي الفكر الإسلامي القدامى أجمعوا على أن هشام بن الحكم هو أول من قال إن "الله جسم" وأن مقالة التجسيم في الإسلام إنما تنسب إليه فهو أول من أدخلها أو ابتدعها كما نسب إليه التشبيه أيضاً^(٨).

(١) الفرق بين الفرق ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق : نفس الموضع

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين ص ٩٧

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٢٤

(٥) الأسفراييني التبصير في الدين ص ٢٥، والملل والنحل ج ١ ص ١٠٥ اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين ص ٩٧، ٩٨

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٨٤

(٧) الملطى التنبيه والرد على أهل الأهوال والبدع ص ٢٥

(٨) نشأة الفكر الفلسفي ج ٢ ص ١٧٣ طبعة ١٩٧٧م دار المعارف.

ومهما قيل فى الدفاع عنه فإن الآراء التى نسبت اليه تثبت إفراطه فى التشبيه وقوله بالتجسيم الغليظ فقد زعم أن - أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه ولم يثبت طولاً غير الطويل ولا عرض غير العريض وقال ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض^(١) .

وقال: إن بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه وأنه جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار^(٢) - تعالى الله - وقد غير مذهبه فى سنة واحدة عدة تغييرات فزعم تارة أن الله تعالى كالسبيكة الصافية وزعم مرة أخرى أنه كالشمع الذى من أى جانب نظرت كان ذلك الجانب وجهه واستقر رأيه عاقبة الأمر على أنه سبعة أشياء لأن هذا المقدار أقرب إلى الاعتدال من سائر المقادير^(٣) .

وزعم أتباعه أنه نور ساطع له قدر من الأقدار يتلأل كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسدة ، لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ورائحته هى مجسته^(٤) .

ونقل عن هشام أيضاً أنه قال : المعبود هو سبعة أشبار بشبر نفسه كأنه قاسه على الانسان لأن كل إنسان فى الغالب^(٥) من العادة سبعة أشبار بشبر نفسه^(٦) وأمام هذه الترهات لا يملك العاقل إلا أن يقول إن هذه الصورة من التشبيه وتلك الأوصاف فى التجسيم لم يكن يفكر فيها مسلم مخلص ومن ثم فإن الغلاة عند تشبيههم لم يفعلوا ذلك بتأثير من الدين الاسلامى وإنما كان له مصدر خارجى آخر

(١) الفرق بين الفرق ص ٤١

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٨٤

(٣) اعتقادات فرق المسلمين ص ٩٧ ، ٩٨

(٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٠٦

(٥) الشهر ثانى ج ١ ص ١٨٤

(٦) الفرق بين الفرق ص ٤١

- يرى الشهرستاني أن المشبهة كانوا يضعون أخبارا وينسبون لها إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأكثرها مقتبسة من اليهود فإن التشبيه فيهم طباع حتى قالوا عن الله اشتكت عيناه فعادت الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وإن العرش لينط من تحته كأطيط الرجل الجديد وأنه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع^(١) ويذكر الشهرستاني أن التشبيه من مسائل اليهود التي بحثوها وإن كان بعضهم يقول بنفي التشبيه^(٢) ولذلك فإن الدكتور محمد البهي يذهب إلى أن عقيدة التشبيه كانت لدى العامة من المؤمنين دون خاصتهم وكانت لا تجد رواجاً بينهم ولذلك كان هناك طائفة تعتقد بنفي التشبيه بجانب طائفة المشبهة من أتباع اليهود ويذكر الرازي أن اليهود^(٣) أكثرهم مشبهة^(٤) ويقول - في موضع آخر - أن الأغلب على اليهود التشبيه^(٥).

ويبين الشهرستاني أن اليهود لجأوا إلى التشبيه لأنهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهراً والنزول على طور سيناء انتقالاً والاستواء على العرش استقراراً وجواز الرؤيا فوقاً وغير ذلك^(٦).

وقد ورد في سفر التكوين "وقال الله نعمل - الإنسان على صورتنا كشبهنا - فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه وقالوا عن الله أيضاً "وبارك الله اليوم السابع وقسسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً" فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل كالإنسان فبعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع بل إن الشهرستاني يذكر أن اليهود قد اجتمعت عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٨٥

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٦

(٣) راجع الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص ٥٨-٥٩

(٤) اعتقادات فرق المسلمين ص ٩٧

(٥) المصدر السابق ص ١٢٨

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ٢١٢

والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا إحدى رجليه على الأخرى^(١)، وورد أيضا في سفر الخروج عن بني إسرائيل وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيئ لهم لكي يمشوا نهارا وليلا لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب^(٢).

ويذكر الإمام ابن حزم أنه ورد في كتبهم أنه قد صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون رجلا من المشايخ ونظروا إلى إله إسرائيل وتحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي وكسما صافية ولم يعد الرب يده إلى خيار بني إسرائيل الذين نظروا إلى الله وأكلوا وشربوا وكان منظر عظمة السيد كنار آكله في قرن الجبل يراه جماعة من بني إسرائيل^(٣) ويعلق ابن حزم على ذلك بقوله "هذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به"^(٤).

وقد ساعد على تقبلهم تشبيه الإله بالخلق طبيعتهم المادية وتفكيرهم الحسي، وعبادتهم للعجل وطلبهم رؤية الله جهرة وميلهم إلى اتخاذ إله كالوثنيين ليس كل ذلك ببعيد.

فليس غريبا أن يكون اليهود مشبهة أو يكون أكثرهم ذلك على التشبيه وهذا الأمر ثابت لا خلاف عليه وهو أن التشبيه كان عند اليهود ولكن كيف تسربت عقيدة التشبيه إلى المجتمع الإسلامي أو إلى محيط غلاة الشيعة.

يقول الدكتور النشار "عندما انتقل الإسلام إلى يثرب وجد أمامه بني إسرائيل من أبناء إسحاق قوما لا يؤمنون بالوحدانية المطلقة يؤمنون بإله واحد لهم فقط وقد مزجوا ألوهيته بالتجسيم أو التشبيه ويغلون في التجسيم والتشبيه أشد غلو.

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢١٩

(٢) الإصحاح الثالث عشر ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٦١

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٦١

ويذكر الأستاذ محمد زاهد الكوثري أن فيمن نقلوا عقيدة التشبيه عدة من أحبار اليهود أظهروا الإسلام في عهد الراشدين ثم أخذوا بعدهم في بث ما عندهم من الأساطير بين من تروج عليهم ممن لم يتهذب بالعلم من أعراب الرواة وبسطاء مواليتهم فتلقفوها منهم ورووها لآخرين بسلامة باطن معتقدين ما في أخبارهم في جانب الله من التجسم والتشبيه^(١).

ومن أمثال هؤلاء ما قاله كعب الأحبار: أقرب الخلق إلى الله تعالى جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وهم تحت زوايا العرض وبينهم وبين رب العالمين خمسون ألف سنة وأيضا وما قاله أيضا وهب بن منبه "أربع أملاك يحملون العرض على أكتافهم لكل واحد منهم أربع وجوه وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه ليحفظاه من أن ينظر إلى العرض فيصعق فيهفو بهما ليس له كلام إلا أن يقول قدوس الملك القوى ملأت عظمته السماوات والأرض^(٢)".

ويذهب الإسفراييني إلى أن اليهود هم الأصل في التشبيه فكل من قال في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم وأخذ مقالة من مقالتهم^(٣) ويقول "إن المشبهة من غلاة الشيعة أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد وقالوا عزيز بن الله وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجئ والذهاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(٤)".

ولو تتبعنا أول من قال بالتشبيه من غلاة الشيعة لنجد أنه بيان كما قال الرازي وبيان بن سمعان ذو أصل يهودي والمغيرة بن سعيد بافراطه في التشبيه لم يكن ذلك غريبا عليه وهو ساحر ويتعلم السحر على يد يهودية يختلف إليها كثيرا

(١) مقدمة تبين كذب المفترى نقلا عن د/ النشار نشأة الفكر ج ١ ص ٢٨٧

(٢) الملطى التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٠١-١٠٢

(٣) التبصير في الدين ص ٩٠

(٤) المصدر السابق ص ٢٥

والدكتور النشار يعلق على تشبيهه وتجسيم المغيرة بأنه أثر واضح للكبالات اليهودية في المجتمع الاسلامي^(١).

اما الهاشمية فيصرح الاسفراييني بأنهم أخذوا تشبيههم من اليهود^(٢) والذي يتأمل في تشبيهات الهاشمية يستنتج أنها كانت مؤامرة فكرية للقضاء على عقيدة التنزيه التي يتمتع بها المسلمون في ظل عقيدتهم في الله سبحانه وتعالى وهذا هو ما يبغيه اليهود هذا وقد رد إمام الحرمين الجويني على من قال إن الله جسم بقوله: إن سميتم الباري تعالى جسماً وأثبتتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين: إما نقض دلالة حدث الجواهر فإن مبناها على قبولها للتأليف والمماساة والمباينة وإما أن تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع وكلاهما خروج عن الدين وانسلاخ عن ربة المسلمين.

أما من زعم منهم أنه لا يثبت للباري تعالى أحكام الأجسام وإنما المعنى بتسميته جسماً الدلالة على وجوده فرد عليهم بقوله: لم تحكمتم بتسمية ربكم باسم ينبئ عما يستحيل في صفته، من غير أن يرد به شرع أو يستقر فيه سمع، وما الفصل بينكم وبين من يسميه جسداً، ثم يحمل الجسد على الوجود، فإن قيل: إذا لم يمتنع تسمية الإله نفساً كما دل عليه قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فلا يمتنع أيضاً تسميته جسماً قلنا لا يسوغ القياس في إثبات أسماء الرب سبحانه وتعالى إذ لو ساغ ذلك لساغ مثله في الجسد على أن النفس يراد بها الوجود ولذلك يحسن قول القائل: نفس العرض والعرض نفسه ولا يصح أن يقال: جسم العرض ثم الأصل اتباع الشرع^(٣).

(١) نشأة الفكر الفلسفي ج ٢ ، ٩٥

(٢) التبصير في الدين ص ٢٥

(٣) الارشاد ص ٤٣-٤٤ تحقيق د/ محمد يوسف موسى وعلى عبد الملعم نشر مكتبة لخنجي

بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٥٠م

ويرى الإمام التفتازانى أن الواجب ليس بجسم لأن كل جسم مركب وكل مركب محتاج الى جزئه ولا شئ من المحتاج بواجب وليس بعرض لأن كل عرض محتاج الى محل يقومه ولا جوهر لأن معنى الجوهر ممكن يستغنى عن المحل.

وذكر أن فى نفى الجسمية وجوها منها: الأول أن كل جسم حادث، الثانى أن كل جسم متحيز بالضرورة والواجب ليس كذلك، الثالث: أن الواجب لو كان جسما فإما أن يتصف بجميع أصناف الأجسام فيلزم اجتماع الضدين كالحركة والسكون ونحوهما وإما أن لا يتصف بشئ فيلزم انتفاء بعض لوازم الجسم مع أن الضدين قد يكونان بحيث يمتنع خلو الجسم عنهما وإما أن يتصف ببعض دون البعض فيلزم احتياج الواجب فى صفاته إن كان ذلك لمخصص ويلزم الترجيح بلا مرجح إن كان لا لمخصص^(١).

(١) سعد الدين عمر التفتازانى شرح المقاصد المجلد الثانى ص ٤٨-٤٩ نسخة صورة عن طبعة ١٢٧٧هـ راع فى بطلان التجسيم أيضا شرح المواقف .

البداء عند الإمامية

جاء فى لسان العرب بدا الشئ أى ظهر والبداء استصواب شئ علم بعد أن لم يعلم وذلك على الله غير حائز^(١).

وورد فى التعريفات أن "البداء ظهور الرأى بعد أن لم يكن، والبدائية هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى^(٢):"

والشهرستانى يذكر أن البداء على الله له معان: البداء فى العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم . ويعقب على ذلك بقوله: ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد، والبداء فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم والبداء فى الأمر وهو أن يأمر بشئ ثم يأمر بشئ آخر بعده بخلاف ذلك ويعلق قائلاً: ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة فى - الأوقات المختلفة متناسخة^(٣).

والامام الأشعرى يذكر اختلاف الروافض فى جواز البداء على الله تعالى على ثلاث مقالات:

١- فالفرقة الأولى منهم يقولون إن الله تبدو له البداوات وأنه يريد أن يفعل الشئ فى وقت من الأوقات ثم لا يحدثه لما يحدث له من البداء وأنه إذا أمر بشريعة ثم نسخها فأنما ذلك لأنه بدا له فيها وأن ما علم أنه يكون ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فجائز عليه البداء فيه وما اطلع عليه عباده فلا يجوز عليه البداء فيه.

٢- والفرقة الثانية منهم يزعمون أنه جائز على الله البداء فيما علم أنه يكون حتى لا يكون - وجوزوا ذلك فيما اطلع عليه عباده وأنه لا يكون كما جوزوه فيما لم يطلع عليه عباده.

(١) ابن منظور لسان العرب ص ٢٣٤ مادة بدا

(٢) السيد الشريف الجرجانى التعريفات ص ٣٦

(٣) الملل والنحل ج ١، ١٤٨-١٤٩

٣- والفرقة الثالثة منهم يزعمون أنه لايجوز على الله عز وجل البدء وينفون ذلك عنه تعالى^(١) .

وقول الأشعرى يفيد أن الشيعة لا يجمعون على القول بالبدء وإنما يوجد منهم من لا يجوز له والذين أجازوه هم الغلاة والامامية - ولكن تفسير الامامية للبدء يجعله مختلفا تماما عن البدء الذى يقول به الغلاة.

يقول الشيخ المفيد: أقول فى معنى البدء ما يقوله المسلمون بأجمعهم فى النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء والإمراض بعد الإعفاء .. فأما اطلاق لفظ البدء فإنما صرت اليه بالسمع ولو لم يرد به سمع أعلم صحته ما استجزت اطلاقه .. ولكنه لما جاء السمع به صرت اليه على المعانى التى لا تأبأها العقول وليس بينى وبين المسلمين فى هذا الباب خلاف وإنما خالف من خالف فى اللفظ دون سواه .. ويقرر أن البدء من الله يختص ما كان مشروطا فى التقدير وليس هو الانتقال من عزيمة الى عزيمة من تعقيب رأى تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا^(٢) .

ويذكر الشيخ محمد رضا المظفر أن البدء فى الانسان هو أن يبدو له رأى فى الشئ لم يكن له ذلك الرأى سابقاً بأن يتبدل عزمه فى العمل الذى كان يريد أن يصنعه إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه ويرى أن البدء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية^(٣) .

وينقل عن الإمام جعفر الصادق قوله :

" من زعم ان الله تعالى بدا له فى شئ بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم" وقوله أيضاً (من زعم أن الله بدا له فى شئ ولم يعلمه أمس فأبرأ منه)، غير أنه

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١١٣

(٢) أوائل المقالات ص ٥٣ وتصحيح الاعتقاد ص ٢٥ نقلا عن د/ يحيى هائم نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١٥٥.

(٣) عقائد الامامية ص ٥٠-٥١ طبعة المطبعة العالمية القاهرة ١٩٧٣ .

وربت عن أئمتنا الأطهار روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم كما ورد عن الصادق (ع) (ما بدأ الله في شيء كما بدأ له في اسماعيل ابني) والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً مع سبق علمه تعالى بذلك، وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشرعية نبينا صلى الله عليه وسلم بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وسلم^(١).

فالبداء عند الشيعة الاثني عشرية منزلة في التكوين كمنزلة النسخ في التشريع فالله كل يوم هو في شأن ويمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ولا يقصد بذلك الانتقال من عزم الى عزم أو من حال إلى حال لحصول شيء لم يكن حاصلًا أو لم يكن الله به عالماً فكل ذلك ما لا يجوز إطلاقه على الله^(٢).

ويفسر ذلك الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حينما يذكر أن البداء هو عبارة عن إظهار الله جل شأنه أمراً يرسم في ألواح المحو والإثبات ولا يتوهم أن هذا الإخفاء والابداء يكون من قبيل الإغراء بالجهل وبيان خلاف الواقع فإن في ذلك حكماً ومصالح تقصر عنها العقول وتقف عندها الأبواب وبالجملة فالبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع^(٣).

وبذلك فإن علماء الامامية (الاثني عشرية) يقولون بالبداء ويرون أنه لا يناقض أزلية علم الله وإنما هو بمنزلة النسخ في التشريع.

(١) عقائد الامامية ص ٥١

(٢) أوائل المقالات ص ٥١ نقلاً عن د/ أحمد صبحي نظرية الامامة ص ٣٣٨

(٣) راجع تفصيل ذلك: في أصل الشيعة وأصولها ص ١٤٨-١٤٩ طبعة ١٩٨٢م نشر الدار الإسلامية للطباعة والتشتر - المنصورة

وعموما فان الامامية قد أخذوا القول بالبداء عن الغلاة وفي ذلك يرى الدكتور كامل مصطفى الشيبى أن البداء عند معتلى الشيعة من عقائد الغلاة الأولى وأخذها الشيعة المعتدلون وهذبوا حواشيها وقووها بالمنطق والكلام^(١).

والبداء قال به المختار وأتبعه الغلاة من بعده وهو الذى يؤدى الى القول بتغاير الارادة الالهية "فالبدائية من غلاة الشيعة يذهبون مذهب هشام بن الحكم فى القول بأن علم الله لا يتعلق إلا بالموجود وأنه لا يعلم شيئا حتى يكون وهذا القول يستتبع الجهل بالاشياء قبل وقوعها والأخذ بهذا رأى يفسح المجال للقول بأن علم الله يتأثر بحدوث أشياء جديدة وأنه جل جلاله يغير ارادته ثانية^(٢) والجهل بالاشياء قبل وقوعها لا يجوز على الله بل لا يليق فى حقه سبحانه ومن ثم فان هذا الاعتقاد يؤدى الى الكفر الصريح كما قال المقرئى^(٣).

ولذلك فان البداء اعتبره الشهرستانى من بدع الغلاة الأربعة مع التشبيه والرجعة والتناسخ^(٤).

وعند دراسة الاستاذ موسى جار الله للبداء ذكر أن البداء كلمة قرآنية نزلت فى آيات عديدة ومعنى الكلمة واحد فى كل الآيات معلوم من اللغة ومن سياق القرآن وسياق عدد من الآيات التى تثبت ذلك وعقب بقوله "فالابداء فى هذه الآيات مقابل للاخفاء ولا يكون بداء إلا بعد خفاء وهذا يجوز على الانسان لأن الجهل يحيطه من بين يديه ومن خلفه يذهل عما مضى ويغفل عما حضر ويجهل ما يكون وحيث إن الله جل جلاله يعلم علما إجماليا وعلما تفصيليا كل شئ فالبداء والضلال والغفلة فى علم الله محال مستحيل ممتنع^(٥) - ولا يبقى أمامنا الا القول بأن الغلاة استقوا القول بالبداء مما ورد فى سفر التكوين "ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض

(١) الصلة بين التصرف والتشيع ص ١٠٤

(٢) دائرة المعارف الاسلامية جولد زيهى مجلد ٣ ص ٤٣٨ ، ٤٣٩

(٣) الملل والنحل ج ١، ص ٢٩٤

(٤) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٦

(٥) الاصحاح السادس (٦ ، ٧ ، ٨)

وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء حزنت أنى عملتهم^(١).

ولا شك أن تأسف الرب وحزنه على ما فعل الانسان يعكس أنه - تعالى - ما كان يعلم بما سيحدثه الانسان ولذلك فقد قرر الندم على هذا الخلق وأراد أن يمحوه وهو قول بالبداء الصريح الذي لا يجوز في حق الله أبداً.

(١) الملل والنحل ج ١، ١٤٨-١٤٩

الرجعة عند الإمامية

يذكر الدكتور أحمد أمين أن فكرة الرجعة تطورت الى العقيدة الشيعية باختفاء الأئمة وأن الإمام سيعود فيملا الأرض عدلا ومنها نبعت فكرة المهدي المنتظر^(١) وينطبق هذا الكلام أيما انطباق على تصورات الغلاة إذ "لا يمكن الفصل بين العقيدتين - عندهم - لما بينهما من التلازم إذ لا تتحقق المهديّة بدون رجعة ولا فائدة في الرجعة دون مهديّة. وقد صدرتا فعلا عن عبد الله بن سبأ نفسه وأخرجها مخرجا أسطوريا خلافا ظل مناطا لأخيلة الغلاة وأهوائهم على مر العصور^(٢) - فهما وجهان لحقيقة واحدة هي تمسك الأشياء بأهداب العمل المرتقب في غمرة من الهزائم والآلام^(٣) .

والجدير ذكره أن الكيسانية قد جمعوا بين القول برجعة ابن الحنفية وبين الرجعة العامة فقولهم برجعة محمد بن الحنفية كان نتيجة انضمام السبئية إلى المختار: تقول الدكتورة "وداد القاضي" لقد تمكنت الكيسانية من التغلب على صدمة وفاة ابن الحنفية عن طريق اللجوء إلى عقيدة السبئية في على وهي العقيدة التي تلخص بعدم الإيمان بموت الإمام بل اعتقاد حياته رغم ما ظهر للناس من موته واعتبار اختفائه غيبة سيرجع منها^(٤) .

وأما قولهم بالرجعة العامة فقد قالت فرقة منهم "يرجع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها ويرجع محمد صلى الله عليه وسلم وآله وجميع النبيين فيؤمنون به ويرجع علي بن أبي طالب فيقتل معاوية بن أبي سفيان وآل أبي سفيان ويهدم دمشق حجرا حجرا ويغرق البصرة^(٥) .

(١) فجر الاسلام ص ٢٧٤

(٢) أثر التراث الشرقي ص ٢٥٤

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٣

(٤) الكيسانية في التاريخ والأدب ص ١٦٨

(٥) فرق الشيعة ص ٣٧

وفكرة رجوع الأشخاص وعودتهم بعد موتهم فكرة قالت بها أمم كثيرة وديانات مختلفة فقد ظهرت هذه الفكرة "فى خرافة تيفون وهوروس عند قدماء المصريين كما نجدها أيضا فى منرا احدى القصص الفارسية^(١) .

وتوجد أيضا لدى زردشت^(٢) واعتقد الكلدانيون برجعة هابيل بعد أن قتله قابيل^(٣) ونجدها فى كتب الصينيين القديمة وكذا فى عقائد الهنود لا سيما ما يتعلق بتناسخ براهما "ومنها عقيدة الفايثنافاس الهندية ففيها أن فيشنو سيعود إلى الظهور فى نهاية العهد الحالى للعالم متجسدا فى صورة "كالحى" وذلك لكى يخلص أرياس من حكامها الظلمة.

وينتظر مسيحيو الحبشة رجعة ملكهم تيودور كمهدى فى آخر الزمان والمغول ينتظرون لأن جنكيزخان لينقذهم من نير الحكم الصينى^(٤) . بل إن آثار تلك العقيدة لاتزال باقية الى اليوم بين أهالى شبه جزيرة اسكنديناوة وبين الوطنيين من بلاد المكسيك^(٥) .

وبالرغم من وجود هذه العقيدة أو تلك الفكرة لدى هذه الأمم إلا أنها لم تكن معروفة عنهم أو لم يكن للغلاة اتصال مباشر بهم.

والذى يبحث فى الديانة اليهودية يجد أنهم - اليهود - قالوا برجعة بعض أنبيائهم ومعلوم أن اليهود قد اتصلوا بالغلاة فهل كان لذلك أثر فى قول غلاة الشيعة بالرجعة؟

يذكر الشهرستانى أن من مسائل اليهود العامة تجويز الرجعة وتقع لهم من أمرين: حديث عزيز عليه السلام إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه وحديث هارون عليه

(١) دائرة المعارف الفرنسية ودائرة معارف لاروس نقلا عن تعليق المترجمين فى كتاب السيادة العربية لفان فلوطن ص ١٠٩

(٢) الملل والنحل ج ١ ، ص ٢٣٩

(٣) د/ محمد البهى الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص ٧٠

(٤) السيادة العربية (المترجمان) ص ١٠٩

(٥) العقيدة والشريعة ص ٢١٥

السلام إذ مات فى التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله بألواحه حسدا له فاختلفوا فى حال موته فمنهم من قال إنه مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع^(١) .

ويوجد عند اليهود أيضا عقيدة المسيح المنتظر والبحث فى هذه العقيدة يفيد فى المقارنة بين أقوالهم عند عودة هذا المسيح وبين أقوال الكيسانية فى محمد بن الحنفية عند رجعته ويذهب الدكتور أحمد شلبى الى أن اليهود قد لجأوا إلى فكرة المسيح المنتظر وجدوا أنفسهم هدفا للبلايا والنكبات فاتجه مفكروهم فى عصورهم المتأخرة الى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهدة ويضعهم فى المكانة التى أرادوها وأطلقوا على هذا المخلص (المسيح المنتظر) ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذى سينال الشعب المختار يهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد^(٢) ، ومجمل القول أن اليهود يقولون برجعة بعض الأشخاص وأنهم ينتظرون مسيحا له أوصاف معينة وأعمال محددة.

وإذا علمنا أن أول من قال بالرجعة هو عبد الله بن سبأ الذى أدخلها فى الفكر الشيعى وبدأها فى شخص النبى عليه الصلاة والسلام وكونه يهوديا وقد تتقف بالثقافة اليهودية يؤكد أن مصدر الفكرة مصدر يهودى وفى ذلك يقرر الدكتور أحمد أمين أن فكرة الرجعة هذه أخذها عبد الله بن سبأ من اليهودية^(٣) .

ويلاحظ الدكتور عبد الرحمن بدوى أن مثل هذه الفكرة كان شائعا فى شبه الجزيرة العربية فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ويرى أن رجلا مثل عبد الله بن سبأ كان على علم بها^(٤) "بل إن فريد لندر ينتهى إلى القول بأن فكرة ابن سبأ فى إنكار موت على والاعتقاد برجعته يرجع أصلها الى يهود اليمن وما يقوله الفلاشا فى الحبشة من اليهود الذين تصوروا المسيح المنتظر كتصور ابن سبأ للامام على^(٥) " .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢١١، ٢١٢

(٢) اليهودية ص ١٢٨

(٣) فجر الاسلام ص ٢٧٣

(٤) مذاهب الاسلاميين ج ١ ص ١٦، ١٧

(٥) المصدر السابق

ويذكر جولد زيهر، أن فكرة الرجعة ذاتها ليست من ابتكار وضع الشيعة وإن كانت من عقائدهم التي اختصوا بها ويحتمل أن تكون قد تسربت اليهم عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية^(١)، ولكن الأثر المسيحي ينبع من اليهودية أصلاً^(٢) وكون ابن سبأ هو الذي ينقلها إنما يعكس ذلك الأثر اليهودي وحده.

وقد تنبه إلى ذلك الإمام ابن حزم عندما قال عن الغلاة الذين يعتقدون برجعة الأئمة "فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكيصدق بن عامر بن أرفحش بن سام بن نوح والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ربنا بنت نبؤال بن ناخور بن تارخ على اسحاق ابنه عليه السلام وإلياس عليه السلام وفنحاش بن العازار بن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم"^(٣)، ويذهب المستشرق جولد زيهر إلى أنه "لاشك أن النبي إيليا الذي رفع إلى السماء - ويعتقد اليهود عودته في آخر الزمان لإقامة الحق والعدل - هو الأنموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين الذين يحيون لا يراهم أحد والذين سيعودون يوماً منقذين للعالم"^(٤).

وإذا عقدنا مقارنة بين تصور اليهود للمسيح المنتظر وبين تصورات ابن سبأ والكيسانية لرجعة الإمام علي وابنه محمد سنجد تشابهاً كبيراً بين الأمرين يقول ابن سبأ عن الإمام علي "والله لينبعن لعل في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً ويغترف منهما شيعته"^(٥)، ويقول اليهود عن المسيح المنتظر "هالعدراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل. زبدا وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير". ويكون في ذلك اليوم أن الإنسان يربى عجلة بقر وشاتين ويكون أنه من كثرة صنعها اللبن يأكل زبداً فان كل من أبقى في الأرض يأكل زبداً وعسلاً"^(٦).

(١) راجع العقيدة والشريعة ص ٢١٥

(٢) نشأة الفكر ج ٢ ص ٣٠٥ سعد محمد حسن المهدية في الاسلام ص ٤٩

(٣) الفصل ج ٤ ص ١٨٠

(٤) العقيدة والشريعة ص ٢١٥

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٤٤

(٦) أشعياء الأصحاح السابع ١٤، ١٥، ٢١ وانظر الاسفار المقدسة قبل الاسلام من تأليفنا

وانتقلت هذه الصورة الى الكيسانية متمثلة في وصف حالة محمد بن الحنفية .

وقال السيد الحميرى إن عنده عينيّن نضاختين تجريان بماء وعسل^(١)، وقالت فرقة الكيسانية "إن ابن الحنفية مقيم بجبال رضوى تغدو عليه الأروية تغدو عليه وتروح فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها"^(٢) .

وهذا مطابق لما جاء في سفر الملوك الأول: "وكان كلام الرب له (إيليا) قائلاً: انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبئ عند نهر كريت الذى هو مقابل الأردن فتشرب من النهر" "و كانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً ومساءً وكان يشرب من النهر"^(٣)، فالخبز واللحم يأتياه صباحاً ومساءً كما أن ابن الحنفية يأتيه رزقه غدوة وعشيا "ويرى فريدلندر أن هذه فكرة يهودية كان لها أثرها في الكيسانية"^(٤) .

وبصور ابن حرب تلميذ ابن سبأ حالة عودة ابن الحنفية بصورة تقترب كثيراً من حالة عودة المسيح عند اليهود فهو يصوره بصعوده إلى السماء وقد سخر له في سيفه ما سخر لموسى عليه السلام في عصاه فيهزم دون قرن الشمس وهو يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً ويتأسى في عدله بسليمان بن داود وذى القرنين في ملكهما وعندئذ يخصب الناس حتى يتركوا البيع والادخار. والسلام من آية خروجه فيسبقه مع كثرة الأنداء وسقوط العواصف أن يرى العصفور والحية في جحر واحد وعش واحد.

هذه الصورة تشابه صورة المسيح التي وردت في نبوءة أشعيا "ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسى الأرض بقضيب فمه ويميت

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٠

(٢) فرق الشيعة ص ٢٦

(٣) الاصحاح ١٧ رقم ٢، ٦

(٤) نقلا عن الكيسانية التاريخ والأدب ص ١٧٩

المنافق بنفخة شفّتيه ويكون البر منطقة متنية والأمانة منطقة حقويه^(١) "وتكون الرئاسة على كتفه أبا أبديا رئيس السلام^(٢) "فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معا وصبى صغير يسوقها والبقرة والديّة ترعيان، تربض أولادهما معا. والأسد كالبقر يأكل تبنًا، ويلعب الرضيع على سرب البصل ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان لا يسوءون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر ويكون فى ذلك أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا^(٣) .

فهذه صورة تعبر عن التآلف بين الحيوان والانسان وهى مشابهة لوجود العصفور والحية فى جحر واحد وعش واحد وان الأسود والنمور والتنين كلهم يتهاون لهذا السلام مع ابن الحنفية فيخرجون معه ويتعايشون مع الشيعة فى أمان وهدوء.

وهذا التشابه بين تصورات اليهود للمسيح المنتظر وتصورات الكيسانية لمحمد بن الحنفية ينبئ عن تأثر هؤلاء بأولئك ويؤكد ذلك ما ذكره كثير الشاعر عندما يقول:

هو المهدي خبرناه كعب - أخو الأخبار فى الحق الخوالى^(٤) فكعب الأخبار هو الذى أخبر بمهدية محمد بن الحنفية "وذكر للكيسانية أنه وجد عنده فى الكتاب ذلك واختفاه أو غيبته^(٥) ."

وعلى ضوء تلك المقارنات بين تصورات ابن سبأ لرجعة الامام على وتصورات الكيسانية لمهديهم ابن الحنفية من ناحية وتصورات اليهود فى أسفارهم

(١) الاصحاح الحادى عشر ٣ : ٥

(٢) الاصحاح التاسع : ٦

(٣) الاصحاح الحادى عشر من ٦ : ١٠

(٤) كتاب الاغانى مجلد ٩ ص ٣١٣٦ - وكعب الأخبار كان على دين اليهود فأسلم وقدم المدينة ثم سكن حمص فى الشام حتى توفى بها . محقق كتاب الاغانى نفس الصفحة.

(٥) نشأة الفكر ج ٢ ص ٨٦

عن المسيح المنتظر من ناحية أخرى وإشارة كثير عزة الى أن فكرة المهدى لدى الكيسانية أخبر بها كعب الأحبار اليهودى. كل ذلك يبرهن على أن اليهود كان لهم دور كبير فى فكرة الرجعة عند الغلاة.

هذا بالاضافة الى أن ما وصف به أتباع أبى عمرة من أنهم فى التيه فى فترة غياب أبى الحنفية حتى يبعثه الله لهم وأنهم فى التيه يدخلون فيما يخرجون منه ويخرجون مما يدخلون فيه لا يعرفون حجة من غيره ولا حقا من شبهة ولا يقينا من خبرة - وصفهم بالتية هذا من الأثر اليهودى "فقد عاش أصحاب أبى عمرة يرسمون الأسطورة حول مهديهم وأطل اليهود - كالعادة - يوحون اليهم أنهم فى التيه مثلهم مثل اليهود تماما^(١) .

وكذلك كان قول الغلاة بالرجعة العامة أيضا من آثار اليهود "فهم يزعمون أن الأموات يرجعون إلى الدنيا قبل يوم الحساب وزعموا أنه لم يكن فى بنى اسرائيل شئ إلا ويكون فى هذه الأمة مثله وأن الله سيحاله فد أحيا قوما من بنى اسرائيل بعد الموت فكذاك يحيى الأموات فى هذه الأمة ويردهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة^(٢)".

يقول الاستاذ سعد محمد حسن "الرجعة فى جملتها معتقد يهودى دخل البيئة الاسلامية على يد عبد الله بن سبأ اليهودى اليمنى المتمسلم الذى يرجع إليه الكثير من الأفكار والمذاهب الغريبة عن الاسلام^(٣)".

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٨

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١١٩

(٣) المهدية فى الاسلام ص ٣٨

عقيدة الوصي

من بين الأفكار التي ألقى بها بن سبأ في المحيط الشيعي فكرة الوصية وفرق الغلاة التي تلت ابن سبأ انتفعت بتلك الفكرة وصار كل واحد من الغلاة يدعى أنه وصى أحد الأئمة وأنه خليفته من بعده فكثرت الوصايا وزاد بذلك المدعون وأصبحت الوصية بمثابة تسويغ شرعي لغلوهم وانحرافهم فمثلا ادعى غلاة الكيسانية أنهم أوصياء لأبي هاشم وادعى المغيرة وصية الإمام الباقر، كذلك فإن الوصية هي التي نقلت الإمامة من البيت العلوي الى البيت العباسي وقد فتحت مجالات واسعة للغلو أطلق عليه الغلو العباسي وساهمت الى حد كبير في ادخال الأفكار المجوسية والجدير ذكره أنه قد تنبه الى مصدرها قديما كل من النوبختي والقمي وأورد النوبختي عبارة "عبد الله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن عليا عليه السلام أمره بذلك فأخذه على فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس اليه: يا أمير المؤمنين أنقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره الى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال فى اسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وآله فى علي عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض أمانة على عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفة" (١).

ويعقب النوبختي بقوله "فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية" (٢).

(١) فرق الشيعة صفحة ١٩ وما بعدها

(٢) فرق الشيعة ص ٢٠

وقول النوبختي يبين أن فكرة الوصية التي نادى بها ابن سبأ كانت موالاة للامام على لكنها كانت من جهة أخرى تعتبر طعنا في الصحابة ونبلا منهم وسببا في أحداث الواقعة بين المسلمين ووضع الامام على في موقف حرج تجاه الخلفاء الثلاثة الذين كان يحلهم ويكن لهم كل اكبار، وكما علمنا فان الوصية للامام على كان من بين بنودها أن عثمان مغتصب للخلافه فهو لم ينفذ وصية الرسول عليه الصلاة والسلام فساهمت بذلك في إحداث الفتنة الكبرى.

وكل ذلك يوحى بروائح الفتنة اليهودية والتآمر اليهودي وفوق هذا يضع النوبختي أيدينا على المنبع الذي استقى منه ابن سبأ هذه الفكرة فقال "إنه كان يقول في يهوديته بوصية موسى ليوشع عليهما السلام ونقل هذه الفكرة الى وصية رسول الله عليه السلام لعلي بن أبي طالب بل ان النوبختي يثبت لنا مدى أهمية يهودية الفكرة فيذكر لنا أن أعداء الشيعة أرجعوا التشيع الى اليهودية لوجود فكرة الوصية.

والى مثل ذلك ذهب الشهرستاني^(١) ويضيف البغدادي الى ان ابن سبأ ذكر الناس أنه وجد في التوراة ان لكل نبي وصيا وأن عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما ان محمدا خير الأنبياء^(٢).

فابن سبأ لم يبتدع تلك الفكرة من خياله وانما قرأها ووجدها في التوراة ونقلها من التراث اليهودي الى الفكر الشيعي.

واذا بحثنا في اليهودية نجد أن الشهرستاني يتحدث عنهم فيذكر أنهم قالوا: "وكان موسى عليه السلام قد أفضى بأسرار التوراة والألواح الى يوشع بن نون وصيه وفتاه والقائم بالأمر من بعده ليفضى بها الى أولاد هارون لأن الأمر كان مشتركاً بينهما وبين أخيه اذ قال الله تعالى عنه في دعائه ﴿ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٣٢] وكان هو الوصي فلما مات هارون في حال حياة موسى انتقلت الوصية

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٧٤

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٤٤

الى يوشع ابن نون وديعة ليوصلها الى شبير وشبر ابني هارون قرارا وذلك ان الوصية والامامة بعضها مستقر وبعضها مستودع^(١).

وقد استفاد الشيعة من توصيل الوصية الى شبير وشبر في نقل الوصية من الامام على الى ولديه الحسن والحسين اذ انهم زعموا "ان النبي ابي الا ان تكون أسماء بنى على مماثلة لأسماء بنى هارون فسماهم حسنا وحسينا ومحسنا (وقد مات صغيرا) قائلا : انما سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر^(٢) " ويبدو ان حرص الشيعة على إثبات هذا الشبه الذي يبدو ذا أهمية ضئيلة ليقولوا ما دامت الخلافة بعد موسى كانت في أبناء هارون وذريته فيحق إذن إثبات الإمامة لأبناء على بعده^(٣).

وقد استفادت الإسماعيلية من نقل النبوة الى أولاد هارون ببقاء الإمامة في عقب إسماعيل وان كان قد مات قبل أبيه ولم يعترفوا بإمامة أخيه موسى الكاظم وقد أشار الى ذلك ابن خلدون^(٤).

وعندما نرجع إلى نصوص العهد القديم نجد أن وصية موسى ليشوع مثبتة في سفر التثنية : "فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين جميع إسرائيل تشدد وتشجع لأنك تدخل مع هذا الشعب الأرض. والرب سائر أمامك هو يكون معك لا يمهلك ولا يتركك لا تخف ولا ترتعب" وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه" وكتب موسى هذا النشيد في ذلك وعلم بنى إسرائيل إياه "وقال عن الرب" وأوصى يشوع بن نون وقال تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل ببني إسرائيل الأرض وأما أكون معك^(٥)."

(١) الملل واللحل ج ١ ص ٢١١

(٢) د/ أحمد صبحي نظرية الإمامة ص ٢٢٦

(٣) المصدر السابق

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٩

(٥) سفر التثنية الاصحاح الحادى والثلاثون رقم ٧، ١٤، ٣٢، ٣٣

وفى ضوء ذلك كله تكون فكرة الوصية - رغم أنها في حد ذاتها ليست غلوا يخرج من الملة وإنما كانت من أسباب المروق، وقد اغترفها ابن سبأ من معين اليهودية وكان ذلك سببا من الأسباب التي حدثت بالباحثين إلى أن يرجعوا معظم عقائد التشيع إلى التأثير اليهودي.

يذكر فلهوزن أن ابن سبأ وجد في اليهودية أن سلسلة طويلة متصلة من الأنبياء تلا بعضهم بعضا وهذه السلسلة لا تقف عند محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكل نبي خليفته إلى جانبه يعيش أثناء حياته فكما كان لموسى خليفة هو يوشع كذلك لمحمد خليفة هو علي به يستمر الأمر وأدى ذلك إلى اعتباره عارفا بالغيوب وتجسيدا للخلافة عن الله^(١).

ويقول الدكتور علي الشاذلي "وقد أراد ابن سبأ أن يحمل الإسلام هذه الوصية لأنه أبى أن ينفصل عن معين اليهودية التي عرفت الوصية أساسا ولم يستغ الحرية التي مارسها المسلمون في اختيارهم للخليفة بعد الرسول فركن إلى يهوديته ينهل منها ويحرف بها الإسلام"^(٢).

(١) الخوارج والشيعة ص ١٧١، ١٧٢

(٢) أثر التراث الشرقي ص ٢٤٧.

الإمامة عند الشيعة

من نافلة القول الإشارة هنا إلى أن موضوع "الإمامة" يعتبر المحور الذي تدور عليه عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم، فهي عندهم إحدى دعائم الدين، فلا دين لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويضيفون قولهم: إن الله تعالى لا يقبل عمل مسلم إذا لم يكن يؤمن بولاية الأئمة ويطيعهم كطاعته للرسول ويوردون مفهومهم هذا عند تفسير قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١) [النساء: ٥٩] وفي ذلك يروى علماء الشيعة عن الإمام جعفر الصادق أن سائلاً عن تأويل هذه الآية فكان جوابه: إيانا عنى بهذا، بنا يعبد الله، وبنا يطاع الله، وبنا يعصى الله، فمن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله^(٢). وقال أيضاً: سبقت طاعتنا عزيمة من الله إلى خلقه، إنه لا يقبل عملاً من أحد إلا بنا، ولا يرحم أحداً إلا بنا، ولا يعذب أحد إلا بنا، فنحن باب الله وحجته، وأمانؤه على خلقه، وحفظ سره، ومستودع علمه، ليس لمن منعنا حقنا في ماله نصيب^(٣) والشيعة مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى قرن الأئمة بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولى الألباب، وسفناً للنجاة، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وأماناً للأمة من الاختلاف إذا عصفت عواصف النفاق، وباب حطة يغفر لمن دخلها، ويستشهدون أيضاً بأقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب التي تضمنتها إحدى خطبه: فأين تذهبون، وأين تؤفكون، والاعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين إنه يموت من مات وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن

(١) سورة ٤ / ٥٩

(٢) دعائم الإسلام القاضي النعمان ١ / ٣٩ بحار الأنوار ١٦ / ٨

(٣) المصدر نفسه ٧٢ / ١

أكثر الحق فيما تتكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان^(١).

ويأتون بأقوال أخرى وردت في خطبة ثانية قال عليه السلام فيها نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً، إلى أن قال في وصف العترة: فهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق الرائد أهله وليحضر عقله^(٢) وقالوا مما يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت، ويضطر المؤمن إلى الانقطاع عن الدين إليهم، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"^(٣) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: وإنما أهل بيتي فيكم مثل باب حطة من بنى إسرائيل من دخله غفر له^(٤). ويذكرون أن الغاية من تشبيه آل البيت بسفينة نوح قولهم: إن من يلجأ إليهم في الدين ويأخذ فروعه وأصوله عنهم ينجو من عذاب النار، ومن يتخلف يكون كمن يأسوي في (يوم الطوفان) إلى جبل ليقيه من أمر الله، إلا أنه يغرق في الماء وهذا معناه الجحيم.

ولدى الشيعة عامة نصوص وأحاديث كثيرة خاصة بهم ومن خلال رجال عندهم لا يقبلون غيرهم، وهي أحاديث لا يقرها أهل السنة، ولا يرون صحتها أو صدقها وقد جاء في بعضها وجوب اتباع العترة الطاهرة دون سواهم، وبما أن علي بن أبي طالب هو بنظرهم سيد آل البيت وإمامهم من حيث شخصيته العظيمة، وأنه ولي كل من كان رسول الله وليه فكان لابد عندهم من الرضوخ لما جاء في هذه الأحاديث دون النظر إلى ماسواها مهما كانت درجة الرجال الذين رووها.

(١) نهج البلاغة ٨٣/١

(٢) المصدر نفسه ٥٨/٢

(٣) أخرجه الحاكم بالاسناد إلى أبي زر ١٥١/٣ في صحيحه المستدرک

(٤) أخرجه الطبرانی في الأوسط أبي سعد ص ٢١٦ من كتابه الأربعين حديثاً

ولابد لنا ونحن في هذا الصدد من الإتيان على ذكر ما يعتقده الامامية مما نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في يوم (غدير خم) لأن الشيعة عامة يعتقدون بأنه لما دنا أجل رسول الله عليه الصلاة والسلام، ونعيت إليه نفسه، أجمع بأمر الله تعالى على ضوء ما يعتقد الامامية على المناداة بولاية على في حجة الوداع على رؤوس الأشهاد لأنه لم يكشف حسب قولهم (بنص الدار) يوم الإنذار، بمكة ولا بغيره من النصوص السرية المتوالية على إمامة على بن أبي طالب من بعده قالوا:

أذن في الناس قبل موسم الحج وأبلغهم أنه سيحج هذا العام حجة الوداع، ووافاه الناس من كل فج عميق، وخرج من المدينة بنحو مائة ألف أو يزيدون، فلما كان يوم الموقف في عرفات نادى في الناس ونص على بيعة على ليكون خليفة له وذلك يوم الجمعة المصادف ١٨ ذي الحجة تحت شجرات غدير خم فقال: أيها الناس بوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: يا أيها الناس، إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه، يعنى علياً، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، ثم قال: يا أيها الناس إنى فرضكم، وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم، قدحان من فضة، إنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتى أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض.

وفي ضوء تلك الرواية فإن الشيعة جميعاً يعتبرون يوم غدير خم عيد يحتفلون به في كل عام في مساجدهم، يؤدون الصلاة فريضة وناقلة، ويتلون القرآن الكريم،

والدعاء الله تعالى على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين على بن أبي طالب.

ويعتبر الشيعة حق على في الخلافة والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لا اختلاف فيه كالشمس في رابعة النهار لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ^(١) [المائدة: ٥٥، ٥٦] ولقد أجمع المفسرون منهم على أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق راعياً في الصلاة بخاتمه، وقالوا إن الله تعالى قد أثبت في هذه الآية الولاية لنفسه، ولنبيه، ولوليه على نسق واحد، وقالوا إن ولاية الله عامة، وولاية النبي والولي مثلها وعلى أسلوبها، ويعتبرون أن هنالك نصوص وأدلة قاطعة، وبراهين ساطعة على أن علياً هو ولي عهد النبي وخليفته من بعده، ولوليه في الدنيا والآخرة، وقد أثره بذلك على سائر أرحامه، ويدلون أنه أنزله منه منزلة هارون من موسى بقولهم: عندما استخلف النبي علي بن أبي طالب على المدينة في غزوة تبوك قال له الإمام علي: أتخلفني في النساء والصبيان ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

وعلى العموم يتحدث عامة الشيعة في مؤلفاتهم ويوردون أحاديث ونصوص كثيرة في هذا الباب ويرون وجوب تعيين الإمام في ضوء تلك الروايات كما يقولون: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي، أنزل في علي ثلاثمائة آية من كتاب الله، وكل هذه الآيات تدل عندهم على أنه صاحب الحق الشرعي المنصوص عليه في الخلافة والإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وسنتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة .

(١) سورة ٥٧/٥٦/٥

وجوب نصب الإمام وتعيينه

الإمام : الكليني صاحب أكبر وأشهر وأوثق كتاب في عقائد الإمامية وفقههم ظل طوال فترة تاريخية مديدة لا يجرؤ أحد من أهل السنة أن ينقضه خشية أن يرمي بالجهل ولا من الإمامية خوفا من الرمي بالمروق والردة فضلا عن البطش والتكيل، إلى أن قيض الله تعالى إماما من رموز الإمامية وشرح الله صدره للحق وحمل معوله وأقدم على "كسر الصنم" ونقض كتاب "أصول الكافي" وأورد ما في الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن والعقل ورد عليها ردا يشفي غليل كل متعطب للحق، وفي الباب الذي نحن بصدد وجوب معرفة الإمام وتعيينه ذهب آية الله العظمى السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقي يورد روايات ومقالات الكليني ويرد عليها، وحتى لا يقال: رجل من العامة، أو الصابئة كما يطلقون على أهل السنة قام لينقض أو يهدم معتقدات قال بها الأئمة الأعلام نأتي بتصرف في هذا الباب على ما قام به الرجل الذي كان من أئمة القوم ومن رموزهم ومراجعهم: آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقي .

فماذا يقول ؟ في كتابه " كسر الصنم " .

باب معرفة الإمام والرد عليه

روى الكليني ١٤ حديثا في هذا الباب يقول أن معرفة الأئمة من أركان الدين وأصوله وفي كل أمر ديني لا بد من الرجوع عليهم، ويعلق الإمام أبو الفضل البرقي ويقول : ويبدو أنه - الكليني - كان جاهلاً بالقرآن حيث أن القرآن بين أصول العقائد والإيمان والكفر وليس في آيات الله شيء من معرفة الإمام والرد إليه .

بل فيه ما يخالف هذه الأخبار المذهبية، لنتساءل هل العلوم الإسلامية يذكرها القرآن أم تذكرها أخبار المتذهبيين المحرفين؟ فهل لو لم يكن هؤلاء الرواة الكذابون

لم يكن يبقى للإسلام أصول وثقافة ١٢ قال الله في سورة البقرة الآية ٦٢ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فهما أمران يضمنان النجاة: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر وفي آية ١٧٧ ذكر الله كل أصول الإسلام وذكر الله في آية ٢٨٤ ماذا يلزم للإيمان وذكر تعالى في سورة النساء الآية ١٣٦ كل أصول الإسلام والكفر، والإمام نفسه لابد أن يعرف ذلك ويعتقد به ولا فرق في الإسلام وأصول عقائده بين الإمام والمأموم، ولم يأت في القرآن نص يخص الإمام، فعلى الناس أن يعرفوا دين الإمام ويسعوا لأن يكونوا أئمة للمتقين وذلك بكسب العلم والعمل كما ذكر في سورة الفرقان، فضلا عن هذا فما هي طريق معرفة الإمام ؟ على سبيل المثال لنعرف ما اسم الإمام زين العابدين؟ وما اسم أبوه، وكم صلى وماذا عمل؟ هل كل من أرخ لهذه الأشياء وكتب ترجمة الإمام وعرفها للناس فهو شيعي، مع أن الأمر ليس كذلك. وإلا لا بد أن يعتبر كل علماء أهل السنة وسائر علماء الأديان من الشيعة !! ويختم تعليقه بقوله أليس للإسلام عقائد وشريعة يجب معرفتها أم أنه تكفي معرفة الرجال واتباعهم .

ثم يقول نحن نعتقد أن هؤلاء الرواة المختلفين لما شغلوا الناس بمعرفة الأكابر كانوا يهدفون من وراء ذلك هدم أصول الإسلام والإسلام ليس دين عبادة الرجال والسادات والأكابر، بل إنه دين إيمان وعمل. إضافة إلى أنه يقول في أخبار هذا السبب يجب معرفة الإمام والرد إليه، وهذا مخالف للقرآن ومخالف لعمل سيدنا الأمير رضي الله عنه لأن القرآن يقول في سورة النساء الآية ٥٩ : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾. يعني رده إلى كتاب الله وسنة رسوله لا إلى أولي الأمر، وقال سيدنا الأمير رضي الله عنه في نزاعة مع معاوية بأنه مستعد أن يرجع إلى كتاب الله. ولم يقل ارجعوا إلي لأنني إمام .

وكذلك قال في كتابه لمالك الأشتر، فكيف يقول الإمام الصادق إذن ارجعوا إلي ١٢ ولقد أظهر الكليني ورواته الإمام الصادق وسائر الأئمة أنفسهم مخالفين لأمر

الله ومفسدين في الدين وذلك عن طريق هذه الروايات المفتراة التي تقولها عليهم .
ثم يعقب على كلام الكليني بقوله : ويظهر من كتاب الكليني أن عترة الرسول
هدموا دين جدهم إلا أننا نعتبر هذه الروايات كذباً وافتراءً ويعرج البرقي على
الحديث الأول عند الكليني في باب في معرفة الإمام ويقول : في متن الحديث
الأول: قال السائل ما هي معرفة الله؟ فأجاب الإمام معرفة الله هي محبة علي
رضي الله عنه والافتداء به وبأئمة الهدى، ونحن نسأل كيف عرف علي نفسه الله
تعالى؟ وفي نهج البلاغة يبدو أنه عرف الله دون أن يقتدي بنفسه وعرف القرآن
دون أن يذكر اسم أحد من العباد فإما أن هذا الحديث باطل أو أن القرآن ونهج
البلاغة باطلان - والعياذ بالله- (١) .

وأما متن الحديث الثالث فيقول أن معرفة أئمتنا واجبة، نحن نقول إذا كان
الأئمة مؤمنين فهل كان عليهم هذا الواجب واجباً أم لا؟ هل هذا الحديث الذي يقول

(١) نهج البلاغة أغلبه باطل، وهو في نسبه إلى علي رضي الله عنه موضوع مكذوب، وإن
صحت بعض ألفاظه لكن من غير طريق الكتاب قال الذهبي في ترجمة الشريف المرتضى
علي بن حسين بن موسى الموسوي (المتوفى سنة ٤٣٦هـ) : هو جامع كتاب نهج البلاغة
المنسوبة لألفاظه إلى الإمام علي (بن أبي طالب) رضي الله عنه، ولا أسانيد لذلك، وبعضها
باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا للإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؛
وقيل: بل جمع أخيه الشريف الرضي " (سير أعلام النبلاء ١٧/٥٨٩-٥٩٠) . وقال في
ترجمته ميزان الاعتدال (١٢٤/٣) : وهو المهتم بوضع كتاب: نهج البلاغة .. ومن طالع
كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ففيه المسب
الصراح والخط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء
الركيكة، والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من
المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل .

وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٥٥/٨-٥٦) : فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج
البلاغة" كذب على علي، وعلي رضي الله عنه أجل وأعلى قدراً من أن يتكلم بذلك الكلام..
لكن صاحب "نهج البلاغة" وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما
يحكي عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس
الأمر من كلام غيره .

أن العامة (أي: أهل السنة) يعرفون خلفاءهم بوحى من الشيطان ولكن المؤمنين (أي: الشيعة) يدركون حق أئمتهم بوحى من الله !! .

نقول هل معرفة العامة (أهل السنة) بالخلفاء إلا على أساس أنهم مسلمون، فمعرفة الإمام إذن لابد أن تكون كمعرفة العامة للخلفاء، حيث يعتبر المؤمن الإمام مسلماً ويحبه كسائر أهل الإيمان، وأما الغلوا فلماذا؟ وبأي دليل؟ .

يقول في الحديث الرابع، إذا عرف أحد أي إمام من الأئمة ولم يعرف الله فهو ضال وهذا أمر جيد، وبناء عليه فإن أكثر الغلاة ومقلديهم من الرواة من الضالين، فلماذا أيها الكليني، رويت في كتابك أحاديثهم .

ويقول الراوي في الحديث الثامن: من اختار دين الله وسعى في عبادته ولم يعرف إمامه، فهل من شك في صحة طريقه وإن كان لا يعرف شخصاً اتخذه مريدوه إماماً؟ أرايتم لماذا لا تتبعون الإمام الإلهي وهو القرآن وتتخذون لأنفسكم إماماً من البشر، ونحن نسأل: أو ليس ذلك الإمام عبداً لله؟ والحق أن إمام الإمام وإمام المأموم لا بد أن يكون القرآن فقط .

ويتضح هنا أن هؤلاء الرواة لم يكن لهم من هم سوى هجر القرآن واتخاذهم إماماً من البشر ولو كلفهم ذلك أن يخلقوا إماماً!!

وينقل أبو الفضل البرقي مع الكليني حيث يورد من الأدلة والبراهين الموضوعية والمخلوطة ما يوهم به نفسه وأتباعه بأنه على صواب فيروي الكليني في باب فرض طاعة الأئمة سبعة عشر حديثاً وأكثرها من الأحاديث الضعيفة والمرسلة والمجهولة، يقول المجلسي بضعف كل من الثاني والثالث وأما الرابع فهو مرسل والخامس ضعيف، والتاسع ضعيف وأما العاشر والحادي عشر والثاني عشر فمجهولون، والثالث عشر ضعيف، والرابع عشر والخامس عشر مجهولان، والسادس عشر ضعيف والسابع عشر مجهول يقول الإمام أبو الفضل البرقي وأما رواية هذه الأخبار فهم ناقلو الأخبار في أكثر أبواب الكافي ومن المستحسن أن تنتظروا روايات الحرير (الراوي) في باب مواليد الأئمة في الخبر الثامن، وأما علي

ابن إبراهيم "الراوي الآخر" فهو يقول بتحريف القرآن وأبوه مجهول الحال ولمعلى ابن محمد روايات تخالف القرآن ، لاحظوا رواياته في باب مولد أبي جعفر محمد ابن علي الثاني وفي باب مولد أبي الحسن علي بن محمد وكذلك في الأبواب السابقة والتالية له، قد قال عنه علماء الرجال : انه ضعيف ومضطرب المذهب وستأتي روايته في باب : أن الأئمة خلفاء الله، والراوي الآخر هو حسن بن علي الوشاء حيث له أحاديث كثيرة مخالفة للقران والعقل كما سيأتي في باب عرض الأعمال، والآخر سيف بن عميرة الذي لعن من قبل الأئمة، والآخر علي بن حمزة البطائني الخان الذي اختلس أموال موسى بن جعفر وأسس مذهب الواقفية، والآخر سهل بن زياد الكذاب المعروف، والآخر منصور بن الحازم صانع الحجة ! وغير ذلك من هؤلاء، ولست أدري ما قيمة روايات يرويها هؤلاء ١٢ ومتن هذه الأحاديث، في الحديث الأول أن معرفة الإمام وإطاعته من أفضل الأشياء واستدل بآية ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وما من أحد يسأل ما هي العلاقة بين هذه الآية وطاعة الإمام. فضلاً عن هذا، هل كان الأئمة معجبين بأنفسهم إلى حد أن يوجبوا طاعتهم ويستدلوا لأنفسهم بآية لا تتعلق بهم. والإمام الباقر نفسه قال إذا وردكم عنا حديث فاسألوا أين ورد هذا في كتاب الله وفي أية آية (أي ما يؤيده). انظروا باب الرد إلى الكتاب والسنة الحديث الخامس. إن الأئمة كانوا تبعاً لكتاب الله وسنة رسوله ولم يكن لديهم سنة خاصة بهم .

إذن فآية - من يطع الرسول فقد أطاع الله - لا تتعلق بفضيلة الإمام، فضلاً عن هذا ترى من أية آية من القرآن استخرج وجوب طاعة الإمام ؟ ليس في القرآن آية كهذه. أجل طاعة ولي الأمر المطبق للكتاب والسنة واجبة ويأتي ذلك في باب "أولي الأمر" وهم غير الأئمة الإثنا عشر في الحديث الرابع: استدل على وجوب طاعة الإمام بالآية ٥٤ من سورة النساء ولا علاقة لها بالإمام إطلاقاً وقال الله في تلك الآية ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ وقد وردت كلمة (آتيناه) بصيغة الماضي ولما نزلت هذه الآية لم يكن الأئمة موجودين

بل الله أعطى الملك والنبوة لآل إبراهيم في الماضي أمثال سليمان ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى عليهم السلام .

ثم يعقب الإمام أبو الفضل البرقي ويقول وهذه الآية لا تدل على المستقبل، هل الإمام حقا لا يعرف الماضي من المستقبل؟ أم أن الرواة الوضاعون وضعوا الحديث؟ إضافة إلى ذلك إنكم تقرؤون في دعاء النذبة وسائر الأدعية وتقولون للأئمة (إني منتظر لدولتكم ومرتقب، ونصرتي لكم معدة حتى يمكنكم في أرضه). فيبدو أن أولئك الأئمة لم يتمكنوا في الأرض بعد. فكيف قال ذلك الإمام إن أعطانا ملكاً عظيماً، هل تريدون أن تهدموا القرآن باسم الإمام؟ وتظهروا الإمام على أنه هادم للقرآن؟ يقول أبو الفضل البرقي راداً أحاديث الكليني في باب الإمامة : يقول في الحديث السادس: قال الإمام نحن محسودون. فلنسأل من هم حسادكم؟ ثم يقول نحن الراسخون في العلم. نقول أولاً : لا يحق للإمام أن يمجّد نفسه بهذا القدر، وثانياً وبنص القرآن لا ينحصر الراسخون في العلم بالأئمة ولا دليل لهم على ذلك وفي الحديث رقم ٧ و ١٦ استدل الكليني على وجوب طاعة الإمام بالآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .. حيث تدل أن المولاة لا تتعلق بوجوب الإطاعة لأن هذه الآية وردت في سورة المائدة الآية ٥٥ ضمن الآيات التي تقول ... ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ وبعد هذه الآية قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءاً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة: ٥٧] وكل آيات هذه السور حرب على الكفار من أهل الكتاب وتمنع موالاتهم وفي أثناء ذلك يقول : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥] .

لم ترد كلمة " الراكعون " بعد الصلاة بل وردت بعد الزكاة، أي يدفعون الزكاة برضاهم ورغبتهم. وهم على عكس المنافقين الذين يكرهون تأدية الزكاة. كما قال تعالى في سورة التوبة الآية ٥٤ بالنسبة لإنفاق المنافقين ﴿ وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ

كَارِهُونَ» [التوبة: ٥٤] ، معنى الولي هو الصديق ونحن يجب أن لا نغفل عن تناسب الآيات ونجعل كلام الله لا رابطة بينه ولا قرينة تجمععه. ومن أجل إطاعة الإمام نسقط ما في القرآن من الفصاحة ونخلق الحديث كما فعل علي بن الحكم الكذاب وهو نفسه راوي حديث سلسلة الحمار. وفي مسلسل إسقاط مفتريات الكليني ذهب البرقي يرد الحديث الحادي عشر الذي أورده الكافي في باب الإمامة ويقول في الحديث الحادي عشر: علي إن إبراهيم وصالح السندي المجهول يضعان أصول الدين للمسلمين ويقولان إن الإمام الصادق قال: (من عرفنا كان مؤمناً ومن أنكرنا كان كافراً ومن لم يعرفنا وينكرنا كان ضالاً) وهذا يخالف القرآن لأن القرآن يقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] وفي هذا بيان لأصول الإيمان والكفر وقال تعالى في سورة النساء الآية ١٣٦: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ .

هل الله أن يبين أصول الإيمان والكفر في كتابه لرسوله أم لعلي بن إبراهيم وصالح السندي؟ ومعرفة الإمام ليست هي مناط الكفر والإيمان في كتاب الله، هل وجود الإمام نفسه من أصول الدين لتكون معرفته من شروط الإسلام؟ أم أن الإمام هو أحد أتباع الدين؟ في روايته رقم ١٦ جعل للقرآن قيماً، وقال منصور بن حازم القرآن: ليس بحجة لأن كل فرقة تستدل به ولا بد أن يكون له قيماً وهو الإمام . والرد عليهم هو أنهم استدلوا بكلمات الإمام واختلفوا فيها أيضاً، أمثال الصوفية والشيخية والزيدية والواقفية والجعفرية الأصولية والأخبارية و...، وبناء على هذا المنطق لا بد أن يكون للإمام قيم، وهو ليس حجة ولعل الكليني وعلي بن إبراهيم هما القيمان على الإمام! وأضاف إلى ذلك أن الله جعل القرآن هو الفصل في الخلافات كما ذكر، وسيدنا الأمير عدّ القرآن حجة كافية كما مرّ في الحديث ١٧: وأبدل بالآية ٧٤ في سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ وجوب إطاعة الإمام، ولكن الراوي المحرف قد عمل بالتحريف هنا أيضاً، ولم يأت

ببقية الآية حيث قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] ومعنى الإمام هنا هو لب الأعمال، يعني أن الناس يحضرون مع أمامهم أي مع سجل أعمالهم. ولست أدري كيف يتجراً هؤلاء الرواة على اللعب بالقرآن وتحريفه باسم الإمام وباسم النقل عن الإمام ١٢ أي يريدون أن يدعوا أن الإمام أراد أن يفسد كتاب الله ودين جده ١٢ .

وينتقل الإمام أبو الفضل البرقي لينقض ما جاء عند الإمام الكليني في الكافي من أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه فيقول: اعلم أنه روى في هذا الباب خمسة أحاديث تدل على أن الأئمة شهداء الله على الخلق : يقول آية الله أبو الفضل البرقي ورواة هذه الأحاديث كلهم فاسدوا العقيدة وضعاف، كسهل بن زياد الكذاب المشهور ملعون، وزياد القندي الذي كان وكيلاً لسيدنا موسى بن جعفر فسرق أمواله أنكر شهادته وأوجد مذهب الواقفية، وكمعلي بن محمد الوشاء، وحسن بن علي الفضال، وسليم بن قيس الهلالي الذي له كتاب مليء بالكذب ، وعلى سبيل المثال كتب في كتابه أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه في حال وفاته، مع أنه لما توفي أبو بكر كان محمد ابن سنتين فكيف يعظ ابن سنتين أباه ١٢ وكذلك كتب أن سليماً عرض خبراً على الإمام حسن، والإمام حسين بعد وفاة معاوية وهما قد صدقا ذلك، وهذا المسكين لم يعرف أن سيدنا الحسن توفي قبل وفاة معاوية بعشر سنين، وهكذا .

وأما متون هذه الأحاديث ففيها استشهاد بالآية ١٤٣ من سورة البقرة تستنتج فيها على أن الإمام شاهد على الخلق ونحن نأتي بالآية لنفصح الكذابين الذين تلاعبوا بالقرآن، يقول تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] . والظاهر من الآية أنكم تنظرون لأحوال بعضكم وتمنعون المنكر والرسول شاهد عليكم الآن، هذه الشهادة على الناس في أي وقت؟ طبعاً عندما يكون الفرد حياً وفي أثناء الاجتماع، ودليلنا آيات أخرى من القرآن ، حيث أن القرآن يصدق بعضه بعضاً : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ [المائدة: ١١٦-١١٧] . إذن تكون النتيجة أن الأمة الإسلامية تشهد على الناس وتمنعهم عن الفساد ويكون الرسول شاهداً على الناس ما دامت الحياة. لا بعد أن أصبح ميتاً لا يدري عن هذا العالم شيئاً وفي عالم آخر حيث ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨] وهي دار السلام .

أما إذا كان عالماً بأحوال الناس وشاهداً عليهم فلا بد أن يحزن ويأسف، وفي عالم الآخرة لا تكليف على الأنبياء ولا على الناس. وبالإضافة إلى ذلك ما معنى أن يكون الأنبياء والأوصياء شاهدين على أخطاء المخطئين ! فضلاً عن أن كلمة الشهادة وردت في الآية السابقة بنفس المعنى للناس ولرسول الله ﷺ ، والكلمتان لهما معنى واحد . إذن رسول الله ليس ناظراً بالمعنى الحسي المادي لأعمال الناس بعد وفاته فكيف بالإمام؟! وأراد الكليني أن يضع الإمام مكان رسول الله ليكون بعد ذلك شاهداً وناظراً للخلق مادامت الحياة على حد قوله! ولذا جمعوا أخباراً من الوضاعين والكذابين من الغلاة، حتى المجلسي نفسه ضعفهم وعدهم من الذين لا اعتبار لهم . وقال الله تعالى في سورة الحديد الآية ١٩ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

باب أن الأئمة هم الهداة

روى الكليني في هذا الباب أربع روايات وضعف المجلسي اثنين منها ، وقال بجهالة الآخر، وأما متنه : بين الإمام الآية ٧ من سورة الرعد، للراوي وهذه هي

الآية: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ههنا قال الإمام : إن عليا لكل قوم هاد، يقول الإمام أبو الفضل البرقي وللرد نقول :

أولاً : لا بد أن تعرف أن القرآن نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] هل كان الإمام لا يعرف أن اسم علي لم يرد في الآية وفي أية مناسبة جعل عليا هاديا لكل قوم ، أليس النبي هو الهادي إذا لم يكن النبي هو الهادي كيف يكون علي هو الهادي؟ ، هل هو أعلى مقاما من النبي؟.

وعلينا هنا أن ننبه إلى الرد هذا على مفتريات الإمام الكليني بلسان وقلم رجل كان في معظم أطوار حياته آية عظمى من آيات المذهب وأئمة ، غير أن الله تعالى شرح صدره للحق فجأراً به ولم يخش من الملامة، إنه يسترسل في الرد على مزاعم الكليني في أن الأئمة هم الهداة فيقول أخبرونا من الذين هداهم علي ولم يهدهم النبي ﷺ . أن الكفار طلبوا المعجزة من النبي وبأي مناسبة قال الله جواباً للكفار أن عليا هو الهادي .وبالإضافة على ذلك جعل الله من واجب الأمة الإسلامية الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير والهداية ، هذه الوظيفة لا تنحصر بعلي رضي الله عنه ، إذن لأي سبب حصروا الهداية بعلي؟ إن هؤلاء الرواة الوضاعين أرادوا تخريب الإسلام عندما حصروا الهداية في علي، هل يمكننا تحريف القرآن بروايات موسى بن بكر الواقفي المذهب ١١٢ .

وفي رد الإمام البرقي على مفتريات الكليني الذي يزعم أن الأئمة هم ولاية أمر الله وخزانة علمه يقول ناقضا ومسقطا سند الكليني ومتمنه اعلم أنه روى ستة أحاديث في هذا الباب وحتى المجلسي وهو من أئمة القوم يقول بضعف الأول وبجهالة الثاني والثالث والرابع ولكننا نرى أنها كلها ضعيفة لأن راوي الحديث السادس هو سهل بن زياد الكذاب ملعون ، وأن متون هذه الأحاديث تخالف النص القرآني مخالفة تامة، لأنه يقول في هذه الأحاديث من جهته أن الأئمة ولاية أمر الله مع أن الله تعالى منزه عن ذلك في أموره التكوينية ولا يحتاج في أموره إلى والي.

ثم يورد الإمام البرقي من كتاب الله تعالى ما يدعم به رده على الكليني فيقول قال: الله تعالى في سورة الإسراء الآية ١١ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ وفي كثير من الآيات ننبئ أن الله تعالى أبلغ عباده أنه ليس للعباد ولي إلا الله، إذا كان العباد ليس لهم ولي ولا قيم فكيف يكون لله ولي في أمره ؟! فهل لواضعي هذه الأخبار عقل أم أنهم كانوا يستهزئون بالله ؟! قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٠٧ : ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ وفي سورة الأنعام الآية ٥١ ﴿ رَبَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ وفي سورة الكهف الآية ٢٦ : ﴿ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ لا شك أن قبول بعض المسلمين لهذه الروايات المخالفة للتوحيد والعقل هو نتيجة ابتعادهم عن القرآن وعن الإسلام كلياً. لو قصد من الولي هو الولي في الأمور الشرعية لكان ذلك صحيحاً غير أنه لا ينحصر بالأئمة. بل من ينتخبه المسلمون أو حاكمهم لولاية الأمر فإنه هو ولي الأمر وينفذ أحكام الله ومن جهة أخرى يقول: إن الأئمة خزنة الله أو خزنة علمه. يقول الإمام البرقي أو لم يفكر هؤلاء أن علم الله وسائر صفاته هي عين ذاته وإن ذاته لا تحدد في خزينة^(١)، قال تعالى لرسوله في آيات متعددة بأنه ليس من خزنة الله فقد جاء في سورة الأنعام الآية ٥٠ : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فخرائن الله ليست لدى النبي ﷺ فكيف تكون لدى الإمام. كأن هؤلاء يعتبرون الأئمة أعلى مقاماً من الأنبياء وهناك كفر آخر في هذه الروايات وذلك - والعياذ بالله - أن الإمام ادعى النبوة وقال: (نحن عبيدٌ وحي الله)، وقال في مكان آخر :

(١) هذا قول المعتزلة، والذي يشهد له القرآن والعقل الصحيح هو أن الصفة غير الموصوف، لكن الصفة تقوم بالموصوف، ولا تقوم إلا به، فصفات الله تعالى غير ذاته، وهي (أي الصفات) متعددة، ويجب الإيمان بها وإثباتها على حقيقتها .

(نحن تراجمة وحي الله) يعني أن ما يقوله الله ليس لأحد أن يترجمه، ونحن وحدنا الذين نرى ترجمته، يقول الإمام البرقي ماذا نقول تجاه هذه المختلقات؟! وأسوأ من هذا ما ورد في الحديث الأخير حيث يقول الإمام - والعياذ بالله، إن الله خلقنا فأحسن صورنا كأنه خلق كل الخلق بصورة قبيحة إلا الأئمة، وهؤلاء هم أحسن وأجمل من في الدنيا وجهاً. مع أن الله قال لجميع الناس في سورة المؤمن ويقال لها الغافر أيضاً ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ - إلى أن قال - ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. وقال في سورة السجدة الآية ٧: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ليس الإمام وحده وقال ذلك للمؤمن والكافر في سورة التغابن ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾. ويتساءل آية الله العظمى أبو الفضل البرقي بعد ذلك الرد الحاسم على مفتريات الكليني ومزاعمه في أصول الكافي ويقول: إذن يحصر الإمام الخيالي للغلاة حسن الصورة بنفسه وماذا كان هدفه؟! ترى هل كان يريد أن يأتوه بمزيد من الإماماء والجواري أكثر مما لديه، أم أنه كان يظن أن الله قليل الرحمة ببقية عبادِهِ، وبالإضافة إلى ذلك: أن هذا الحديث يخالف الحس والواقع إذ أن هناك من هم أحسن وجوهاً من الأئمة ألم يسمع هؤلاء بحسن يوسف عليه السلام. وبعد ذلك يقول في هذا الحديث: (وجعلنا خزان في أرضه وسمائه) هل الله بحاجة إلى خزانة في السماء!! وبعد ذلك يقول: (لما نطقت الشجرة) يعني بذلك شجرة الطور عندما كلمت موسى عليه السلام والآن: لنسأل هل أنتم نفس سيدنا موسى النبي عليه السلام - أليس هذا ادعاء بوحدة الوجود وهو عين الكفر.

ثانياً: هو يقول أن الشجرة هي التي نطقت بينما القرآن يؤكد أن الله تعالى كان هو الناطق، قال الله تعالى في سورة القصص الآية ٣٠: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ

العالمين» وينبغي علينا هنا أن نوضح أن الشجرة لا شعور لها حتى تنطق، وهذه الشجرة ليست هي الله حتى نقول أنا الله، بل الله أوجد صوتاً في تلك البقعة المباركة في تلك الشجرة حتى تسمع موسى وتأمره ^(١) كما قال يا موسى أنا الله رب العالمين، ولما عد الشيخ الشبستري الصوفي في كتابه - "غلشن راز" ^(٢) - الشجرة ناطقة وجعلها محقة لإدعاء الألوهية: يقول لما صارت الشجرة إلها وقالت أنا الحق فيحق لكل مرشد "من باب أولى" أن يقول أنا الحق، يقول الإمام البرقي: ونحن رددنا على كفرياته في كتابنا "غلشن قدس" ^(٣) . هو يقول شعراً بالفارسي ما ترجمته: يجوز قول أنا الحق من شجرة، فلماذا لا يجوز من بشر .

بل ذرات العالم كلها كالمنصور (الحلاج) سواء اعتبرتها بسكر أو بغير سكر ، بل أنا وأنتم وهو كلنا شيء واحد ولا تمييز في الوحدة. ونحن رددنا على هذه الخزعبلات في كتابنا "غلشن قدس" وقلنا إنكم أسأتم تأويل الآية القرآنية بتفسيركم بالرأي لأنه ليس في القرآن (نادت الشجرة) بل (نودي يا موسى إني أنا الله)، ورددنا عليه شعراً - بالفارسية - ما ترجمته :

لما نودي موسى في الطور، خلق الله الصوت والصدى في الشجرة ^(٤) وسمع موسى قول الله - أنا الله رب العالمين ولست من جنس الأرض ولا السماء، إن الله منزله عن الشجرة وبرئ من قياس البشر، متى جاز قول أنا الحق من شجر ليكون جائزاً من بشر. وأما المنصور فمن ضلالته قال أنا الحق، والصوفية عدوها تجلياً.

(١) هذا تأويل لا يصح وهو خلاف القرآن الكريم، فالمتكلم هو الله تعالى، وموسى سمع صوت الله سبحانه وتعالى، هذه عقيدة الفرقة الناجية، وقول الشيخ هنا قول الأشاعرة وهو قول ينبغي نبذه ورده .

(٢) " غلشن راز " معناه : حديثة الأسرار (م) .

(٣) " غلشن قدس " معناه: الحديقة الطاهرة (م) .

(٤) هذا قول باطل وعار عن الصواب كما تقدم، بل موسى سمع صوت الله تعالى وكلامه ولذا سمي كلیم الله .

وجميع الناس يعلمون أن هذا القول كان خطأ وقد نطق الحلاج بالكفر عندما نطق بذلك .

وفرق بين الخالق والمخلوق. ومن يرى أنهما واحد فهو غارق في الكفر، والذي يقول عن نفسه أنا الحق كافر مطلقاً ، وليس لأحد أن يقول أنا الحق إلا الحق، ولا طريق لهم إلا التأويل حتى يموهوا على العوام. وكان قول: " أنا الحق " من شجرة، بإنشاء من الله ولم يكن إنشاءً من الله لأنه كان مما خلق، ولا يجوز القياس هنا، واعلم أن وجود الله ليس وجوداً مطلقاً حتى يسري ذلك على كل المخلوقات، وليس وجوداً عاماً بل ذات الله وجود خاص مقيد بواجب الوجود، وهو غني بذاته مباين عن الخلق الفقير بالذات، أما الصوفية فقد اعتبروا الله وجوداً عاماً - والعياذ بالله - تقليداً للفلاسفة والعرفاء وعدوه سارياً في الممكنات، فهم يعتبرون الشجر والحجر والمدر كلها وجود واحد، كأن راوي هذا الحديث (السادس) سهل بن زياد الكذاب الخبيث المعروف كان مقلداً للصوفية ، ونسب هذا الكفر للإمام الصادق ، وبعد ذلك يقول قال الإمام : (وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله) إني على يقين من أن العاقل لا يمكن أن ينطق بهذا الغرور ويعجب بنفسه وبعبادته، بل إن سيدنا الرسول ﷺ يقول في دعائه - ما عبدتك حق عبادتك .

هذا وقد روى الكليني ثلاثة أحاديث في هذا الباب وعدها المجلسي ضعافاً، لأن روايتها لا اعتبار لهم، بل كانوا فاسدي الدين وأتوا بخرافات في الإسلام، وأما متونها فتخالف العقل والقرآن، لأنه يقول إن الأئمة خلفاء الله، نقول: إن الإمام من البشر يحتاج كغيره من البشر إلى البول والغائط وإلا يمرض، والإنسان الذي يموت بحمى بسيطة كيف يمكن أن يكون خليفة الله، بالإضافة إلى ذلك، أن الخليفة يكون عندما يذهب السلف أو يموت، ليجلس أحد مكانه، وليس بمقدور أحد الوصول إلى مقام الألوهية ليكون خليفته، قد أغمى نبي من الأنبياء كموسى لما لم يستقر الجبل فكيف يخلف المقام الإلهي الذي يدبر المليارات من المجرات يقول الإمام البرقي لست أدري حال هؤلاء الذين افترضوا خليفة الله تعالى!!، هل لأنهم ما عرفوا الله أم أنهم ينكرونه مطلقاً ١٢ وكما يبدو من القرآن أن البشر خلفوا الموجودات السابقة

عليهم ، الذين أفسدوا في الأرض وأراقوا الدماء فأخلف الله مكانهم البشر، قال تعالى في سورة البقرة في الآية ٢٨: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ولم يقل فيها خليفة لي أو خليفة الله، إذن فقد فهم الملائكة المخاطبين أن الله يريد أن يجعل خليفة بدل الذين فسدوا في الأرض وأراقوا الدماء وهلكوا، وليس لأحد أن يدعي أنه يفهم خيرا مما فهم الملائكة، إلا أن يخلق الرواة خليفة لله كأمثال الراوي محمد بن جمهور، وعبد الله بن سنان اللذان هما من الغلاة، ومن مشاهير الكذابين، ونقل الكليني هذه الأباطيل عن هؤلاء فقلده مجتهدو عصرنا! يقول تعالى لأدم وزوجته بعد ذلك بقليل: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] يبدو أنه كان هناك ظالمين من قبلهما وهما أصبحا خليفتان لهم. وهناك آيات أخرى تدل على أن كل البشر أصبحوا خلفاء للسابقين .

يقول الكليني في الحديث رقم ٣: إن الإمام الصادق ادعى أن الآية ٥٥ من سورة النور تطبق عليه إذ قال تعالى لرسوله وأصحابه مخاطباً إياهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي﴾. هذه الآية تستهل الخطاب بكلمة (منكم) فهي تقول يا أيها الذين آمنوا من أصحاب محمد سوف أجعلكم خلفاء المشركين وأعطيكُم الدولة وأمكنكم، وهدف هذه الدولة الإسلامية هو العمل بالتوحيد الخالص والبعد عن الشرك، ويبدو أن عبد الله بن سنان الكذاب لم ير كلمة (منكم) ونسب ذلك كذبا للإمام قائلا إن القصد هو التمكن من دولة الأئمة، مع أن الأئمة لم يكن لهم دولة، والشيعة العوام أيضا اتبعوا عبد الله بن سنان، ويقولون إن المقصود هو دولة الإمام الثاني عشر، كأن هؤلاء المدعون لم يروا كلمة (منكم)، تدل هذه الآية أن الدولة الإسلامية التي قامت في عهد الرسول وخلفائه قد قامت كما وعد الله وإلى هذا

المعنى أشار الإمام علي رضي الله عنه حين وقعت الحرب بين الفرس والمسلمين قال لعمر رضي الله عنه (ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده) .

وفي الحديث الثاني: في هذا الباب نقل الرواة الكذابون كمحمد بن جعفر عن الإمام الصادق أن الأوصياء أبواب الله، ولكن علياً رضي الله عنه قال في نهج البلاغة فيما يتعلق بالخالق والمخلوق (فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب، وإنه لبكل مكان وفي كل حين وأوان) هذا نفى سيدنا الأمير أن يكون لله بابا ولكن أبناءه قالوا نحن أبواب الله على حد قول الرواة المختلفين، وهذا الكلام أصبح حجة لأهل الباطل وجاء سيد محمد على الباب (زعيم البهائية) وقال أنا باب من أبواب الله التي أوردتها الكافي في كتابه .

ربما يقول رواة أحاديث النبي ﷺ أننا أبواب علم رسول الله ليأخذ الناس قوله عنا ونقل عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا مدينة العلم وعلى باب" (والحديث ضعيف بإسناده) ومع هذا لم يقل باب الله. وقال الإمام السجاد في الدعاء الأول في الصحيفة السجادية (الحمد لله الذي أخلق عنا باب الحاجة إلا إليه) .

ويواصل الإمام البرقي الطرق على جنابات الصنم الذي شيده الكليني في أصوله وفروعه فيأتي على ذكره لمزاعم أن الأئمة هم أركان الأرض ويقول: روى في هذا الباب ثلاثة أحاديث ضعفها المجلسي كلها، لأن أحد رواتها محمد بن سنان من الكذابين المعروفين ومن الغلاة قال علماء الرجال عنه ذلك، وهو الذي يقول إن الله خلق العالم ووكل أمر العالم لمحمد وعلي! وجلس يرتاح، والآخر سهل بن زياد الملعون الكذاب، والآخر علي بن حسان من الباطنية، وكان له كتاب تفسير باطني حيث عمد إلى التحريف في الإسلام، هؤلاء الفسقة أتونا بما سموه مذهباً!! وهنا يقولون إن الأئمة أركان الأرض وكل من لا يقبل بذلك فهو مشرك! ويقولون قال علي: إن الجنة والنار بيدي وأنا الفاروق الأكبر، يعني لما لقبوا عمر ابن الخطاب بالفاروق فأننا الفاروق الأكبر!! يقول الإمام البرقي: بهذه الكلمات أتوا بمذهب

جعلوا كل المذاهب الإسلامية يسيئون الظن به، لأن هذه الموضوعات وأمثالها بطلانها وتضادها مع العقل والقرآن بين، لذا لا حاجة إلى المزيد من الشرح والتبيين، قال الله في كتابه : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ كي لا تضطرب، أما هؤلاء فيقولون في هذا الحديث إن الإمام ركن الأرض فلو لم يكن الإمام لاضطربت الأرض! هنا نتساءل، كيف كانت الأرض قبل خلق آدم وقبل قيام القيامة حيث لم يكن بشر ولا يكون، لا إمام ولا مأموم ١٢. والجدير ذكره في هذا المقام: أن مقالة خلق الله للعالم ثم أوكل أمره وتدبيره لبعض خلقه لكي يستريح مقاله يهودية وردت في أسفار العهد القديم .

الأئمة ولادة الأمر وهم الناس المحسودون

في قائمة المفتريات التي أوردها الإمام الكليني في كتابه ..أصول الكافي عقيدة المذهب من أن الأئمة هم ولادة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله تعالى وقد تصدى له بمنهجه التصحيحي الإمام أبو الفضل البرقي عندما ذكر أن الكليني ذكر في هذا الباب خمسة أحاديث تؤيد الزعم القائل بأن الأئمة ولادة الأمر في هذا المذهب قد ذكرهم الله وراح الإمام البرقي يقول : روى الكليني خمسة أحاديث في هذا الباب. وسند كل من الأول والرابع ضعيف والثاني مجهول على حد قول المجلسي، ولكن نرى أنها كلها ضعيفة لأن رواية هذه الأحاديث هم رواية الخرافات في الأبواب الأخرى.

وأما متونها. سأل الراوي في الحديث الأول : من هم أولوا الأمر : فلم يجب الإمام بوضوح بل تلى عددا من الآيات القرآنية مشيرا بأنهم محسودون، أجل، من هو الذي يخلو من الحسد، ألم يكن سيدنا يوسف عليه السلام محسوداً من قبل إخوته؟ والخلفاء كانوا محسودين من قبل الذين لم يحرزوا مقام الخلافة، والسادات العلويون كانوا محسودين، ومن قبل أمثالهم من العباسيين والسادات العباسيين كانوا محسودين من قبل غيرهم، ولكن الإمام قرأ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ [النساء: ٥٤] وقال هذا يتعلق بنا دون غيرنا ونحن المعنيون بها وحدنا، هذا الكلام من اختلاق الرواة قطعاً، لأنه في وقت نزول هذه الآية لم يكن الإمام الصادق موجوداً كي يحسد، بل في وقت نزول الآية لم تكن خلافة وإمامة ورياسة، وكان رسول الله ﷺ وحده إماماً للناس، إضافة إلى أنه لو كانت كل آية تتعلق بواحد من الناس لصار القرآن لاغياً بمجرد ذهاب هؤلاء الناس، وبغض النظر عن كل هذا، اقرؤوا الآية وسياقها في سورة الناس الآية ٥٧: هذه الآية والآيات التي قبلها تتعلق باليهود، حيث ذهبوا إلى مكة وقالوا للمشركين أنتم أحسن من هؤلاء سبيلاً - أي من محمد ﷺ واتباعه، وأنزل الله هذه الآيات في ذم اليهود ولا تتعلق بإمام أصلاً، وبعد ذلك قال: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥] فمنهم - أي: من اليهود - وأيضاً أول الإمام هذه الآية لنفسه، مع أن القرآن ذكرها بصيغة الماضي (آتيناهم) ولا تتعلق بالمستقبل وبأئمة الشيعة، أجل، إن هؤلاء الرواة لم ينصبوا الإمام إلا ليزرعوا التفرقة بين المسلمين ويستغلوا التعصب المذهبي ويصطادوا الماء العكر.

مفتريات الإمام الكليني حول الأئمة

من نافلة القول التأكيد هنا على أن كتاب : الكافي بأصوله وفروعه يعتبر العمدة والحجة في تقرير قواعد المذهب الإمامي عقيدة وفقهاً بل أدباً وأخلاقاً وسلوكاً، ومن هنا فإن ما جاء في كتاب أصول الكافي يعتبر ديناً ومذهباً وذلك على الرغم مما وقع فيه الكاتب من معتقدات ومقالات، لا تعتبر منهجاً باطنياً أو تأويلياً وتلفيفاً عقدياً فقط، بل في معظمه ما يخرج عن الملة ومن ذلك مثلاً وعلى ضوء ما توقف عنده الإمام آية الله العظمى أبو الفضل البرقي من أن الأئمة الذين يقول بهم دعاة المذهب قد ذكرهم الله تعالى في كتابه، وقد ذهب الإمام البرقي وهو "يكسر الصلح" يعني الباب الذي جاء عند الكليني بعنوان : باب أن الآيات التي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة وقد جاء عند الإمام البرقي أنه رويت ثلاثة أخبار في هذا

الباب، يقول المجلسي بضعف الأول والثاني وأن الثالث مجهول، وأن بعض روايتها من أسوأ خلق الله، من بينهم أحمد بن هلال العبرتي الخبيث الملعون المغالي والمرائي الذي كان بالتصوف كما نقل الممقاني في المجلد الأول من كتاب الرجال ص ٩٩ والشيخ الطوسي والنجاشي وآخرون أن أحمد بن هلال حج أربعاً وخمسين مرة ذهب عشرين مرة منها ماشياً، مع هذا لعنه سيدنا العسكري رضي الله عنه وسبه وطلب من الله العذاب وكتب قاسم بن علا: أمرنا لك أن تعلم عن الرجل المرائي الصوفي أحمد بن هلال - لا رحمه الله - ولا أزال أقول لا رحمه الله ولا غفر خطاياهم لأنه يتكلم برأيه وإن شاء الله سيكون مثواه النار، نحن نصبر حتى يقطع الله عمره ونعلن لأصحابنا أنه ليس في رحمة الله، ونحن بريئون منه .

ثم يسأل الإمام البرقي مستكراً منهج الكليني ومصادره ويقول كيف روى الكليني الروايات عن رجل كهذا ١١؟، روايات هدفها الوحيد هو هدم الإسلام، إذ يريد الكليني أن يثبت مقام الإمام وعلوم الإمام عن طريق هؤلاء الرواة، وينقل كل خرافة باسم الإمام وعلومه وعن رجال كهؤلاء، مثلاً روى في هذا الباب هذا الراوي وأميه بن علي وداود الرقي وهما من الغلاة، روى عن الإمام الصادق تفسيراً يتعلق بالآية ٤٢ من سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ، كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فيه أن الإمام قال إن الآيات التي كذبها آل فرعون، كنا نحن الأئمة تلك الآيات، يتساءل البرقي ويقول: بالله عليكم إذا كانت هذه هي علوم الأئمة يعني قولهم إن اتباع فرعون كذبوا بإمامة الإمام الصادق فكيف تكون علوم الآخرين!!! انظروا كيف يهزأ هؤلاء الرواة ويسخرون بكتاب الله، والعجب من المجلسي لماذا يؤول ويقبل الخرافات التي في الكافي، وإذا كان الأساس هو التأويل والتوجيه فيمكن أن يؤول أي كفر وزخرف من القول ويوصف بالإيمان والحقيقة، هذه الخرافة في الحديث الثاني نقلت عن الإمام الباقر، وروى عنه أيضاً في الحديث الثالث أنه قال، إن المقصود من الآية ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ

النَّبَأَ الْعَظِيمَ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿ [النبا: ١: ٣] هو سيدنا علي رضي الله عنه، حيث تساءل كفار مكة فيما بينهم عن خلافته، مع أن مشركي مكة لم يقبلوا رسالة محمد ﷺ أصلاً، وهذه السورة "النبا" نزلت في مكة وبما أنه في هذه السورة وردت أخبار القيامة فإن المشركين لم يقبلوها وتساءلوا فيما بينهم عن خبر القيامة بدليل أنه جاء بعد هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا، يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبا: ١٧، ١٨] ، إن "النبا العظيم" هو خبر القيامة ولا علاقة له بالخلافة. وفي مكة كانوا لا يؤمنون بالرسول نفسه فكيف يعتبرون خلافة علي نبأ عظيمًا. وبالإضافة إلى هذا إن النبا العظيم ورد في سورة ص أيضاً من الآية ٦٧، ٦٨، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ وهذه السورة مكية أيضاً إذا النبا العظيم ليس علياً مع أن سيدنا الأمير رضي الله عنه نفسه يقول في دعاء يوم الاثنين في الصحيفة العلوية أنه يؤمن بالنبا العظيم وقال أيضاً: " الحمد لله الذي هداني للإسلام وأكرمني بالإيمان وبصرني في الدين وشرفني باليقين وعرفني الحق الذي عنه يؤفكون والنبأ الذي هم فيه مختلفون " ويعقب الإمام البرقي على كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ويقول يبدو أن هؤلاء الرواة المختلفين لم يطلعوا على كلام سيدنا الأمير رضي الله عنه نفسه، والعجيب أن الكليني يريد أن يقول عن الآيات المذكورة أن المقصود منها هم الأئمة مستدلاً أيضاً برواية من لا دين لهم. واستطرد الإمام البرقي يناقش وينقض مزاعم الإمام الكليني حول كل ما أورده عن الأئمة ونعتهم في كتاب الله على ضوء ما يدعى الكليني بالعلم فيقول إن الكليني روى في هذا الباب حديثين .

يقول المجلسي إن سند الأول مهمل ولكننا نقول إنه لا اعتبار له لوجود عبدالله ابن المغيرة حيث يعتقد أن الإمام يعلم الغيب ويخبر عما في ضمير الإنسان، وغيرها من العقائد الفاسدة، وقال الطبرسي إن الذي يعتقد أن الغيب يعلمه غير الله

خارج عن الإسلام، وأما منته فيقول، عن الآية ٩ من سورة الزمر: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

قال الإمام : إننا الذين يعملون وأعداؤنا الذين لا يعلمون !!، أراد الكليني بهذا الحديث أن يثبت أن كل من يصفهم القرآن بالعلم هم الأئمة، هذا وأمثاله من الأخبار تنافى القرآن والعقل، والله تعالى قد ذكر في القرآن كثيراً من الذين لم يكونوا أئمة وكانوا علماء، ومنهم العلماء المفرقين للجماعة! حيث سماهم العلماء، ففي الآية ١٩ من سورة آل عمران، سمى علماء اليهود علماء، ومثل الآية ٦٦ من آل عمران أيضاً، والآية ١٦٢ من سورة النساء وفي مئات من الآيات غيرها .

إذن لا تنحصر صفة العلم بالأئمة في كتاب الله، ثانياً: نزلت الآية ٩ من سورة الزمر في مكة ولم يكن هناك أئمة حتى يذكرهم بصفة العلم ويستطرد الإمام المصحح البرقي ينقض مفتريات الكليني ويقول عنه إنه يدعى، إن شيعتنا وحدهم هم أولوا الألباب، وهم العقلاء ، أما غيرهم فلا عقل لهم، وهذا لا يصح أيضاً، لأن الله تعالى قال في آخر سورة آل عمران الآية ١٩٠: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ولا يخص الشيعة فقط، بالإضافة إلى أنه من غير الصحيح أن يقول في كل أبواب الكافي، أنا وأنا وأنا ... ويمجد نفسه مراراً وتكراراً ويقول أنا العالم فقط وأنا العاقل فقط وأنا الراسخ في العلم فقط، هل تليق الإمامة بإمام كهذا؟! أجل يكون ذلك إمام المتكبرين لا إمام المتقين، فالكليني ورواته نصبوا إماماً متكبراً معجباً بنفسه، ثم إن ما نسب إلى الأئمة في كتاب الكافي يكفي لكي يظهر أن إمام الكليني المزعوم هو إمام جاهل خرافي لا علم له .

ثم يتوسع الإمام البرقي ويقول: إن الزعم بأن الراسخين في العلم هم الأئمة فقط بالروايات التي أوردها الكليني بغض النظر عن السند تخالف القرآن والعقل بل وحتى نهج البلاغة، وإسنادها أيضاً ضعيف جداً وذلك لوجود علي بن حسان

المغالبي الكذاب في سنده حيث كان له تفسير باطني ليس فيه من الإسلام شيء وأيضاً لوجود عبدالرحمن بن كثير، الضعيف الوضاع ولوجود محمد بن أورمه المغالبي الذي خلط في كتبه الحق بالباطل و كان لا يعتمد عليه، وأما منتها : فقال الإمام عن سورة آل عمران الآية ٧: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ قال الإمام نحن الراسخون في العلم، قد فصلنا نحن عن معنى هذه الآية في مقدمة تفسيرنا للقرآن الكريم. يقول الإمام البرقي ناعياً على الكليني فيما ذهب إليه من روايات ومفتريات .

إن كثيراً من الناس قد تنحوا عن القرآن وابتعدوا عنه بسبب هذه الروايات المختلفة، وعند قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] .

فهؤلاء المغرضون يقولون إن في القرآن آيات متشابهات، ونحن لا نفهم معناها ولا تأويلها وطبقاً لهذه الروايات من الكافي فإن من يعلمها هو الإمام وحده، ولأننا لا نفهم تلك الآيات ولا ندري معناها فعلياً أن نغض البصر عن الآيات المتشابهات لأن الإمام قال لا يعلم تأويله أحد غيرنا، ومن جانب آخر إن الآيات المتشابهات غير معروفة وكل آية يمكن أن تكون متشابهة، إذن لا بد أن نغض الطرف عن القرآن كله، ثم يعقب الإمام البرقي ويقول هذا المنطق الخطأ وهذه المغالطة هي التي جعلت القرآن بعيداً عن الناس، وكان بعد الناس عن القرآن الكريم تحت ظلال هذه الروايات المكذوبة ! أما نحن فنقول لإيقاظهم - إذ أرادوا أن ينتقظوا :

أولاً : لم يقل الله تعالى إن المتشابهات لا يفهمها أحد أولاً يدرك معناها، بل قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾، وتأويل الآية غير تفسيرها وبيان معناها، ولم يقل

الله لا يعلم تفسيرها ومعناها إلا الله... فلماذا تقولون لا نفهم تفسير الآية ومعناها، وأمرنا الله تعالى بتدبر الآيات لفهمها، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ لأن الله وصف آيات القرآن بأنها ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ووصف القرآن بأنه ﴿ كِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ وأنه ﴿ بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ ﴾، إذن التأويل غير التفسير، هل يمكن أن ينزل الله آيات لا يفهمها أحد ثم يلزمنا بفهمها والعمل بها ويوجب العقاب على عدم فهمها والعمل بها؟! إن هذا عين الظلم والاستبداد والله سبحانه منزّه عنه. وأما معنى التأويل، فهو التحقق الخارجي، مثلاً لما قال سيدنا يوسف: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ يستطيع كل إنسان أن يفهم معنى الآيات وتفسيرها، أما التحقق الخارجي للآية فلم يعرفه أحد حتى وصل يوسف إلى الملك والسلطة، وجاء إخوة يوسف وأبوه وأمه وخضعوا لعظمته، هنا قال سيدنا يوسف عليه السلام هذا تأويل رؤيائي من قبل، ومثلاً لما قال الله تعالى في سورة النبأ: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ كل أحد يعرف معنى هذه الآية، حيث ينفخ الصور يوماً ويأتي الناس أفواجاً، أما الوجود الخارجي للصور وتحققه في الخارج على أي كيفية تكون، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى .

ثانياً: الآية تقول لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ومن قال إن الراسخين يعلمونه كان جاهلاً مخطئاً ولم يكن له علم بالعربية لأنه جعل - الواو - في الراسخون واو العطف لا واو الاستئناف، ولم يدرك أنه لو كانت الواو عاطفة لأدى القول إلى الشرك والكفر وإن أي إمام لا يمكن أن يتفوه بمثل ذلك الجهل، لأن الواو إذا كانت عاطفة يكون المعنى: كما يلي: لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ويقول الله والراسخون آمنا به كل من عند ربنا، مع أن الله لا يقول آمنا وكل من عند ربنا ، لأن الله ليس له رب حتى يؤمن به ، إذن الواو تكون للاستئناف كما جاء في كتاب مغنى اللبيب لابن هشام وكتب اللغة الأخرى ، إذن لا يفهم تأويل

المتشابهات إلا الله ، ولم يرد الله من أحد تأويل المتشابهات والعلم بالتأويل ، ونحن لسنا مكلفين بالتأويل ولا يلزمنا العلم به، أما فهم الآيات والعمل بها فلا علاقة له بالتأويل (١) .

ثالثاً : روايات الكافي تقول إن الراسخين ينحسرون برسول الله والأئمة، هذا غلط ومخالف للقرآن، لأن القرآن وصف علماء اليهود الذين لا يؤمنون بالقرآن بالراسخين وقال في سورة النساء الآية ١٦٢ : ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ إذا قيل لعلماء اليهود أنهم الراسخون في العلم فيكون علماء المسلمين من باب أولى راسخين في العلم، والراسخ في العلم يعني الذي يكون ثابتاً في العلم وراسخاً في المسائل لا يتزعزع ولا يتحير، إضافة إلى أن أمير المؤمنين ينسب إليه في نهج البلاغة في الخطبة رقم ٨٩ : (واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدود المضروبة دون العيوب، والإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق في ما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقصر على ذلك). ثم يتوسع الإمام البرقي ويقول بناء على قول سيدنا علي فإن من لا يدخل في الغيبيات معترفا بعجزه وجهله هو من الراسخين، ويقول سيدنا السجاد أيضاً في الصحيفة السجادية فيما يتعلق بالراسخين والمحكم والمتشابه في القرآن : (فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته ويدين لك باعتقاده التسليم لمحكم آياته ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيناته... واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله ويهتدي بضوء صباحه). إذن كيف حصر الرواة الكذابون الراسخين بالأئمة خلافاً لسيدنا علي

(١) هذا كلام رجل موفق ومُعانٍ . قال ابن تيمية : فمن قال إن القرآن يجوز أن يشتمل على ما لا سبيل لبعض الناس العلم به فقد أصاب، وذلك لعجزه، لا عن نقص في دلالة القرآن ... وإن أراد أنه لا سبيل لأحد إلى معرفة تفسيره فقد غلط، وإن قال: لا سبيل لأحد إلى معرفة حقيقته وهيئته ونحو ذلك فقد أصاب، فينبغي أن يعرف الفصل في هذا الباب حتى يظهر الخطأ من الصواب. انظر (نقض التأسيس ٢/٢٠٠) .

وسيدنا السجاد رضي الله عنهما. إضافة إلى ذلك إن الرسوخ في بعض المسائل العلمية ليس أمراً محصوراً لأحد، وروايات الكافي أيضاً لا تدل على الحصر، أما الآيات التي لها تأويل وهي من المتشابهات ولا يعلم تأويلها وتحققها الخارجي إلا الله فهي الآيات التي تتعلق بالقيامة والآيات التي تتعلق بصفات الله تعالى لأنه ليس لأحد أن يحيط علماً بصفاته تعالى ولا العلم بحقائق القيامة إلا الله، ولكن معنى الآيات تفسيرها واضح لكل من يفهم وهو المقصود وما لنا بتأويلها .

الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم

إن هدف الكليني في هذا الباب غير واضح ولا يعلم ماذا يريد أن يقول، فالله تعالى قال في سورة العنكبوت الآية ٤٨ لرسوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ وبعد ذلك يقول تعالى في الآية ٤٩: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ وجاء الكليني ونقل عن عدد من الرواة الذين يجهل حالهم أن الإمام الباقر أو الإمام الصادق قال: آيات الله في صدورنا فقط وخاصة بنا وهذا باطل مخالف للقرآن، القرآن ما أنزل لعدد خاص، ونرى فعليا أن كثيراً من العلماء كثير الرغبة إلى القرآن وفي صدورهم آيات من القرآن ولذا روايات الكليني هذه هي خلاف الواقع، قال الله في سورة الأنبياء الآية ١٠٩: ﴿ فَقُلْ أَذْنَتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وليس هناك آية في القرآن تقول: يا أيها الإمام أو يا أيها الأئمة كي تخص الأئمة، إذن ما الفائدة من جمع هذه الروايات المخالفة للقرآن ولماذا يسيئون إلى الأئمة ويظهرونهم بمظهر الجهل من جراء هذه الأخبار؟ ثم يقول الإمام البرقي وأما ما ذهب إليه الكليني في الكافي من أن من اصطفاهم الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة رضي الله عنهم فأخبار الكليني مروية ورواياته في هذا الباب مروية من راوية سيء السمعة محمد بن جمهور الكذاب المعروف فاسد الحديث الذي روج الفسق والفجور بأشعاره ولذا ضعف المجلسي الخبر الأول والثاني والثالث، وأما متونها: قال الله تعالى في سورة فاطر الآية ٣٢ بعد ما قال إنا أنزلنا إليك القرآن: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فهذا القول: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ يعني أمة

محمد ﷺ حيث اصطفاهم وسماهم خير أمة قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١١٠: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ يقول الكليني في عنوان الباب أن أولئك العباد الذين أورثهم الكتاب واصطفاهم هم الأئمة الطاهرون وجاء بثلاث روايات من الذين لا اعتبار لهم ولا وزن يقول فيها قال الإمام نحن عباد الله المصطفون مع أن الإمام في هذه الروايات لم يقل ذلك بل قال رضي الله عنه السابق بالخيرات الإمام، فإما أن الكليني لم يفهم قول الإمام وإما أنه أراد اتهامه . ثانياً : صنف الله عباده في الآية السابقة إلى ثلاث فئات (سمى فئة منهم الظالم لنفسه) وإذا كان القصد من ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢] هو الإمام يلزم أن يكون الإمام ظالماً لنفسه يقول البرقي وعلينا أن ننظر مدى جهل الكليني عندما يدعى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ هو الإمام. بماذا اصطفى الله الأئمة بالوحي أم النبوة ؟ والغريب حقاً أن مدعي العلم والاجتهاد يقلدون رجلاً عامياً كهذا .

وأما الحديث الرابع في هذا الباب، روى الكليني عن عدد من الجهال في قول الله تعالى : في سورة البقرة : ١٢١: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ والمقصود من الآية أن هناك من اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بالقرآن وهناك الذين يتأملون في القرآن ويتدبرون فيه ويدركون أن القرآن حق ويؤمنون به أما الكليني فقد نقل في معنى هذه الآية عن الذين عمدوا إلى التحريف المعنوي قال الإمام: الذين يتلون القرآن حق تلاوته ويؤمنون به هم الأئمة وحدهم مع أن هذا مخالف للواقع ويخالف القرآن نفسه .

وثانياً: ذكر الله في القرآن في عدد من الآيات أهل الكتاب الذين آمنوا بالقرآن كالأية ١٩٩ من سورة آل عمران: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ وقال تعالى في سورة النساء الآية ١٦٢

عن اليهود: ﴿ لَكِنَّ الرَّاْسِيخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ويقول في مكان آخر عن النصارى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣] وثمة مئات من الآيات الأخرى تدل على ذلك ألم ير الإمام الصادق هذه الآيات أو لم يعرفها؟ أم أن الكليني ورواته أرادوا اتهام الإمام ١٢ .

باب: أن الأئمة في كتاب الله إمامان : إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار

روى الكليني في هذا الباب روايتين كلاهما ضعيف، لأن رواية الأول من الغلاة ورواية الثاني أحدهما طلحة بن يزيد وهو مهمل ويقول المجلسي بضعفه وأما المتن الأول: ففيه يقول: قال الإمام لما نزلت الآية ٧١ من سورة الإسراء: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ومعنى الإمام في الآية هو سجل الأعمال بقريضة جملة (فمن أوتي كتابه) لأنه قيل عن الكتاب إنه الإمام كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف: ١٢] خاصة سجل الأعمال كما جاء في آية ١٢ من سورة يس: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ وقال سيدنا علي في الصحيفة العلوية (أشهد أن القرآن إمامي) وكذلك في نهج البلاغة اعتبر القرآن إماماً. ثم انتقل الإمام البرقي إلى رواية الكليني في هذا الباب وقال :

على كل حال نقل الكليني آية ٧١ من سورة الإسراء وقال المقصود من هذا الإمام أئمة أهل البيت مع أن الله قال : ﴿ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ وأمم الدنيا لهم أئمة كثيرة منهم أئمة الكفر ومنهم أئمة الإيمان وحصر كل ذلك بالأئمة الاثني عشر خطأ واضح، ويعلق البرقي ويقول : يبدو أن هذا الوضع لم يعرف كيف يضع. على كل أراد الراوي أن يضع مذهباً ولكنه لم يتقن ذلك بسبب جهله .

وأما متن الرواية الثانية عندما يقول الإمام إمامان أئمة الكفر وأئمة الإيمان
يؤيد قولنا ولا يحصر الأئمة بالاثني عشر .

باب : أن القرآن يهدي للإمام

اعلم أن القرآن هاد لجميع المؤمنين والمتقين وهو هاد للنبي ﷺ نفسه كما قال
الله تعالى له : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي
إِلَيَّ رَبِّي ﴾ [سبا: ٥٠] إذن على كل إمام ومأموم أن يرجع إلى القرآن ويهتدي به
وببركته، أما هؤلاء الغلاة فيتخيلون أن القرآن أنزل ليهدي الناس إلى الإمام، مع أن
القرآن يهدي إلى الطريق المستقيم لا إلى الأشخاص، وهذا أمر واضح، على كل
حال حرّف الكليني حديثين، ورواته إما من الغلاة أو الواقفية من أعداء سيدنا
الرضا رضي الله عنه كإبراهيم بن عبد الحميد الواقفي إذ نقل الآية ٣٣ من
سورة النساء في الحديث الأول وحرفها، قال الله تعالى في هذه الآية بعد آيات
الإرث: ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ
فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ لأنه كان معروفاً في تلك الأيام أن يتعاقد اثنان على المودة
والوفاء وأجيز ذلك في الإسلام، وقد كان نص المعاهدة (تعاهدنا أن دمك دمي
وثأرك ثأري وحربك حربي وسلمك سلمي تورثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك
وتعقل عني وأعقل عنك) .

ولما تعاقدوا توارثا، وإلى هذا العقد تشير الآية ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ
نَصِيبَهُمْ ﴾. إما الكليني أو رواته كسروا الهمزة في ﴿ أَيْمَانُكُمْ ﴾ التي هي بالأصل
مفتوحة وروى عن الإمام أو افترى عليه القول إن المقصود من هذه الجملة الإمام
حيث يقبل إيمانكم عن طريق هؤلاء الأئمة، لا حظوا مدى جهل هؤلاء لا يفرقون
بين الفتحة والكسرة، ويريدون أن يخرجوا الإمام من هذه الآية وإن كانت كلمة
الإمام لا تتفق مع عنوان الباب لأن عنوان الباب هو أن القرآن يهدي الناس إلى

الإمام، ولا يستنتج هذا من هذه الآية وأنا لا أظن أن هذا التحريف وقلب الفتحة كسرة كان سهواً، بل صانعوا المذهب أبطنوا سوءاً .

وأما متن الحديث الثاني: فنسب للإمام قولاً ليثبت أن القرآن هاد للإمام بعد ما أورد الآية: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٩] قال الإمام: ﴿ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ هو الإمام، ولم يصل فهم الراوي إلى أن (التي هي) مؤنث وليس لنا إمام مؤنث ! وهذه الآية لا تتعلق بالإمام إطلاقاً. يقول الإمام البرقي: هل الكليني كان جاهلاً إلى درجة أنه لم يفهم هدف الرواة من وضع هذه الروايات؟! ولماذا قبل الشيعة هذه الأحاديث وعدوها من عقائدهم!! ثم انتقل الإمام البرقي يكسر الصنم الذي شيده الكليني في (الكافي) ويهدم الباب الذي خصصه لعرض الأعمال على النبي ﷺ وعلى آله وصحبه بصحبة ومرافقة ومشاركة الأئمة معه في عرض أعمال العباد عليهم فيقول: روى الكليني عدة أحاديث ضعيفة في هذا الباب، حيث تفيد أن أعمال الأبرار والأشرار تعرض على النبي ﷺ والأئمة وهم يعلمون أعمال الناس خيرها وشرها، وأحد هؤلاء الرواة هو علي بن أبي حمزة البطائني الذي أسس مذهب الواقفية، وأكل أموال سيدنا الكاظم، ولعنه الإمام الرضا، والآخر عثمان بن عيسى شريكه في الاختلاس والخيانة، والآخر عبد الحميد الطائي، وأمثال هؤلاء سعوا كلهم في تشويه القرآن ووضع الروايات المخالفة لسه منها ما روى في هذا الباب من أن الأعمال تعرض على الأئمة استناداً إلى ما جاء في الآيتين ٩٤ و ١٠٥ من سورة التوبة حيث قال تعالى للمنافقين الذين لم يحضروا غزوة تبوك وجاعوا ليعتذروا من النبي ﷺ بعد رجوعه لهم ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾ وعليكم أن تفادوا ذلك في المستقبل حتى يرى الله والمؤمنين أعمالكم ونحن سنأتي بالآية كي تظهر خيانة الرواة ولكي يتبين أن هذه الآيات لا علاقة لها بعرض الأعمال على الأئمة ولا تتعلق بعرض أعمال المؤمنين إطلاقاً .

قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ٩٣، ٩٤] .

وبعد عشر آيات قال تعالى مرة أخرى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرْجِعُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وينبه الإمام البرقي الدارس ويقول انظر من المخاطب بقوله تعالى : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ و ﴿لَكُمْ﴾ و ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ و ﴿عَمَلَكُمْ﴾ إنهم المنافقون الذين كانوا عند حضرة النبي ﷺ واعتذروا، إذن ما علاقة هذه الآيات بالمؤمنين الذين يأتون بعد ذلك؟، وما علاقتها بالمؤمنين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ حيث قال تعالى أيها المؤمنون اعملوا سيري رسول الله أعمالكم في عالم الآخرة بعد وفاته وتعرض أعمالكم عليه وعلى الأئمة، انظر مدى التحريف والتلاعب بالقرآن، بالإضافة إلى ذلك فإن عرض الأعمال على النبي والأئمة يخالف مئات الآيات في القرآن. قال تعالى : ﴿لَا تَجَسَّسُوا﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ وقد كررها في الآية ١٧ من سورة الإسراء والآية ١٨ من سورة الفرقان، والله ستار على ذنوب عبده ولا يرضى أن يعلم ذنوب عباده غيره - تعالى - يقول الله لرسوله في سورة التوبة الآية ١٠١: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ وقال تعالى في الآية ٤٣: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ وقال تعالى في الآية ٢٠٤ من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ﴾ .

إذن، كيف يقول الرواة الكذابون إن الأئمة مطلعون على أعمال العباد خلافا للقرآن، بالإضافة إلى أن النبي والأئمة في عالم آخر وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ

عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿[الأنعام: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
[البقرة: ٦٢].

وإذا عرض عليهم سوء أعمال الأمة مثلاً فإن ما يعرض عليهم هو مدى إراقة
الدماء ومدى العصيان والخيانة والجناية ومدى الكذب على المنابر على الله ورسوله
هل يعرض كل هذا على النبي ﷺ حتى يحزن دائماً!! ولا فائدة من ذلك أيضاً،
وسيبقى الناس على حالهم، هذه هي نتيجة البعد عن القرآن واتباع الخرافات التي
يأتي بها الرواة، ألم يروا قوله تعالى في سورة المائدة الآية ١٠٩ بأن الأنبياء لا علم
لهم بأعمال الأمة: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ألم
يروا قول عيسى عليه السلام بما يفيد بأنه لا علم له بهم بعد ما توفاه الله ﴿وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية ١١٧ من
سورة المائدة ، ألم يروا قول نوح عليه السلام في سورة الشعراء الآيتين ١١٢
و ١١٣: ﴿وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾
ومئات الآيات الأخرى، التي تدحض قول الأئمة ومزاعمهم : يقول الإمام
التصحيحي الذي كشف زيف الكليني في هذا الباب وغيره نعم يروي الكليني
الجاهل بالقرآن في هذا الباب عن عثمان بن عيسى الخائن عن الإمام (ما لكم
تسؤون رسول الله ﷺ فقال رجل كيف نسوؤه؟ فقال أما تعلمون أن أعمالكم تعرض
عليه فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله وسروه) واستدل
الإمام بالآيتين ٩٤ و ١٠٥ من سورة التوبة، حيث لا علاقة لهما بعرض الأعمال،
يبدو أن الراوي أراد أن يظهر الإمام جاهلاً بالقرآن. ثم ينقد الإمام البرقي مزاعم
الكليني في دعواه أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة فيقول: لم
يرو الكليني أكثر من ثلاثة أحاديث في هذا الباب والمجلسي ضعف اثنين منها وقال
عن الثالث إنه مرسل، أحد رواه ربعي بن عبدالله ويبدو من روايته في أبواب
أخرى أنه لم يؤمن بالقرآن، والآخر زياد بن منذر يعني أبو الجارود صانع المذهب

ومنه مذهب السرحوبية والجارودية، ولعنه سيدنا الصادق وقال هو أعمى القلب والبصر، وهو الذي شرب الخمر وكان يصادق الكفار وكان كفيفاً ويقال له سرحوب نسبة إلى شيطان ساكن في البحر يسمى بالسرحوب ! .

ما قيمة روايات هؤلاء الكذابين؟! وأما متن هذه الروايات : إن الإمام مدح نفسه كثيراً، مثلاً قال نحن شجرة النبوة ومحل الرسالة والملائكة تراودنا ، ونحن سر الله وأمانته، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن كذا وكذا، مع أن أمير المؤمنين ينسب إليه في نهج البلاغة في خطبة رقم ٢١٤: " فلا تثنوا علي بجميل ثناء" وقال تعالى في سورة النجم الآية ٣٢: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ فضلاً عن هذا كله ما فائدة هذه الروايات في الكتب التي تدل على العجب العجائب ، إلا الغلو ومدح الرجال والأئمة والغفلة عن دين الله؟، ولم يغفل الناس عن أصل الدين إلا عندما بدأوا بمدح الرجال وتعظيمهم. وجعلوا هذا الثناء والمدح من أصل الدين وفرعه، ومهما كان الإمام عظيماً فعليه أن يتبع الدين لا أن يكون أصل الدين أو فرعه ثالثاً: ما معنى أن الأئمة سر الله؟ ما هذا؟ هل دين الله سري؟! .

ما معنى نحن معبر الملائكة؟ إذا كان ذلك كذلك فلماذا تقولون أن الوحي انقطع بوفاة النبي ﷺ لماذا يقول الشيخ مفيد إن الذي يدعي الوحي للإمام قد خرج عن الإسلام كما جاء بالتفصيل في باب الفرق بين الرسول والنبي المحدث، إذن يتبين أن هؤلاء الرواة أرادوا إغفال الناس عن أصل الدين عن طريق هذه الروايات، لما قال الإمام نحن حرم وجاريات للحرم، وما هذا الإله الذي يصفونه بما يشاؤون؟ سبحان الله عما يصفونه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

الأئمة ورثة العلم يورث بعضهم بعضاً

هذا وقد نقل الكليني في هذا الباب روايات تدل على توارث العلم، وهذا يخالف الشرع والعقل لأن أمير المؤمنين رضي الله عنه قال مكرراً : علمني رسول الله، ولم يقل ورثني رسول الله العلم ، قال جابر بن عبيد الله كما نقل الممقاني في رجاله ص ١٩٩ وغيره من علماء الرجال عنه : (أنا رأيت محمد بن علي الإمام الباقر رضي الله عنه في المكتب، إذ قال سيدنا السجاد رضي الله عنه له: ذهب ابني إلى المكتب للتعلم أرسل إليه ليأتي، قال جابر أنا ذهب لزيارته وزد على ذلك أن هناك ألوف الروايات قال فيها الأئمة حدثني أبي عن آبائه أو أخبرني أبي عن آبائه ومن جملة الأخبار ما قاله سيدنا الرضا في النيسابور : حدثني أبي موسى بن جعفر... إلى الآخر، إذن علم الأئمة كغيرهم من الناس كان عن طريق التعليم والتعلم ولم يكن بالإرث، لأن العلم والمعرفة يكونان إما بالكسب والتعليم أو بالوحي وحيث أن هناك إجماعاً على عدم نزول الوحي على الإمام فيكون علمهم بالتعليم والتعلم قطعاً، والعلم عن طريق الإرث لا يصح، لأن لكل إمام أبناء عديدون فكيف يرث أحدهم العلم عن أبيه ولا يرثه الإخوة الآخرون ؟ يقول البرقي: هذا الكليني ورواته كانوا حفنة من الجهال وعديمي التبصر والدراية كالصوفية، إذ الصوفية تقول إن سلسلة الإرشاد تصل إلى ابن المرشد بالإرث .

وهؤلاء يقولون أن العلم يصل إلى الابن عن طريق الإرث !! وهم بذلك لم يعملوا الفكر ويتأملوا ليعلموا أن الإرشاد والدعوة إلى دين الحق واجبان على كل المسلمين لا يأتیان إرثاً لشخص معين وكذلك التعلم فـ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) إماماً كان أو مأموماً فضلاً عن هذا كله فإن روايات هذا الباب تخالف روايات باب فقد العلماء في هذا الكتاب نفسه روي عن الإمام الصادق قال :

(إنّ أبي كان يقول إنّ الله لا يقبض العلم بعدما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم) إلا أن يكتب ذلك في كتاب أو كراس إذن كل عالم يذهب علمه وتزول محفوظاته الذهنية بموته وحبس روحه، ولذا قال الإمام الصادق في باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة (القلب يتكل على الكتابة) وقال في حديث آخر (اكتبوا فإنكم لا تحفظوا حتى تكتبوا) والسادات الأئمة أنفسهم كان لهم كتب جامعهم أخذوها عن آبائهم وكان الرسول ﷺ يحبب للمسلمين أن يقيّدوا العلم بالكتابة كأن الكليني هذا لم يكن مطلعاً عن باب آخر من كتابه وهو باب رواية الكتب، وجمع الأضداد في الكافي، يقول في باب لا بد من كتابة العلم وفي باب آخر يقول لا يلزم ذلك، وعلم الأئمة عن طريق الإرث وبذلك يكون كأنه لا يعتبر الأئمة من البشر، وفضلاً عن هذا، لا فضيلة لعلم يكون عن طريق الإرث وفضل العلم لكسبه وتعليمه ومشقته وعلى ما ذكرنا يكون الباب التالي أيضاً مخالف للقرآن والعقل .

الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء

روى الكليني في هذا الباب عدة روايات كلها تخالف صريح آيات القرآن ومعظم رواياته من الضعفاء كعلي بن حكم راوي سلسلة الحمار، وعبد الرحمن بن كثير الضعيف فاسد العقيدة والغالي، وزرعة بن محمد الواقفي الذي عده علماء الشيعة من الكلاب الممطورة، وأما متن الروايات : في الحديث الأول قال الإمام: (نحن أمناء الله في أرضه) هنا لا بد من التساؤل: على أي شيء كانوا أمناء الله ؟ قال تعالى في آخر سورة الأحزاب ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ هل أراد الراوي أن هذا الإنسان الظلوم الجهول الذي قبل الأمانة هو الإمام وإلا فليس لله أمانة خاصة، وبعد ذلك يقول : قال الإمام (إننا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق) وهذا يخالف صريح القرآن لأن الله قال لنبيه : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١] هذا من جانب،

مع أن النبي ﷺ كان يعاشرهم وعلى الرغم من ذلك ما علمهم، أما الإمام الذي لم يعاشر أحداً ولم يعرف اسمه كيف يعرف ومن أين له إذا رأى أحداً من الناس بأنه مؤمن أو منافق ؟ هل هذا الإمام الذي نقل عنه الراوي كان جاهلاً بالقرآن كالراوي نفسه ؟ نحن نقول لا الإمام الصادق من العرب خبير بالقرآن لكن هؤلاء الرواة هم الذين أظهروه بمظهر المخالف للقرآن ثم أن الله قال لرسوله في سورة الأحقاف الآية ٩ ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ أما هؤلاء الرواة المخالفون للإسلام فيقولون إن الإمام يعرف إيمان أو نفاق كل واحد يراه حتى إنهم يقولون إن الإمام قال نعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وذلك مكتوب عندنا مع أن الله قال في سورة البقرة الآية ٢٥٥ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ ويقول أيضاً: قال الإمام: (نحن المخصوصون في كتاب الله) مع أن الله قال: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ و ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ و ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ولم يقل للإمام أو المأموم خاصة هل غرض هؤلاء أن يجعلوا القرآن كتاباً خاصاً ويبعدون الناس عنه ويبعدون القرآن عن الناس ؟ كما فعلوا ذلك ويقولون أيضاً قال الإمام : نحن الذي شرع لنا دينه فقال في كتابه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ ويتلظى الإمام البرقعي ويعلو صوته أيها القارئ الذكي لاحظ إلى أي حد وصلوا في تحريفهم القرآن، هذه الآية في سورة الشورى الآية ١٣: قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ لا يوجد في هذه الآية يا آل محمد أنظر كيف كذبوا على الله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ وأنا أجزم أن هؤلاء الرواة لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، وإلا لما كذبوا على الله كل هذا الكذب، وفي الأصل هذه الآية نزلت في مكة ولم يكن لمحمد ﷺ آل ولم يكن إمام ووصاية، ثم يقول هنا قال الله في هذه الآية (لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين من

أشرك بولاية علي) أيها المحرفون تعالوا واقرؤوا بأنفسكم الآية في سورة الشورى، يقول الإمام البرقي : كنت أفكر عند (باب : إن الأئمة هم الراسخون) لماذا يصر هؤلاء الكذابون على أن يكون الأئمة هم : (الراسخون في العلم) والآن أدركت السبب. انهم يصرون على ذلك ليوهموا اتباعهم ان ذلك منزل في القرآن، حتى إذا ما استشكل أحدهم فإنهم يقولون في جوابهم له: هذا تأويل الآيات، والإمام هو الذي يعلم وانتم لا تعلمون، وبعد ذلك ليدركوا إن الراسخين لا يحق لهم تأويل الآية أيضاً ، بل التأويل خاص بالله تعالى كما ذكر، وبالإضافة إلى ذلك قلنا إننا لسنا مأمورين بالتأويل، وإذا لم نعرف التأويل فيكفي أن نعرف المعنى وما تدل عليه الآيات والذي يريد ان يتلاعب بالقرآن سوف نفضحه، يقول الراوي في هذا الباب في الحديث الثاني قال رسول الله أن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء المرسلين وهذه مخالفة صريحة لما جاء في القرآن لأن القرآن نزل على النبي بعد الأربعين من عمره، ويقول الله له في سورة الشورى: ﴿ مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ وقال في سورة القصص الآية ٨٦: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ والنبوة لا تورث أصلاً وهي تفضل الهي وتكون عن طريق الوحي لا عن طريق الإرث، وإلا فعن من ورث سيدنا آدم عليه السلام النبوة، إن الراوي الوضاع لم يعرف كيف يضع ! لا بد أن يقول إني ورثت لا أن محمداً ورث: على كل حال الراوي الجاهل صنع ما شاء، ولكن العجب من مدعي العلم والاجتهاد أن يقلدوا في الأصول والفروع الكليني الذي بضاعته قليلة .

يقول في الحديث الثالث: أن محمداً ورث سليمان وأنا ورثنا محمداً. كيف ورث محمد ﷺ من سليمان حيث قاس الإمام الصادق الأمر على نفسه وقال أما ورثنا محمداً؟، والإسلام لم يبين على القياس، هل كان محمد ﷺ ابن سليمان؟، هل وصلت نبوة سليمان إلى محمد ﷺ بالإرث؟ لقد دام كتاب الكافي بخرافاته هذه طوال ألف عام بين أيدي الأمة ولم يقم أحد ليدرسه ويدقق فيه كي يرى ما جمع الكليني في كتابه من خرافات! بل ازدادوا تقليداً على مر الأيام، وفضلاً عن هذا سمع

الراوي في هذا الحديث والحديث الرابع هذه الأكذوبة واستغرب وسأل الإمام أهو العلم؟ فأجابه الإمام، ليس هذا هو العلم، بل هو شيء يحدث لنا يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، ذلك العلم الذي يأتيه ساعة بعد ساعة. هل هو شيء أعلى من الوحي؟ لأنه قال عن العلم الذي ورث من الأنبياء ليس علماً والعلم الذي يصله يوماً بعد يوم... هو العلم، هل يجوز التلاعب بعقول الناس، هل هناك أخبث من هذا التلاعب بالإسلام؟ هل يمكن للإمام أن يقول مثل هذا، وهنا مجد الإمام نفسه كثيراً، وجعل نفسه خيراً من الأنبياء وأعلى مقاماً في الرواية السابقة، هل يصح هذا، مع أن الإمام نفسه إذا لم يؤمن بالأنبياء الذين ذكرهم لا يكون مسلماً وأما أسخف السخافات التي أوردها الكليني وردها الإمام البرقي فهو جاء في الكافي من أن الأئمة عندهم العلم يجمع الكتب التي نزلت من عند الله وأنهم يعرفونها على اختلاف أسنتها وقد روى الكليني في هذا الباب حديثين قال المجلسي بضعف الأول وأن الثاني مجهول، نعم فمن رواتهما سهل بن زياد الكذاب وبكر بن صالح وهو لا نظير له في سرد الروايات التي لا واقع ولا صحة لها، ولا اعتبار لأخباره.

وأما منتها فهمها على خلاف الواقع ويخالفان القرآن ، يقول في الحديث الأول: قال الإمام: أن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري، مع أن رسول الله كان حجة وكم سئل وأجاب لا أدري واصبروا حتى ينزل الوحي، وكم قال في القرآن : (ما أدري) و (إن أدري)، وقال الله له: (لا تدري)، و (ما أدراك) و (ما يدريك) وقال في الخبر الثاني، كنا عند الإمام وأردنا أن نستأذن، ثم سمعناه يتكلم بكلام غير عربي، ويستنتج الكليني من هاتين الروايتين أن الإمام يعرف اللغات جميعاً، مع أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف اللغة العبرية، لغة اليهود في المدينة، كما جاء في سورة البقرة الآية ١٠٤ قال اليهود : (راعنا) لم يفهم الرسول ﷺ قصدهم فقد أرادوا الإساءة إليه حتى نهى الله عن ذلك وقال : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ إذا عرف سليمان منطق الطير فلا علاقة للأنبياء الآخرين بذلك، لأن الأمور الدينية لا تثبت بالقياس، والرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى الناس للدعوة الإسلامية كانت باللغة العربية وإما فرية المفتريات التي أوردها الكليني فهو الباب الذي جاء عنوانه :

لم يجمع القرآن إلا الأئمة وأنهم يعلمونه كله

وقد روى الكليني في هذا الباب ستة أحاديث ضعف المجلسي خمسة منها، ونحن نضعفها كلها، لأن فيها رواة متهمين كمنخل الغالي والضعيف الذي كان يبيع العبيد، كمحمد بن سنان وهو من الكذابين المشهورين ومن الغلاة، وكسهل بن زياد وقد لعن من قبل الإمام، وكعلي بن حسان المغالي الباطني الكذاب، وكعبد الرحمن ابن كثير فاسد المذهب وقد اجتمع في هذه الروايات كل العيوب والمفاسد التي انتشرت في غيرها، وأما متن هذه الروايات فمن شأنها كلها نسف الدين وتخريبه .

يقول الراوي في إحدى الروايات - نعوذ بالله - لم يجمع أحد القرآن بل لا يعلمه أحد إلا علي بن أبي طالب، يريد أن يقول أن الكتاب الذي بين أيدي المسلمين لا يحوي كل الآيات وهو ناقص، لأن علياً لم يجمع ذلك، وقرآن علي رضي الله عنه اختفى أيضاً وبقي لدى الأئمة ولم يظهروه لأحد، ولا يعلم ذلك إلا حفلة من الكذابين كسهل بن زياد، وعلي بن حسان مع أن الله نص على حفظ القرآن في عشرات من الآيات، وتعهد الله تعالى أن يحفظ القرآن من الزيادة والنقص قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدُّعَايِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

ثم يقول هؤلاء إن علياً رضي الله عنه كان متعلماً والرسول الأكرم ﷺ علم الأميين القرآن كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢] . ومن جهة أخرى يقولون أن الرسول ﷺ علم القرآن لعلي وحده، ولم يفهم القرآن إلا علي !! .

في الحديث الخامس: يقول هؤلاء الكذابون في الآية ٤٠ من سورة النمل حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ قال الذي عنده علم الكتاب - ملك

أو آصف بن برخيا - . قال الإمام نحن عندنا علم الكتاب كله، ولم يبين أي كتاب، فإذا أراد بالكتاب القرآن فإن القرآن لم يكن في زمن سليمان حتى يعرف آصف بعض ذلك ويعرف الإمام كل ذلك! وما هدف هذه الرواية أنها تريد أن تقول أن آصف أتى بالسرير ونحن قياساً على هذا نأتي بالأرض والسماء، هل يمكن التمسك بكذب كهذا، لا يجوز القياس بهذه الأمور وخاصة قياس غير الأنبياء على الأنبياء، والمفسرون أرادوا الاحتمالات لإحضار السرير، مثل أن الله أعدم ذلك وأوجده عند سليمان أو أحضره الملك بأمر الله وبعضهم قال: إن سليمان نفسه أحضره أو أن الأرض رئى فيها نوراً، وقال سيدنا علي رضي الله عنه في الأدعية، والإمام الصادق إن سليمان دعا وطلب من الله وبسبب دعائه أحضره الله، إذن الذي تدعيه الغلاة من هذه الآية على الولاية التكوينية المطلقة لكل إمام لا يصح بوجه من الوجوه، لأننا ولو قلنا ذلك جدلاً كان ذلك بدعاء أو بفعل آصف، مع أن آصف لم يكن له ولاية تكوينية لا على العالم كله ولا على بعضه .

يقول في حديث آخر، لما قال الكفار في آخر آية في سورة الرعد آية ٤٣ لما قالوا نحن لا نقبل رسالتك قال الله: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ قال الإمام هنا، يعني أن علياً وأولاده يشهدون بأني رسول الله يقول الإمام البرقي في رده على هذه الكفريات هل يعقل أن يقول الكفار إننا لا نقبل رسالتك فيقول الله الحكيم لهم، اذهبوا واسألوا علياً وهو طفل في بيت رسول الله حيث تكفي شهادته .

باب: نادر فيه ذكر الغيب

جاء في هذا الباب الرابع من كتاب الكليني " الكافي " روايات كلها متناقضة ومتعارضة مع بعضها البعض، وهؤلاء الرواة المجهولون على حد قول المجلسي الذي عد الروايتين مجهولتين، كأنهم أعرضوا عن القرآن وكان لهم عداوة معه !! .

فإنهم لم يقرؤوا صريح آياته ليعلموا أن الله تعالى أعلن في سورة النمل الآية ٦٥: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقال لرسوله في سورة الأنعام الآية ٥٠: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ وقال

في سورة يونس الآية ٢٠: ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ وكثير من الآيات الأخرى، إذن ما غرض ذلك الرجل الفارسي المجهول الذي جاء ذكره في هذا الباب حين سأل الإمام: هل تعلم الغيب؟ فأجاب الإمام ببسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم. وقال: سر الله عز وجل أسره لجبرائيل وأسره جبرائيل لمحمد وأسرة محمد إلى من شاء الله، لا بد أن يقال هل الله يمزح في القرآن ^(١) - والعياذ بالله - حيث يبسط الغيب للإمام حيننا ويعطي سره لجبرائيل، إلى آخر الحديث أليس هذا تلاعب بكلمات الله، وبدينه وبكتابه؟! هل يعطي الله سره لأحد وهل أعطى محمد سر الله لمن شاء؟! لا بد أن يوضح هنا كي يفهم الغلاة: ان الله يكشف لرسوله المصطفى المختار الأخبار الغيبية التي لا يعرفها أحد ويطلعها على ذلك أحياناً كما جاء في سورة الجن الآية ٢٦، ٢٧: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ وكما جاء في سورة هود الآية ٤٩: بعد بيان قصة نوح، يقول تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ وبعد أن يوحى الله لبعض رسله بعض تلك الأخبار الغيبية فان ذلك الرسول يخبر أصحابه وأمتة بها ويؤمن بها الإمام والمأموم على حد سواء، وكما قال في سورة البقرة الآية ٣ و٢: ﴿ هَذَى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ والرسول الكريم وأصحابه وأمتة الأتقياء يصدقون بذلك الغيب ويؤمنون به وبعدون من المؤمنين بالغيب، إذن يصبح رسول الله والمتقون من أصحابه وأمتة مؤمنين بالغيب لا عالمين به، لان العالم بالغيب هو الله تعالى الذي يعرف الغيب بنفسه ولم يأخذه من أحد، على خلاف الرسول وأتباعه الذين يؤمنون بأخبار الغيب، إذن العالم بالغيب هو الله وحده والمؤمنون بالغيب هم عباده المتقون، هذا الأمر بهذا الوضوح لم يفهمه الرواة ولا الناقلون عنهم ، وكانوا لا يفكرون إلا بإغداق الصفات والخصال الخارقة للإمام وحده .

(١) أكثر الشيخ الذي تجاوز عمره الثمانين من هذا الأسلوب في كتابه، ولو أعرض عنه لكان أولى فإن مجرد هذا الحديث عن الله وإن كان بصيغة الاستتكار لا يطمئن له القلب ولا يرتاح له .

في الخبر الأول أجاب الإمام بجواب لا يتعلق بالغيب اصلاً، وفي الخبر الثاني قال الإمام : الله علم مفيض بفيضه على الملائكة والله علم موقوف عن ... ولكن ما جواب الآية: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ﴾ وما هو ؟ ومن هو ؟ لم يبين ذلك، وأما في الخبر الثالث فقال صراحة: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، وسدير وأبو بصير اللذان أحبا أن يعظما الإمام، اختلفا مع الإمام بعد المجلس حيث لم يعجبهما أن يصغر الإمام نفسه بأن يقول لا أعلم الغيب وأرادا منه أن يعظم نفسه قليلاً ويثني على علمه وعندها صنعا أخباراً لا توافق القرآن ومن المؤكد أن الإمام الذي يجب عليه أن يكون عالماً بالقرآن لا يقول كلاماً كهذا، لأن هذا الإمام نفسه يقول في صدر الحديث لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي؟ كيف يقول في آخر الخبر أنا أعلم الغيب ويقول أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أمّن عنده بعض علم الكتاب؟ ولما قال تعالى في سورة الرعد الآية ٤٣ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ .

قال الإمام : والذي عنده علم الكتاب، قد أشارت الآية إلينا، ونحن الذين عندنا علم الكتاب، والآن لا بد من أن نتأمل في هذه الآية، هذه آية من سورة مكية، الكفار الذين قالوا لمحمد لست مرسلًا ولست رسولاً من الله ، فأجابهم الله بجواب لا بد أن يكون مقنعاً وكافياً، فبماذا أجاب؟ قال : ﴿كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وأما قوله تعالى: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فعلى قول الشيعة -مثلاً- : المعنى علي وأولاده رضي الله عنهم، هل الكفار الذين لا يؤمنون للنبي يقبلون شهادة علي الذي ربي في بيت النبي ولم يكن عمره يتجاوز عشر سنوات وربّي في بيته وأولاده الذين لم يولدوا بعد؟! هل شهادة هؤلاء تكفي الكفار؟! الذين لا يقبلون كلام محمد، هل يستجيبون لكلام صبي في بيته!! هل كلام الله لغو - والعياذ بالله- فاعلم أن القول الصحيح أن الله قدم شاهدين لصدق رسالة محمد ﷺ وصحتها، ليؤمن الكفار به،

الأول شهادته نفسه أنه نزل إليه كتاب يعجز الناس كلهم عن إتيان سورة مثله، والآخر شهادة الذين يعلمون التوراة والإنجيل، وهم أهل الكتاب الذين رأوا اسم محمد ﷺ ووصفه في كتبهم ودليلنا على هذا المعنى الآيات القرآنية الأخرى، فقد استشهد الله بشهادة علماء أهل الكتاب للكفار كالآية ١٩٧ من سورة الشعراء : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ، أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، وقال في سورة القصص الآية ٥٢ و ٥٣ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ﴾ وقال في سورة العنكبوت الآية ٤٧ : ﴿ فَأَلْزِمْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ وقال في سورة الأعراف الآية ١٥٧ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ وقال في سورة المدثر الآية ٢١ : ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ وقال في سورة الأنعام الآية ٢٠ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ وفي سورة التوبة الآية ١٤٦ وفي سورة آل عمران الآية ٨١ وفي كثير من الآيات الأخرى، وفي غالب السور المكية وكلها شاهدة على أن المقصود من آية : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ التي وردت في آخر سورة الرعد هم علماء أهل الكتاب، كما جاء في السورة نفسها الآية ٣٦ : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلُ إِلَيْكَ ﴾ فكل هذه الآيات تصدق وتفسر بعضها بعضا. وشهادة علماء أهل الكتاب الذين آمنوا في ذلك الزمن كما جاء في سورة المائدة الآيات ٨٢ إلى ٨٥، تتبين هذه من تفسيرهم للآية أي من هو ﴿ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾. هل يأتي هؤلاء الغلاة العوام ليفسروا طبقا لرواية الكافي أن الله قال في هذه الآية أن ﴿ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ هو علي وبنوه، حيث أن لهم ولاية تكوينية على العالم كله بدليل أن عندهم علم الكتاب كله ١١٢، هل يمكن أن يكون الإمام الصادق جاهلا بكل هذه الآيات القرآنية فيتبع الغلاة ويقول إن الله قال للكفار

أن يسألوا صبيا كان في بيت محمد؟ وقال في الرد على الكفار إنه سيكون ولي أمر العالم صبيا. هل يعقل كل هذا ؟ لا بد لمقلدي الكليني أن يحجموا عن تقليده .

وفي كتب مدعي العلم في زمننا هذا دعوى لتقليد الكليني وهم يستدلون بهذه الرواية وهذا التفسير لهذه. وأن عليا رضي الله عنه متصرف بالكون وأمور العالم كله. إذن نحن بناء على قول سيدنا الرضا رضي الله عنه حيث قال في هذا الكافي نفسه في باب إبطال الرؤية (إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها) نكذب رواية الكليني هذه.

في الحديث الرابع: من هذا الباب يقول عمار سابطي الفطحي المذهب: سألت الإمام هل يعلم الغيب؟ فقال لا. ولكن إذا شاء أن يعلم فإن الله يعلمه .

لا بد أن يقال لهذا الراوي الكذاب : يظهر من كلامكم أن الله عندما قال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ [الحشر: ٢٢] وحصر علم الغيب به وحده كان هذا باطلا- والعياذ بالله- وأن الإمام وحده يمكن له أن يعلم الغيب. ثم هل يوحى إلى الإمام؟ فإن كان يوحى إليه فلماذا قال سيدنا أمير المؤمنين رضي الله عنه (ختم بمحمد الوحي)؟، ثم هل يتبع الله الإمام ويطيعه ليعلم الإمام كلما شاء الإمام نفسه ١١٢.

الأئمة إذا شأفوا أن يعطوا علما

روى - الكليني - في هذا الباب ثلاثة أحاديث عن رواية كذابين، كسهل بن زياد، حيث قال : إن الإمام إذا شاء أن يعلم فإن الله يعلمه .

هذه الأخبار تخالف العقل والقرآن، لأن مشيئة الله وإرادته ليستا تابعا للإمام، فيعلم الإمام متى شاء ذلك. بل ليس هذا تابعا حتى لمشيئة الرسل، فقد دعي الرسل ولم يجبههم الله تعالى إلا عندما شاء هو ذلك .

قال الله تعالى في سورة الإنسان في الآية ٣٠: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقال في سورة التكويد الآية ٢٩: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

يقول الله تعالى في هاتين الآيتين إن مشيئتكم تابعة لمشيئة الله وزلا بد من أن تطلبوا الهداية والتوفيق منه. ونحن قد أردنا لكم الاختيار والمشيئة .

ويقول الإمام الصادق في دعائه: يا من يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره .

ويخلص الإمام البرقي في نقضه لكتاب " الكليني " الكافي إلى أن روايات هذا الباب تخالف العقل والقرآن معاً، لأن أي عقل سليم لا يمكن أن يدعي أن الله تعالى تابع لعبده إلا عقول الغلاة الجاهل الكفرة .

الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون

في نقض "الكافي" واسقاطه يقول الإمام البرقي هذا الباب الذي خالف القرآن صراحة جاء فيه عدة أحاديث وهي كلها إما ضعيفة أو مرسلة، وعد المجلسي سبعة منها مرسلة وضعيفة، ونحن نعجب فأي كتاب هذا الذي يسعى في جمع أخبار أكثرها تخالف القرآن أو تغالي في تعظيم الأئمة ١٢، وكأن هؤلاء يعتبرون قول سلمة بن الخطاب المغالي وسهل بن زياد الكذاب وأمثالهما خير من قول الله تعالى .

وروى في هذا الباب في الحديث الأول عن سلمة بن الخطاب المغالي وعبدالله بن القاسم البطل وهو أيضا من الغلاة ومن الكذابين : إن كل إمام لا يعلم ما الذي سوف يحدث له وما يؤول إليه فهو ليس بإمام ولا حجة. مع أن الله تعالى قال لرسوله ﷺ في سورة الأحقاف الآية ٩: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ هل يعقل أن رسول الله الذي يوحى إليه لا يدري ما يفعل به وما يحصل له في حين أن الإمام الذي لا يوحى إليه يعلم ذلك .. أي دين هذا الذي اختلقه الغلاة ١٢.

جاء في هذا الباب : قال الإمام أنا أعلم متى أموت ، ولكن الله قال في سورة لقمان الآية ٣٤ : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ - وفيما نسب إلى - أمير المؤمنين في نهج البلاغة في خطبة رقم ١٤٧ قبل وفاته وبعد أن أصابه ابن ملجم : (أيها الناس كل امرئ ملاق ما يفر منه في فراره، والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته. كم أطربت الأيام أبحاثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه. هيهات علم مخزون) وقال في هذه الخطبة بناء على آيات القرآن أن لا علم لأحد بوقوع الموت وكذلك قرأ في خطبته رقم ١٢٨ الآية ٣٤ من سورة لقمان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ويقول بعد ذلك فهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله. وهذا الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ولا يعلمه نبي ولا وصي. ويقول في رسالته رقم ٢٣ بعد أن جرحه ابن ملجم حيث لا علم له بموته : (إن أبق فأنا ولي دمي وإن أفن فالفناء ميعادي). وفي رسالته المعروفة لمالك الأشتر النخعي (الرسالة رقم ٥٢ من نهج البلاغة) وبما أنه لم يكن يعلم وقت موته يقول : (وأنا أسأل الله سعة رحمته أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة) .

وكان في دعواته دائم الخوف طالبا للشهادة كدعائه في خطبة رقم ٣٢ من نهج البلاغة، وكذلك في دعائه في حرب صفين قبل أن يرفع معاوية المصاحف على السيوف قال : (فإذا كان ما لا بد منه الموت فاجعل منيتي قتلا في سبيلك). وكذلك في دعائه في صفين : (وإن أظفرتهم علينا فارزقنا الشهادة) وكذلك في سائر دعواته رضي الله عنه .

إذن يتبين طبقا لكلام الله ورسوله وأمير المؤمنين أنه لا علم لأحد بوقت موته سواء في ذلك الإمام أو المأموم، والناس في الإسلام سواء لا فرق بين إمام ومأموم فهو ليس ديناً عنصرياً .

وأما تفسير الآية فإن علماء أهل الكتاب الذين آمنوا في ذلك الزمن كما جاء في سورة المائدة الآيات ٨٢ إلى ٨٥، تتبين هذه الحقيقة من تفسيرهم للآية أي هو

﴿ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾. هل يأتي هؤلاء الغلاة العوام ليفسروا طبقاً لرواية الكافي أن الله قال في هذه الآية أن ﴿ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ هو علي وبنوه، حيث أن لهم ولاية تكوينية على العالم كله بدليل أن عندهم علم الكتاب كله، هل يمكن أن يكون الإمام الصادق جاهلاً بكل هذه الآيات القرآنية فيتبع الغلاة ويقول إن الله قال للكفار أن يسألوا صبياً كان في بيت محمد وقال في الرد على الكفار إنه سيكون ولي أمر العالم صبياً. هل يعقل كل هذا ؟ بم سيجيب الكليني ورواته الله تعالى يوم القيامة حين يسألهم عن تلاعبهم بآيات القرآن إلى هذا الحد ١٢. فلا بد لمقلدي الكليني أن يحجموا عن تقليده .

وفي كتب العلم في زمننا هذا دعوى لتقليد الكليني وهم يستدلون بهذه الرواية وهذه الآية. وهي أن علياً عليه السلام متصرف بالكون وأمور العالم كله. إذن نحن بناء على قول سيدنا الرضا عليه السلام حيث قال في هذا الكافي نفسه في باب إبطال الرؤية: (إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها) فهو يكذب رواية الكليني هذه.

في الحديث الرابع: من هذا الباب يقول عمار سابطي الفطحي المذهب: سألت الإمام هل يعلم الغيب؟. فقال : لا. ولكن إذا شاء أن يعلم فإن الله يعلمه .

لا بد أن يقال لهذا الراوي الكذاب : أیظهر من كلامكم أن الله عندما قال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ وحصر علم الغيب به وحده. كان هذا باطلاً - والعياذ بالله - وأن الإمام وحده يمكن له أن يعلم الغيب .

ثم هل يوحى إلى الإمام؟.. فإن كان يوحى إليه فلماذا قال سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام (ختم بمحمد الوحي)؟، ثم هل يتبع الله الإمام ويطيعه ليعلم الإمام كلما شاء الإمام نفسه؟ .

أما الكليني ورواته فخلفاء للقرآن والعقل وقول سيدنا الأمير رضي الله عنه يريدون أن يجعلوا الإمام عالماً بوقت موته. أليس هذا الإمام الذي يقولون عنه بأنه

يعلم وقت موته؟، أليس هو من الذين يتبعون القرآن أم لا علم له بالقرآن، أم انه جاء بمذهب جديد. أم ترى أن الرواة يكذبون عليه ١٢.

وفي الحديث الثاني نقل عن شيخ مجهول من وعاظ السلاطين دخل السجن بدعوة من السندي بن شاهك رئيس شرطة هارون الرشيد، ونقل عن موسى بن جعفر رضي الله عنه قوله: ألي أموت بعد غد. فهل كان موسى بن جعفر جاهلاً بالقرآن وصادقاً في حدسه أم أن هذا الشيخ كان يكذب فيما قاله ١٣.

وفي الحديث الرابع: سأل حسن بن الجهم -والله يعلم هدفه- سأل الإمام، بل لقد ذكر الأشياء التي سمعها من الغلاة أن أمير المؤمنين كان يعرف قاتله والليلة التي يقتل فيها- وسمع صياح الإوز الذي كان يخبر عن موته - (أي أن الإوز- نعوذ بالله- تعلم الغيب وهي التي أخبرت عن موته) وطلبت أم كلثوم إليه أن يصلي في البيت ولكن سيدنا الأمير لم يقبل وخرج تلك الليلة بلا سلاح مع أنه عرف قاتله من قبل سيفه- وهذا ليس جائزاً له- فأجابه الإمام الرضا، نعم هكذا كان ولكن قدر الله وما شاء فعل، وتمسك سهل بن زياد الكذاب وعدد من الرواة مثله بهذه المقولة من أن أمير المؤمنين كان يعلم بموته، وهذا افتراء وكذب بدليل ما ورد في خطبة في نهج البلاغة الخطبة ١٤٧ أو في سائر خطبه حين قال بأنه لا يعلم وقت موته، وهذا كذب على الله كذلك .

فالقرآن إذا نزل خلافاً للواقع - والعياذ بالله- بناء على أقوالهم، فهم يدعون أن الإمام يعلم كل شيء ولذا بناء على رواية سهل بن زياد الفاسد لمذهب لا بد أن يعلم الإمام وقت موته، وهنا يقال :

-عندما قال الله سبحانه في القرآن : ﴿ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] كان هناك استثناء آخر وهو أنه لا يعلم الغيب إلا الله والإوز ١٤. [تعالى الله] .

وفي الحديث الخامس: روى شيئاً عجيباً يخالف كل العقول، حيث قال الإمام الكاظم إن الله غضب على الشيعة وخيرني إما أنا أفتدي بنفسي أو أفتدي بشيعتي .

لا بد هنا من طرح هذا السؤال: هل يوحى إلى الإمام؟ ولماذا يغضب الله على أهل السنة مثلاً، إضافة إلى أن الإمام أشرف من المأموم عندهم فهل يفتدي الأدنى بالأعلى؟ .

فإننا مثلاً لا نجد من يفتدي أغنامه بولده إلا عند علي بن إبراهيم وأمثاله من الرواة والكليني، والأعجب من ذلك أنهم تمسكوا بهذا الحديث الفاضح واتخذوه دليلاً على علم الإمام بموته مع أنه لا علاقة له أصلاً بذلك .

وفي الحديث السادس : نقل عن الإمام الرضا أنه قال لرجل يسمى المسافر: إنني رأيت رسول الله في المنام ليلة أمس وقال : يا علي ما عندنا خير لك. واستدلوا بهذا على أن الإمام يعلم وقت موته. مع أن هذا القول لا يدل على ذلك إطلاقاً .

إن هؤلاء يريدون أن يثبتوا بهذه الأقوال الواهية المتحيرة أن الإمام - خلافاً للقرآن - يعلم وقت وفاته ولقد فرق هؤلاء بين القرآن وما عليه الأئمة رضي الله عنهم، وجعلوا كلا الطريقتين مخالفاً للآخر .

وكذلك في الحديث السابع، يقول : قال الإمام الباقر: صاح أبو زين العابدين من وراء الجدار، وقال : يا محمد تعال وعجل. واستدلوا بهذا على علم الإمام بموته وهذا لا يدل على ذلك وهو كالخبر السابق .

وفي الخبر الثامن: روى علي بن الحكم الخرافي راوي حديث سلسلة الحمار، وسيف بن عمير الملعون الذي لعن من قبل الأئمة على حد قول الممقاني أن الإمام الحسين خير بين أن ينتصر ويهزم حكومة يزيد وبين أن يقتل ويلقى الله. واختار الإمام الحسين القتل بناءً على رواية هؤلاء الكذابين الوضاعين لم يقم الإمام الحسين لدفع الظلم ونشر العدالة بل قام للقتل أيضاً مع أن الإمام الصادق قال: قتل الحسين كان مصيبة فوق المصائب. ويقول سيدنا الأمير رضي الله عنه في رسالة رقم ٤٥ من نهج البلاغة بشأن معاوية :

(سأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرّة من بين حب الحصيد) ، ويكتب لعمر بن العاص في رسالة

رقم ٣٩ من نهج البلاغة: (فإن يمكن الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدمتما وإن تعجزا وتبعثرا فما أمامكم شر لكما) .

إن بناءً على هذا إذا كان الإمام الحسين راغباً في القتل لم يصب الإمام الصادق وسيدنا الأمير رضي الله عنه، نعوذ بالله من أفكار الغلاة. ويستطرد الإمام البرقي ويقول :

ولا بد أن نسأل الكليني ورواته: إذا كان الإمام الحسين اختار الشهادة فما علاقة هذا بعلم الإمام رضي الله عنه بموته ؟ ثم هل يوحى إلى الإمام ؟!

الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون

روى الكليني في هذا الباب ستة أحاديث يعد المجلسي خمسة منها ضعيفة ومجهولة، وأحد رواها إبراهيم بن إسحاق الأحمر النهاوندي الفاسق والمبتدع، وقد ضعفه علماء الرجال وسموه من الغلاة، والآخر سيف التمار الذي تخالف أخباره القرآن. والآخر أحمد بن محمد البرقي الشاك في الدين، والآخر محمد بن سنان وهو من الكذابين المشهورين ومن الغلاة، والآخر يونس بن يعقوب الفطحي المذهب، والآخر سهل بن زياد الكذاب. ثم يقول الإمام البرقي :

ماذا يتوقع من رواية كهؤلاء سوى ضرب الإسلام والكيد له والغلو في أشخاص ذوي سيرة حسنة لاصطياد السمك في الماء بعد تعكيره بترهاتهم .

روى هؤلاء عن الإمام الصادق في الحديث الأول: أن جماعة من الشيعة أتوا إلى الإمام - والله أعلم إنهم كانوا من هؤلاء الغلاة - قال سيف التمار عن الإمام: لقد جعلوا علينا جاسوساً - وربما كان هذا سيف التمار نفسه - ولكن سيفاً يقول نظرنا يميناً وشمالاً فلم نر أحداً. وقلنا : لا يوجد جاسوس. فتبين لنا أن الإمام تكلم خلافاً للواقع وبلا علم. فحلف الإمام ثلاث مرات برب الكعبة بأنه أعلم وأزكى من موسى والخضر عليهما السلام؛ فهما قد أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ولكنه (أي الإمام) أعطي ذلك إرثاً عن رسول الله .

لا بد أن نسأل سيف التمار :

أولاً : إن الإمام الذي لم يعلم شيئاً عن أصحابه وتكلم على خلاف الواقع بأن هناك جاسوساً مع أنه لم يكن ثمة جاسوس فأنى لذلك الإمام أن يعلم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ١٢.

ثانياً : قال رسول الله ﷺ : (علامة الكذب كثرة الحلف) فلماذا إذاً يحلف الإمام ثلاث مرات بأنه أعلم من موسى .

ثالثاً : من أين عرفت أن موسى والخضر كان لهما علم ما كان، وموسى عليه السلام نفسه لم يدع هذا، ولم يعلم بما كان حين وجوده في الطور ولم يعرف عن عبادة قومه للعجل. فيقول له الله تعالى : ﴿ قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٥] ولما رجع من الطور ووجد أن قومه قد فتنوا بالشرك غضب جداً وقال لهم : ﴿ بِنَسَمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ [الأعراف: ١٥٠] حتى إنه لم يعلم أن أخاه لم يقصر في نصحتهم فأخذ بلحيته ورأسه ولم يعرف أنه منعهم من عبادة العجل حتى قال له هارون : ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ثم اختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات جبل الطور ولكنهم جميعاً كانوا ممن غضب الله عليهم.

رابعاً : إن العلم لا يورث إلا عند الرواة القائلين بالخرافة .

خامساً : قال الله تعالى مراراً لرسوله في القرآن الكريم : ﴿ قُلْ مَا أَدْرِي .. وَمَا أَدْرَاكَ .. إِنْ أَدْرِي .. وَمَا كُنْتُ تَدْرِي .. لَا تَدْرِي .. مَا يَدْرِيكَ ﴾ . ومع كل ذلك كيف يمكن الإدعاء أن الرسول علم ما كان وما سيكون فضلاً عن أن يورث ذلك لغيره. وحتى رسول الله ﷺ عندما كان يسأل عما لا يعلم كان يصبر حتى ينزل الوحي .. فكيف يمكن للإمام الذي لا يوحى إليه أن يعلم ما كان وما سيكون .

وانتبهوا إلى الحديث الثاني : كيف أحاط عدد من الشيعة الخرافيين بالإمام من أمثال حارث بن المغيرة وعدد من الناس المجهولين وسمعوا أن الإمام قال: أنا أعلم

ما في السموات وما في الأرض، وما في الجنة، وما في النار، وما كان، وما سيكون، ثم مكث الإمام برهة ورأى أن هذا الكلام قد كبر على المستمعين ولم يصدقوه فقال: لقد تعلمت هذا العلم من كتاب الله حيث يقول الله عز وجل ﴿ تَبَيَّنَ لَكُلُّ شَيْءٍ ﴾ ٢.

أولاً : لابد أن يقال إن رسول الله ﷺ الذي هو أعلى من كل إمام لم يدع شيئاً كهذا. ويقول الله سبحانه له في سورة الإسراء : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] ورسول الله نفسه يقول في دعائه: إلهي أنت العالم وأنا الجاهل .

ثانياً : قال الإمام: تعلمت كل هذه العلوم من كتاب الله. ثم قرأ الآية خطأ .

هذه الآية التي ذكرها الإمام (فيه تبيان كل شيء) هي في سورة النحل الآية ٨٩ حيث قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ فظاهر أن الآية ليست كما ذكر - فيه تبيان لكل شيء - فهل يعقل أن يكون الإمام الصادق جاهلاً بالقرآن إلى هذه الدرجة فيقرأ آياته خطأ ؟ .. ثم يكون فوق ذلك عالماً بما في السموات والأرض. إذن من المؤكد أن هذا الكذب من صنع رواة الكليني .

وجوب عصمة الإمام :

دارسو العقائد عندما يقبلون صفحات التاريخ الخاص بالمذهب الامامى فإن قضية وجوب تنصيب الأمام وتعيينه تجابههم فى كل مطالعات المعتقدات الامامية ويلازمها ولا ينفصل عنها ضرورة الإيمان بعصمة الأمام . وعمدة احتجاج الشيعة على غيرهم هو احتجاجهم على وجوب امامة الامام من اعتبارين :

الأول النص على الأمام بالاسم . والثاني شدة حاجة الناس إليه في بيان الشريعة إذ علمها وتأويلها عنده وحده لا عند غيره وإن كانت هذه القواعد أحياناً تتخبط عند التطبيق ويضطرب العمل بها عند التنفيذ خاصة في مثل الانحرافات

التي فرضتها السياسة والأهواء وصار فيها محمد بن علي بن الحسين مقدما بالامامة على أخوته زيد وعمر وعبد الله وعلي والحسين .

ولا يشفع في ذلك ان كان ادعاء وجود نص من أبيه عليه أو من النبي - صلى الله عليه وسلم ، أنه الباقي فان ذلك لا يخرج عن كونه ابتداع وكذب ولم تكن الامامية بهذا التبرير أولى من (الكيسانية في دعواهم النص على ابن الحنفية وان برروا هذا التخطي أنه كان أفضل من أخوته وأنهم خرقوا القاعدة التي تقرر أن الفضل للإمام لا يقطع الا من عند الله) .

ونفس الاشكال وقع فيه الامامية عندما دعت المتغيرات إلى جعل موسى بن جعفر الامام بدلا من أخيه محمد أو اسحق أو علي ، ونعتقد أن الامامية لا يجدون سبيلا لتبرير هذا الذي وقع خاصة وأن هناك واقعة ثالثة عندما وقع الاختيار على بن موسى بالامامة دون أخوته وكانوا سبعة عشر ذكرا كما أن هناك واقعة رابعة جعلت محمد بن علي بن موسى يتقدم بالامامة على أخيه علي بن علي كذلك تقدم علي بن محمد بالامامة على أخيه موسى بن محمد كما تقدم بالامامة الحسن بن علي بن محمد علي بن موسى .

وهذه الوقائع والتي استفاض في ايرادها العلامة ابن حزم في موسوعته (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣ تبطل الزعم بأن الامام منصوب عليه . ونحن هنا لا نود أن نتوسع في مناقشة ونقد قول الامامية بوجوب النص والتعيين للأمام وضرورة الا يكون اماما في عنقة بيعة أحد كما جاء عند الكليني في (الأصول من الكافي في كتاب الحجة) ^(١). باب ما يفصل به بين دعوة الحق والباطل في أمر الامامة ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢ لكنا ناقش العصمة التي جعلوها من خواص الإمام و لوازمه واحتجوا بها على إمامه أثمتهم بأنه لم يكن معصوماً غيرهم كما يدعم ذلك الحلي في كتابه (منهاج الكرامة ص ٧١) فأن هذه الفرية كثر الحديث عنها في كتب أئمة الشيعة القدماء والمحدثين .

(١) الكليني (الكافي والأصول) كتاب الحجة ج ١ / ٣٥١ .

وكنا نتمنى أن نتوجه إلى الامام الخميني ومدرسة الفقهاء التي تتصوى تحت لوائه نسأله : ما الذى يرويه فى موضوع عصمة الأمام وكونه لا يرى الا حقاً وصواباً ؟ لكى نستقرئ تاريخ الشيعة الامامية فى هذه العقيدة خاصة وأن جوانب التناقض فيها واضحة جلية . فإن الامام على رضى الله عنه - اختلف معه ابنه الاكبر حسن والذى هو أيضاً بعقيدة الشيعة الامام الثاني المعصوم بعد أبيه . أعنى أنه اختلف معه فى مسألة أخذ البيعة من الناس بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما اختلف معه بعد ذلك فى خروج على لمحاربة مطالبى دم عثمان والقصاص من قاتليه و بداهة فإنه يترتب على هذا الاختلاف أن واحداً من الامامية كان مصيباً والثانى مخطئاً فكما نرى من الواقعتين فإن كلا منهما كان يرى رأياً غير الذى يراه الآخر ولا بد أن أحدهما كان على صواب والآخر على خطأ .

والأمر لا يحتاج إلى اجتهاد أو تخمين . فلقد ثبت أن الأمام على صوب رأى ابنه الأمام الحسن بعد معركة الجمل وندم وحزن بل وتأسف على أنه لم يأخذ برأى الحسن .

والعجيب الغريب أن الأمام على رضى الله عنه - هو الذى قال فيما بعد فيما نسب إليه محسن الأمين فى كتابه (أعيان الشيعة) الجزء الأول من القسم الأول ص ٦٥ وص ١٣٦ : (لاتكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فأنى لست بآمن أن أخطئ) ولا يغيب عن عقل المشتغلين بتاريخ العقائد أن الحسن - رضى الله عنه - لما أراد الصلح مع معاوية كان الحسين مع الذين خالفوه . ومن المعروف أن الحسن والحسين امامان معصوماً عند الشيعة لكن الحسن رأى الحسين وقد أثر الصلح مع معاوية وكان الحسين يأسف كثيراً لما فعله الأمام الحسن وكان يقول - كما روى عنه - برواية صاحب (أعيان الشيعة) : (لو جز أنفى كان أحب إلى مما فعله أخى) . وهنا أيضاً فى هذا الموقف فإنه من البداهة الواضحة الجلية طبقاً لقواعد المذهب كان واحداً من الامامين مصيباً والآخر مخطئاً مع افتراض العصمة المدعاة .

كما أن مزاعم أئمة الشيعة القدماء من أن الإمام لا يكون اماماً وفي عنقه بيعة أحد كما يذهب إلى ذلك الكليني في الأصول من الكافي - يكفي في لحض هذه المقولة وإبطالها وبيان فسادها أن الإمام الأول الذي يقولون بعصمته على بن أبي طالب - رضي الله عنه - بايع ثلاثة - رضي الله عنهم - قبل امامته ناهيك عن مبايعة الحسن والأصل فيه كما يقولون أنه أمام معصوم - معاوية - رضي الله عنه - فضلاً عن مبايعة على بن الحسين ليزيد بن معاوية والأصل فيه كما يعتقدون أنه الإمام المعصوم الرابع فهل كان على خطأ أم صواب ؟ أم أن التقية تضيع الحدود بين الخطأ والصواب في عقائد الامامية وخاصة في مذهبهم القائل بعصمة الأمام ؟ .

وفي مسلسل الأسئلة التي نتمنى للرأي العام المسلم أن يجد لها جواباً في مذهب الأئمة المحدثين يطرح الفكر الاسلامي المعاصر جملة من الاستفسارات أمام الفقهاء الذين آمنوا بشرعية ولاية الفقيه إذا كانت الامامة - كما تقول قواعد المذهب - واجبه وأنها رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي لأنه لا بد للناس من رئيس يطاع ومرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحمل الناس على الخير ويردعهم عن الشر كما أنها واجبه لأن الأمام نائب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حفظ الشرع الاسلامي وحفظ أحكام الله عن الزيادة والنقصان كما يقول الشيخ (السيد الزين) وهو من المحدثين صاحب كتاب (الشيعة في التاريخ) (الأمام موضح للمشاكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ) .

وكما يقول الحلي في (منهاج الكرامة ص ٧٢) : (ان الإمام يجب أن يكون حافظاً للشرع لانقطاع الوحي بموت النبي - صلى الله عليه وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة فلا بد من أمام منصوب من الله تعالى وحاجة العالم داعية اليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه) .

ان الاعتقاد بهذه القواعد في مذهب الامامية يضع المذهب وأئمة القدامى والمحدثين في غاية الحرج والمعاناة فأن دراسة تاريخ الامامية تنبئ أن الأئمة جميعاً باستثناء أمير المؤمنين على بن أبي طالب لم يكتب لواحد منهم أن يتولى

بالفعل وأن يملك حقيقة الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا ولم يملكوا ولو فترة قليلة من الزمن كردع الظالم عن ظلمة ولا حمل الناس على الخير كما أن المحن والمآسى التي تعرض لها من انضوا تحت لواء هؤلاء الأئمة تقوم دليلاً على عدم تحقيق مزاعم الإمامية في قولهم ووصفهم ومعتقدهم في وجوب نصب الإمام .

والجدير ذكره في هذا المقام وعلى ضوء ما تنبئنا المصادر الشيعية فإنه قد ثبت أن كثيراً من الأئمة يفتون خاصتهم بخلاف ما أنزل الله من أحكام وما بينه الرسول من تطبيق بل وبخلاف ما كانوا عليه في قلوبهم ويحتفظون به لأنفسهم .

يقول الكليني في الكافي عن موسى بن أشيم الذي يقول (على ضوء ما في الكافي في الأصول ج ١ ص ٦٦) (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام - فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبر بخلاف ما أخبر الأول . فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كان قلبي يشرح بالسكاكين فقلت في نفسي تركت أبا قتاده بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله فبينما أنا كذلك إذ دخل آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني و أخبر صاحبي) .

كما تقول كتب الشيعة في ما روى عند محمد بن مسلم أنه قال : (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له : جعلت فداك رأيت رؤياً عجيبة فقال لي : يا بن مسلم هاتها : إن العالم بها جالس وأوما بيده إلى أبي حنيفة فقلت رأيت كأنى دخلت دارى وإذا اهلى قد خرجت على فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته على فتعجبت من هذه الرؤيا فقال أبو حنيفة أنت رجل تخاصم وتحاول أن تنال مالك في مواريث أهلك . فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها . أن شاء الله - فقال أبو عبد الله - عليه السلام أصبت والله يا أبا حنيفة . وعند هذا الحد من الرواية يكمل محمد بن مسلم جوانب من الزيف في معتقدات الأئمة حول الإمام يقول ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت له . جعلت فداك أنى كرهت تعبير هذا الناصب . فقال يا بن مسلم لا يسؤوك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره فقلت له : جعلت فداك فقولاك أصبت وتحلف عليه وهو

مخطئ قيل نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ . ولو كانت هذه الرواية وأمثالها مدونة في غير كتاب الروضة من الكافي للإمام الكليني في ج ٨ ص ٢٥٢ لقال علماء الشيعة سواء من القدماء أو المحدثين أنها من وضع العامة الذين يوصفون من قبل الامامية بأنهم أعداء أهل البيت .

وعلى سبيل المثال نأتى بواقعة ثانية لنبرهن بها على أن زعم الامامية بأن الأمام عندهم لحفظ وحراسة الأحكام من الزيادة والنقصان وردع الظالمين ونصرة المظلومين ما جاء عند الكليني مما جاء من طريق زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام الذى قال : سألته عن مسألة فأجابنى ثم جاء فسالته عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ثم جاء رجل آخر فساله فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى فلما خرج الرجلان قلت : يا بن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدماً يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحب ؟ فقال يا زرارة أن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا . قال : ثم قلت : لأبى عبد الله عليه السلام : شيعكم لو حملتوهم على الأسنة أو على الثار يخرجون من عندكم مختلفين ؟ قال فأجابنى بمثل جواب أبيه .

وأخيراً نعيد ما سبق أن طرحناه من أستفسار هل الأئمة الذين تنطوى جوانحهم على مثل هذه المعتقدات وتقوم فتواهم ونصحهم على مثل هذه الممارسات أيعقل عاقل أن يقال له عنهم أن من شروط وجوب الامامة أن هؤلاء الأئمة يقومون على حفظ وحراسة الأحكام من الزيادة والنقصان وهم موضحون للمشكل من الآيات والأحاديث ومفصلون للمجمل والمتشابه ويميزون للناسخ من المنسوخ وهذه هى تناقضات فتواهم !! وإذا كانت النماذج التى وقفنا عليها هى تعبير عن أداء الأئمة لمثل هذه المعتقدات فما هو الكذب اذن وما النفاق وكيف تكون المؤامرات ؟.

أكذوبة عصمة الإمام:

من المشكلات التي خلقتها الامامية على مدى التاريخ الاسلامي الطويل وانقسمت بسببه الأمة الى طوائف وأحزاب وقامت بسببه المعارك والحروب هو موضوع الامامة الذي نسجت حوله الشيعة من الابطال والمفتريات ما انفردوا به على طول التاريخ الاسلامي.

وقبل أن نتناول شيئاً من عقائدهم في القول بعصمة الامام نود أن نشير الى أن الامامية ممن يقولون بوجوب نصب الامام الذي أختاره الله يقرب من الطاعات وأن اللطف يتحقق بمجرد وجوده لأنه مستعد للقيام بجميع مسؤولياته لكي ترجع الامة اليه و من ثم فإذا لم ترجع تكون مسئولة عن تقصيرها ، تعتقد الامامية زيفا و بهتاناً أن تسهيل أسباب الطاعة منوط بنصب الامام فلو رجعوا اليه واستمعوا لنصائحه لم يقعوا - بزعم الامامية - في المعاصي والمنكرات. ومع أن المعتزلة يقولون بوجوب اللطف والأصلح على الله سبحانه ولكنهم لم يلتزموا بهذه المقولة في هذا المقام ويبدو - والله أعلم - أن الذي يمنعهم عن الالتزام بها هو أنهم لو قالوا بها في هذه المسألة لترتب عليها في ضوء المعتقد الذي يقول بوجوب نصب الامام أن يقولوا بعدم صحة خلافة المتقدمين على علي - رضى الله عنه - وهم عند المعتزلة أهل عدل وتقوى، ومن ثم لم يقل المعتزلة في موضوع الامامة بمنهجهم الذي البتزموا به القائم على قاعدة وجوب اللطف والأصلح على الله لأن قاعدة اللطف ستلزمهم بالقول بأن يكون الخليفة منصوباً عليه. وهذه المسألة من القضايا المعقدة التي كانت بينهم وبين الامامية. وقد تناول المعتزلة بنوع من النقد والتجريح أحد أعلام الامامية وهو هشام بن الحكم الذي عرف بشدة الخصومة مع المعتزلة وقد ورد عنه أنه التقى بالرأس الثانية للاعتزال بعد واصل بن عطاء وهو عمرو بن عبيد وكان عمرو يخطب في مسجد البصرة حول الامامة وآراء المذاهب فيها وكان يهاجم الشيعة في مسألة الامامة ويحاول أن يفند آراءهم وكان هشام ابن الحكم الامامي قد حضر هذا المجلس فقام الى عمرو بن عبيد وتخطى الرقاب وهو شاب لم يتجاوز العشرين من العمر وسأله عن الحواس الخمس واحدة واحدة وعمرو بن

عبيد يجيبه عنها ثم سأله عن فائدة القلب فقال له ان الله خلقه ليميز به الانسان ما يرد على بقية الجوارح لانها قد تشك في أشياء ولم تدرك غايتها وعندما تشتبه في شئ تعرضه عليه فيرشدوها الى خيره أو شره.

وقد ترتب على هذه المواجهة الفكرية أن قال هشام بن الحكم لعمر بن عبيد أن الله لم يترك جوارحك حتى جعل لك اماما يكشف لها الحق وينفى عنها الشك ويترك هذا الخلق في حيرتهم وضلالهم واختلافهم بدون امام يبين لهم ما يختلفون فيه.

ومثل هذا المنحى من التفكير الامامي كان فيه هشام يترجم ما جاء عن الامام جعفر بن محمد من أنه قال لهشام: لقد نطق على لسانك روح القدس.

وخلاصة القول أن الامامية استعملوا شتى وسائل الاستدلال والمغالطات للتعبير عن معتقداتهم في وجوب نصب الامام. وفي (أوائل المقالات للمفيد) يقول: اتفق أهل الامامة على أنه لا بد في كل زمان من امام موجود يحتج به الله على عباده المكلفين. لكن كما سبقت الإشارة اليه فان الشيعة الامامية قد انفردوا بين أمة الاسلام بهذا القول كما أجمعت المعتزلة على خلاف ما ذهب اليه الامامية وجوزوا خلو أزمان كثيرة من وجود امام وشاركهم الخوارج بجميع فرقهم والزيدية من الشيعة والمرجئة وغيرهم.

هذا وقد ترتب على قول الامامية بوجوب نصب الامام القول بوجوب عصمة الائمة انطلاقا مما يقولون به من وجوب عصمة الانبياء والائمة من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها بل يرون عصمة الائمة من السهو الخطأ والنسيان وغير ذلك مما يحدث لسائر الناس.

واذا كان جميع المسلمين باستثناء الامامية قد أثبتوا العصمة للأنبياء لكنهم لم يلتزموا بها في جميع الحالات وعن جميع الذنوب فالمعتزلة مثلا جوزوا على الانبياء الوقوع في الصغائر من الذنوب سهوا أو تأويلا ، والأشاعرة جوزوا على الأنبياء الوقوع في الكبائر والصغائر سهوا الا الوقوع في الكفر والكذب لأن جواز

الكذب عليهم قد يؤدي الى ابطال رسالتهم. لكن القاضي أبا بكر الباقلاني جوز وقوع الكذب سهوا أو نسيانا.

وقد أجمعت الأمة على عدم وقوع الانبياء في الكفر قبل البعثة وبعدها وإن كان الأزارقة من الخوارج يقولون أنه يجوز أن يبعث الله نبيا يعلم أنه سيكفر بعد البعثة. والجمهور الأعظم من المسلمين على منع صدور الذنوب من الانبياء خاصة الكبائر. وقد منع المعتزلة صدور المعصية أو الذنوب من الانبياء بحكم العقل اعمالا لقاعدة اللطف والاصلاح أما صدورها نسيانا فقد أجازوها والمنسوب الى الجبائي أنه أجازها سهوا بعد النبوة لكن الرأي الأغلب لجمهور الأشاعرة قد جوز وقوع الانبياء في الكبائر والصغائر عمدا أو سهوا قبل أن يشرفهم الله بالنبوة.

هذا وقد استدل القائلون بأنهم معصومون عن الكبائر عمدا بالأدلة الكثيرة التي استدل بها القائلون بعصمتهم المطلقة وخلاصة ما يذهبون اليه أنه لو صدرت منهم الذنوب لحرم اتباعهم فيما يفعلون مع أن الاجماع والنصوص يدلان على وجوب متابعتهم في أقوالهم وأفعالهم ولا بد من عصمتهم وإلا لم تجز متابعتهم.

وأما الشيعة الامامية فقد قالوا بعصمة الانبياء في جميع الأحوال عن جميع المعاصي قبل النبوة وبعدها واستدلوا فيما ذهبوا اليه بأن جواز المعصية يتنافى مع الغاية التي أرسلوا من أجلها.

وقد مهدوا لمعتقدهم بمقولات عقلية ونقلية لتخدم معتقدهم في القول بعصمة الامام بقولهم أن الله سبحانه انما أرسل الرسل لعباده ليعملوا برسالتهم ويسيروا على هديها ومنهجها قال سبحانه (لولا أرسلت اليها رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نضل ونخزي) ثم يرتب الامامية على هذه الآية قولهم: اذا جاز على الانبياء أن يخالفوا ما يأمر به وينهون عنه لم يحصل الوثوق بأقوالهم مادامت لا توافق أفعالهم. ولو جاز عليهم السهو والخطأ في أقوالهم وأفعالهم لم يعد ما يمنع من وقوعهما منهم في التبليغ عن الله سبحانه.

وإذا جاز عليهم الكذب فى أقوالهم وأخبارهم ضعفت ثقتهم فى النفوس فلا تحصل الغاية التى من أجلها أرسل الله الرسل والأنبياء.

النبوة لم تنته عند الإمامية:

من النتائج البدهية والطبيعية لعقيدة الإمامة لدى الشيعة أن من يؤمن بها يؤمن بالتالى بأن النبوة لم تنته وأن عقيدة "ختم النبوة" لم يعد لها معنى عندهم. ومن الواضح أن النبوة والرسالة وأن ختم النبوة "وختم الرسالة" ليست مجرد ألفاظ بل هى حقيقة ثابتة ومحددة ومعروفة ومعنى أن رسول الله هو "خاتم النبيين وخاتم المرسلين" هو أن النبوة والرسالة تنتهيان به - صلى الله عليه وسلم - فكل نبي وكل رسول يأتى من عند الله يكون حجة الله على عبده. والإيمان بهذا هو شرط للنجاة، فمن طريقه تصلنا أحكام الله عن طريق الوحي المنزل على النبي، وطاعة النبي واجبة، وتعاليمه وإرشاداته هى مصدر هداية الأمة، وهذا هو المقام الذى لا يحصل عليه - ولن يحصل عليه - أى إنسان بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو حجة الله على عباده حتى يوم القيامة، والإيمان بهذا هو شرط من شروط النجاة فى الآخرة، والأحكام والإرشادات الإلهية التى كانت تصلنا عن طريق الوحي قد انتهت مع وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسيظل كتاب الله حتى يوم القيامة، وستظل أقوال رسول الله وأعماله وما أوتى عنه هى "السنة" وهما فقط المنبع والمرجع الذى يرتشف منه المسلمون ويأخذون عنه كل ما يعنيه من أمور دينهم ودنياهم، فلا يوجد أى إنسان بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكون له مكانة الأنبياء والرسل ويكون حجة على عباد الله أو تجب طاعته كالأنبياء والرسل، هذا هو معنى ختم النبوة، وهذه هى حقيقة عقيدة ختم النبوة عند المسلحين.

الا أنه عند أصحاب المذهب الاثنى عشرى: فإن هناك اثنتى عشرة شخصية لها مكانة الأنبياء والرسل، حجة الله على عبادة، وهى عند الإمامية شخصيات معصومة واجبة الطاعة، ومعرفتهم والإيمان بهم شرط للنجاة، تأتيم الأحكام

والارشادات من عند الله عن طريق الوحي، نالوا جميع الفضائل والكمالات التي نالها الانبياء عليهم السلام من الله ، درجتهم كدرجة رسول الله وأعلى وأرفع من درجة بقية الأنبياء عليهم السلام، حتى أولئك الانبياء "أولى العزم" هذا بالاضافة الى أنهم يمتلكون السلطات الالهية، وهم مطلعون على عالم "ما كان وما يكون" ، لا يخفى عليهم شيء، ومن سلطتهم التحليل والتحريم يملكون الدنيا والآخرة ، يهبون من شاعوا ويحرمون من شاعوا ، يملكون حياتهم ومماتهم أيضا" ومن الواضح أنه بعد الايمان بكل هذا في حق الائمة فان الايمان بختم النبوة لا يعتبر له أى معنى بل يجب أن يؤمن من يعترف بالامامة بأن درجة النبوة لا تزال تحتاج الى مرحلة أخرى من مراحل الرقى وانها سترقى وتتطور تحت عنوان الامامة لتصل الى درجة عالية من النبوة حتى يوم القيامة، وخاتم هذه المرحلة من التطور هو الامام المهدي الغائب الذي سيظهر كما لاته التي لم يظهرها حتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهذا الامام المهدي - كما سبقت الإشارة - سيخرج أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم من القبر ويحييهم ويعاقبون ، يميتهم آلاف المرات ويصلبهم وفي ذلك يقول واحد من ائمتهم وهو الاعظم عندهم العلامة باقر مجلسي: الامامة أعلى وارفع من النبوة (امامت بالاتراز مرتبة بيغميري است) ولهذا فالنتيجة الحتمية للاعتراف بعقيدة الامامة يؤدي الى الايمان بأن النبوة لم تنته بل ستمضي دائما وترقى تحت اسم الامامة. وليت من بين الشيعة من يعقل الامور ليفكر في هذا الأمر^(١) بموضوعية واعمال فكر أو فطرة.

ومجمل القول الذي يذهب اليه الشيعة الامامية في قضية الخلاف حول عصمة الانبياء قبل النبوة وبعدها هو أن مذهبهم كما يقول الشيخ المفيد في أوائل المقالات: (أن جميع الأنبياء معصومون عن الكبائر قبل النبوة وبعدها. ومما يستخفى فاعله من الصغائر كلها وأما ما كان من صغير لا يستخفى فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوة وعلى غير عمد وممتنع منهم بعدها)

(١) شيخ محمد منظور نعماني (الثورة الايرانية في ميزان الاسلام) ترجمة د. سمير عبد الحميد لبراهيم - صفحى ١٨٩.

هذا وقد استرسل الشيخ المفيد في هذه القضية الى أن أضاف أن هذا هو مذهب جمهور الامامية، والمعتزلة بأسرها تخالف في ذلك ومعنى هذا الكلام من الشيخ المفيد صاحب (أوائل المقالات) أن المعتزلة لا يلتقون مع الامامية في المقدمات التي بنوا عليها قولهم في مسألة عصمة الامام.

والامامية تدعى أن معتقدتهم في هذه المسألة هو الذي يتناسب مع مقام النبوة والرسالة ووظائف الامام وهو الذي يساعد على تحقيق الأغراض التي بعثوا من أجلها.

وعصمة الامام من العقائد الجوهرية في عقائد الشيعة الامامية وعندهم أنه لا بد من القول بها و اعتناقها انطلاقاً من عقيدتهم بوجوب نصب الامام على الله.

والمراد من العصمة التي يدعيها الامامية هي عدم صدور الكبائر والصغائر منهم عمداً أو سهواً ولعل هذا المعتقد يفسر لنا بعض الأسباب التي كانت تجعل معظم الاثمة في تاريخ الشيعة الامامية يرفضون الرجوع الى الحق أو قبول النصح حتى لا تنفضح خبيئات نفوسهم وقلوبهم أمام الأجيال المؤمنة بعدم صدور الكبائر أو الصغائر أو وقوع الخطأ منهم عمداً أو سهواً. يقول المفيد في (أوائل المقالات): (أن الاثمة معصومون كعصمة الانبياء ولا تجوز عليهم صغيرة ولا يحدث لهم سهو في شئ من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام وعلى هذا المذهب سائر الامامية الا من شذ منهم - مثل الشيخ الملقب بالصدوق محمد ابن بابويه القمي حيث جوز عليهم السهو والنسيان حتى في الاحكام.

وفي هذا يقول صاحب كتاب (الياقوت) وهو من قدماء الامامية:

(العصمة لطف يمتنع من يختص بها من فعل المعصية لاعلى وجه القهر بنحو لا تكون له القدرة عليها بل يكون امتناعه عنها لعدم الداعي اليها وليس المراد من عدم الداعي هو انتفاء القابلية فان ذلك مرجعه الى الاجاء وانما المراد منه أن القوة الخيرة في الأنبياء والأولياء هي التي تسيطر على شهوات النفس وأهوائها مع كونها مقدورة له.

وقد ذهب الامامية الى أن الامام لابد وأن يكون أفضل الناس وأكملهم لأن ترجيحه عن غيره وتعيينه أمام من بين سائر الناس لابد وأن يكون لأمر لا يوجد في غيره والا كان ترجيحه بلا مرجح.

وهذا هو سر القداسة والتبجيل والتعظيم الذي يحرص عليه الامامية في التعامل مع أئمتهم وإذا فالأمر كما يقول ابن بابويه القمي في (كمال الدين وتمام النعمة ج ١ ص ٢٠٦): (يجب على الله نصب الامام كنصب النبي).

وإذا كان من البداهة أن يطرح سؤال هنا وهو لماذا هذا الوجوب فإن ما نسبوه الى جعفر يطالعنا بالجواب. قال جعفر فيما نسب اليه صاحب (الأصول من الكافي) (نحن خزان علم الله نحن تراجمة أمر الله نحن قوم معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض).

وقد يسأل سائل: كيف يتأتى علم الامام بما في أقطار الأرض وهو جالس في بيته مرخيا عليه ستر؟ ولا تعدم الشيعة جوابا لمثل هذه التساؤلات ففي رواية عن مفضل بن عمر عن جعفر أنه سئل عن علم الامام بما في أقطار الأرض فكان الجواب كما تقول العقائد الامامية: يا مفضل ان الله تبارك وتعالى جعل في النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - خمسة أرواح روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان فيه أمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة فاذا قبض النبي - صلى الله عليه وسلم - انتقل روح القدس فصار الى الايمان، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو وأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به.

وفي التدليل على هذه الدعوى الفارغة التي لا جدال في دلالتها الواضحة على انكار ختم النبوة والاعتقاد بسرئانها بعد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن الكليني روى أن جعفر سئل من قبل رجل من أهل البيت عن قول الله عز وجل

(وكذلك أوصينا اليك روحا من أمرنا) فكان رد جعفر بما يتمشى مع هذه المزاعم التى نسبوها الى أئمتهم اذ قال حاشاه منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد - صلى الله عليه وسلم - ما صعد الى السماء وأنه لفينا . وفى رواية : كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده وهو من الملكوت.

ولذا فليس من العجيب أن تتطوى عقائد الشيعة الامامية على هذا النوع من المزاعم التى لا يقرها عقل فضلا عن أن يرتضيها دين. فقد روى صاحب (بصائر الدرجات الكبرى) فى باب أمير المؤمنين عليه السلام - ذلك الزعم الذى يقول: (لا يعلم الله محمدا علما الا وأمره أن يعلم عليا) لماذا؟ لهذه الغاية التى تتسبب فى مزاعمهم الى على بن الحسين الذى نسبوا اليه قوله : (ان محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان أمين الله فى أرضه فلما قبض محمد - صلى الله عليه وسلم - كنا أهل البيت ورثته ونحن أمناء الله فى أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الاسلام وانا لنعرف الرجل اذا رأيناه بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق وان شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا نحن النجباء وافراطنا افراط الانبياء ونحن أبناء الاوصياء ونحن المخصوصون فى كتاب الله ونحن أولى الناس بالله ونحن أولى الناس بكتاب الله ونحن أولى الناس بدين الله ونحن الذين شرع لنا دينه فقال فى كتابه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) وقد وصانا بما أوصى به نوحا والذى أوصينا اليك يا محمد (وما وصينا به ابراهيم واسماعيل وموسى وعيسى واسحق ويعقوب).

فقد علمنا وبلغنا واستودعنا علمهم نحن ورثة الأنبياء ونحن ورثة أولى العزم من الرسل أن أقيموا الدين بآل محمد ولا تفرقوا فيه وكونوا على جماعة كبر على المشركين من أشرك بولاية على ما تدعوهم اليه من ولاية على ، إن الله يا محمد يهدى اليه ممن ينيب من يجبك الى ولاية علي عليه السلام) .

ما رأى كل أصحاب الفكر فى الدنيا فى هذا الزعم الذى جعل من خاتم الانبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - مجرد أداة فى يد الامام الذى جعل منه الامامية

الحجة والمرجع؟ وإذا قيل للامامية أن ما ادعيتموه كذب وأنه منذ ملك زمام الحكم على بن ألى طالب - عليه السلام - عندما بايعه الذين بايعوه أبا بكر وعمر وعثمان لم يملك واحد من أئمتهم أمر الدين أو الدنيا باستثناء ما قاموا به من فتن ومؤامرات على مدى التاريخ الطويل. فبماذا يجيب هؤلاء الأئمة المعصومون المقهورون المظلومون العاجزون بغير سلطان ولا قدرة الى أن أصبحوا أداة فى يد القوى الدولية تعاون على ضرب أمة العرب والاسلام فى مهالك ضاع فيها من المقدرات والقوى ما كان يمكن أن يعين أمة الاسلام فى العصر الحديث على مجابهة أعداء الاسلام لو لم تبلى أمة الاسلام بذلك الموروث الذى بعث لبعثرة كيائها وتشتيت جهودها.

الخومينية والمذهب الإمامي:

استحدث الدستور الذى ابتدعه الخميني (نظرية ولاية الفقيه) والتي تزعم بأن الفقيه الذى يرمز له بشخصه يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة على شئون البشر باعتباره بزعم الفكر الخميني (الوصي) على شئون البلاد والعباد فى غيبة (الإمام) المنتظر.

والمادتان الأولى والثانية من الدستور الذى وضعه خميني تتصان على أن:

تكون ولاية الأمر والأمة فى غيبة الإمام المهدي - عجل الله فرجه (هكذا) للفقيه العادل وهذا النص فى الدستور الذى ابتدعه الخميني يعد من المبتدعات فى المذهب الإمامي على كثرة ما فيه من مبتدعات. فالقدماء والمحدثون من أئمة المذهب أمثال الكليني والصدوق والمفيد والطبرسي ومرتضى الانصارى والتائيني لم يتجاوزوا بالفقيه العادل مرتبة (الولاية الخاصة) حيث لا يوجد دليل قطعى مستفاد يدل على وجوب طاعة الفقيه طاعة مطلقة فى الأحكام العامة والخاصة كما أن اثبات الولاية العامة للفقيه ينتهى لا محالة الى التسوية بينه وبين الامام المعصوم الذى يقولون به ومن ثم فمنح الامام لنفسه الولاية العامة يرفعه الى مقام الأئمة المعصومين الذين يزعمهم المذهب ويقول بوجودهم وعليه فالدستور الذى يرمز اليه

بدستور الحكومة الإسلامية يستمد مواده وأفكاره من ذاتية واضعه باعتباره فيما ادعاه لنفسه حجة مطلقة ونائبا للامام الغائب في الفصل بين الأشياء.

والعلماء والباحثون يجدون أنفسهم أمام دعوى للقانون أو النظام يقيم الحكومة الإسلامية على اساس (ثيوقراطية) يستند الى حق الهى مفروض يسوى بين الدين والمذهب خاصة فيما ورد فى المادة الثانية عشرة.

ومعظم مواد الدستور الايرانى والذى راجع مواده الخمينى مادة مادة تستند الى رأى منفرد بذاته هو رأى (الحاكم المتأله) الذى يدعى لأرائه واجتهاداته العصمة واليقين حيث يقوم الزعم بأن السلطة الروحية للأمام الخمينى ومن ثم من يخلفه تعتبر خارج النطاق الانسانى فقد نص الدستور فى المادة السابعة والخمسين على (أن السلطات الحاكمة فى جمهورية ايران الإسلامية هى عبارة عن السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية التى تمارس تحت اشراف ولاية الأمر وامامه الأمة).

ان هذا الاعتقاد كما هو واضح بين يسد منافذ الاجتهاد ويصادر حرية الرأى والاستنباط أمام أهل العلم من مجتهدى الأمة.

وهذا الاعتقاد فى الامام لا يمكن أن يصدر عن اعتقاد اسلامى صحيح أو مبدأ يعترف به فقهاء المذاهب الإسلامية، ولكنه يرتد الى أصول فارسية تدور حول ما يسمى (التوقير) أو الطاعة المطلقة والانقياد التام للسلطة السياسية الدينية التى يمثلها تراث فارس السياسى والدينى (لكسرى) قبل الاسلام. ومن دراسة الوقائع المستفادة من قراءة تاريخ الحركات السياسية الهدامة التى ظهرت فى بلاد فارس يتبين أنها كانت تعتمد جميعا على دعوى (الولاية الروحية) التى تجعل من قيامها بالانابة عن المهدي أساسا لبرامجها وخططها للسيطرة على السلطة متخذة من زعم يقول: أن الولاية فيض دائم أو نبوة مستمرة لكى تفرض على أنصارها وأتباعها الاستسلام المطلق والطواعية العمياء وتبلغ التبعية الصارمة لمدعى الولاية الروحية صوراً لا يقبلها دين ولا يقرها عقل لأنها تبعية قائمة فى جوهرها على (التوقير الوثنى)

ولذا فان الواقع الذى تعيشه مجتمعات يسيطر عليها مثل هذا الاعتقاد يمثل حالة من حالات (الفوضوية) المعبرة عن (نزعة طوبائية) تنتكر للواقع وضروراته، ومن ثم تنتكر للاسلام وكل تاريخه وتستبجح فى هذه العقيدة أو فى ظل هذه الفوضوية هناك الحرمات واغتيال الانسان والتجاوز على مقدرات الأفراد ومصادرة حقوق الأمة.

ان نظرية (ولاية الفقيه) المطلقة التى قال بها (خمينى) تنحسر ازاءها ارادة الانسان وحرية فى الاجتهاد والتفكير . وان الوقائع التى تتكشف كل يوم والتى تنقلها

الاذاعات الأجنبية ووكالات الأنباء أنما تشير فى محصلتها النهائية الى حقيقة صارخة ومؤلمة تلك هى اغتيال الانسان واغتيال وجوده باسم الاسلام والثورية، والاسلام لا يقر ولا يرضى هذا اللون من القهر السياسى حتى مع خصومه.

ان مما يجب أن تنبه له الأجيال المسلمة فى العالم أجمع ان الأطماع الفارسية التى تعبر عن نفسها بالعدوان والسيطرة والهيمنة ومحاولة ضرب (السيادة العربية) على أرض الأمصار الاسلامية إنما يهدف الى تمزيق الأمة الاسلامية وواد الصحوة التى كانت تباشيرها تؤذن باتجاه مجتمعات عديدة نحو الاسلام عقيدة وشريعة وخطاب عدل وانصاف وان مما يجب أن تنتبه له الأجيال المسلمة أن عقيدة (الولاية الروحية) قد استغلت مثلما كان يحدث عبر أطوار عديدة من التاريخ الوثنى لفارس والتاريخ السياسى للامامية. وكانت عقيدة الولاية الروحية تجسد دائماً أبداً الأطماع الفارسية ضد جيرانها وخاصة عندما كان يتاح لهذه الأطماع شخصية فارسية (متميزة بحب الدم والعدوان) تلبس الصفات الروحية المتوهمة أداة لها. ووسيلة ضد جيرانها فدراسة حركات الزنادقة والشعبوية والأبا مسلمية والمقنعية والخرمية والصفوية تقوم دليلاً على أن هذه الحركات ليست من الاسلام فى شئ متخذة من ادعاء النسب العلوى أدوات للتخريب بالسذج والبسطاء لتحقيق مآرب الحقد والأطماع العنصرية وأحياء النزعات الشعبوية التى يفيض بها تاريخ فارس القديم والحديث على السواء.

دستور الحكومة الإسلامية

إن دراسة متأنية لمواد دستور الحكومة الإسلامية الإيرانية تبين أن هذا الدستور ليس إلا محاولة عصرية من محاولات سابقة لأسلاف الخميني من مؤسسي الحركات الهدامة والمذاهب الباطنية التي تستهدف صياغة أفكار عقدية ونظريات سياسية تستند إلى الفكر الطائفي لتكريس المذهبية الشعبوية.

إن قراءة نص المادة الثانية عشرة مما يسمى (الدستور الإسلامي لجمهورية إيران الإسلامية) والتي تقول بالحرف: (الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثني عشري) يتضح منها ، أن هذا الدستور ساقط الاعتبار في ميزان الإسلام فهو ليس دستور دولة إسلامية كما ادعى المشرع ولكنه الصدى الطبيعي لواقع المذهب الذي يعتبر كل من ليس أماميا فليس بمسلم كما سنوضحه في الصفحات القادمة من هذا الكتاب.

والنص في الدستور على أن مذهب الدولة هو المذهب الإمامي يؤكد بالقطع على أن الدستور الإيراني الذي وضع باملاء الإمام الخميني ليس لجميع المسلمين حتى في إيران نفسها ولكنه وضع لطائفة عرقية خاصة ومذهب في الاعتقاد معين لا يصح العمل عند الإماميين بغيره كما لا يصح عندهم تجاوزه إلى ما سواه.

إن الواجب في دساتير الأنظمة المسلمة أن تقوم الدولة على الإسلام وحده دون الاعتماد على مذهب معين فحين يتبنى رئيس دولة حكما من الأحكام فأنما يجب أن يتبناه بناء على قوة الدليل وليس بناء على عامل الوراثة العرقية أو التعصب المذهبي ومما يؤكد شعوبية الدستور ومذهبيته الطائفية وعدم تعبيره عن جوهر التشريع الإسلامي هو ما نصت عليه المادة الخامسة عشرة من أن : (اللغة والخط الرسميان للشعب الإيراني هما الفارسية ويجب أن تكون الوثائق والمكتبات والمتون الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة والخط).

فإذا علمنا أن الدولة الإسلامية منذ أقيمت في أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء لم تستعمل غير اللغة العربية لغة رسمية حتى أن جميع من أسلم من غير العرب كان يتقن العربية أو يتعلمها لا لأنها لغة العرب بل على أساس أنها لغة الإسلام وهذا يتضح من قراءة نص المادة الخامسة عشرة التي تدل على أن الدستور الإيراني وضع لدولة قومية وليس لدولة إسلامية لأن للإسلام لغة واحدة بحكم أنها لغة القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى ولغة السنة النبوية المطهرة التي هي بيان للقرآن فالإسلام واللغة العربية متلازمان أبدا ولا يجوز الفصل بينهما ناهيك عن إهمال اللغة العربية في مجتمع يدعى الإسلام يهدف من إهمالها القضاء على التراث الإسلامي المدون بها ولو كان الدستور الإيراني دستورا لدولة إسلامية لوجب النص فيه على أن لغة الدولة هي اللغة العربية حتى وإن بقيت الفارسية لغة محلية.

ويزيد الطين بلة القسم الذي يؤديه أعضاء المجالس النيابية في برلمان الثورة الإسلامية المزعومة فقد ورد في هذا القسم ضرورة أن يقسم النائب بالله القادر المتعال وبالقرآن الكريم وبشرفه الإنساني وذلك من أجل العبارة التي جاءت بالحرف في صيغة القسم: (بأن أكون حارسا لمكاسب الثورة الإسلامية للشعب الإيراني) فأين هذا النص مما ينبغي أن يكون عليه ولاه الأمر حين كان يوجههم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقول: (انت على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبلك).

إن المستقرئ للدستور الإيراني يتأكد له أنه ليس دستورا إسلاميا ولم ينبثق من عقيدة الإسلام. إن نص المادة الثانية عشرة تلزم مجلس الشورى بالتقيد التام بقواعد المذهب الجعفري ولا تجيز له سن أي قانون وفقا لقواعد أي من المذاهب الإسلامية الأخرى. والعجيب الغريب أن المشرع الإيراني لم يراع أن الشعوب الإيرانية بحكم تنوع قومياتها ومذاهبها الدينية لا تتبع مذهبها واحدا بعينه والزام الجميع بمذهب واحد هو نوع من الجبر والقهر والسيطرة الطائفية والمذهبية فاذا ما أضيف إلى ما في المادة الثانية عشرة من نص على الطائفية والمذهبية ما جاء بملصق المادة

الخامسة عشرة التى تشترط فى رئيس الجمهورية (أن يكون ايرانى الأصل ويحمل الجنسية الايرانية مؤمنا ومعتقدا بمبادئ الجمهورية الاسلامية والمذهب الرسمى للدولة) يتضح لنا أن هذا الدستور ما وضع ألا للمحافظة على النزعة العنصرية والأطماع الايرانية المتأصلة فى نفوس الفرس الذين يحلمون بالهيمنة على مقدرات الشعوب المجاورة ذات يوم باسم الدين الامامى ونزعتة العنصرية.

الإمامية ومنهج العنف:

من نافلة القول التذكير بأنه فى حج عام ١٤٠٧ من الهجرة وفى الوقت الذى تعلقت فيه قلوب أمة الاسلام على امتداد قارات الدنيا نحو مكة المكرمة التى يتوجه اليها حجاج بيت الرحمن لكى ينطلقوا من بيت الله الحرام فى مكة الى يوم الموقف العظيم فى عرفة اصطدمت أمة الاسلام بما تناقلته وكالات الأنباء فى عواصم العالم أجمع من أن حجاجا ايرانيين حولوا نسك الحج التعبدية وشعائره القدسية الى مظاهرة سياسية أرادوا بها سوق الحجيج ضد الولايات المتحدة الأمريكية من حول أسوار بيت الله الحرام بالهتاف والصياح. وفى الوقت الذى يمكن أن يدرك فيه العقلاء من أمة الاسلام أن هتاف الحناجر ضد روسيا أو أمريكا فى ساحة حرم الله وأهمال شعائر الحج فى مواقيته وتعطيل مناسكه لن يسقط أيا منهما ولن يرفع أذاهما عن أمة الاسلام خاصة اذا كان قادة القطيع الصارخ من أصحاب الحناجر الهاتفة والأيدى المعتدية والعقول الضالة فى أيام الحج ولياليه ممن يعبرون بكل وسائل التعبير عن تقديرهم وارتباطهم بل وولائهم لكل من روسيا وأمريكا على السواء ، وكان من الأجدر لو صحت عقائد ونيات أصحاب صراخ الحناجر وقادة العدوان فى أيام الحج وسط ساحات حرم الله كان الأجدر بأصحابه فى منطق أصحاب العقل لو صحت عقائدهم ولم يكونوا عملاء وأدوات تخريب أن يتوجهوا بقوتهم الى قادتهم الذين هم فى الأصل أدوات التعبير المقنعة لمصالح الغرب والشرق على السواء فيصلحوا من فساد مواقفهم أو يعيدوهم الى عقولهم.

حقيقة المأساة:

لقد غاب عن بعض المتابعين لما جرى من حجيج ايران فى عام (١٤٠٧ هـ) وما سبقه من أعوام سكوت عنها الرأى العام المسلم استحياء وتأدبا على أمل أن تراجع نفسها قوى العدوان لكن حدث نقىض ما كان يأمله المسلمون. أقول غاب عن بعض المتابعين لما جرى أن الانفجار العدوانى والصراخ الحنجرى واستعمال أدوات الحرب ضد حجاج بيت الله الحرام من قبل العناصر الفارسية حين مارست عدواناً مسلحاً فى حقيقة أمره ضد أمة الاسلام فى بيت الله الحرام أن ما حدث لم يكن مجرد مظاهرة سياسية فقد امتد فيما امتد مما نقلت كاميرات التصوير الى مركبات الخدمة العامة وسيارات الاسعاف ومرافق الانقاذ بل ان العدوان امتد ليلقض على حجيج جاءوا على امتداد قارات الدنيا من بلادهم لأداء نسك ربهم لا يعرفون لغة أتباع الخمينى ولا يقفون على عقائدهم وليسوا طرفاً فى الصراع الذى جره الفرس ضد جيرانهم ولم يكن لهذا الذى جرى من مبرر سوى أنه تعبير عن نمط من الاعتقاد طغى على مسرح الحياة السياسية فى ايران وخاصة حين أصبحت التحريفات الخمينية للامامية الاثنى عشرية ديناً ومذهباً قهر به (الآيات) شعب فارس المسكين الذى تعرض ابان غزو التتار للعالم الاسلامى الى سيطرة المغول ثم ترك نهبا للغزاة.

- نماذج الغلو العقدى فى مذهب الخمينى:

نود أن نقرر بادئ ذى بدء أن الخمينى والمدرسة الفقهيّة التى قاد بها الثورة الشيعية فى ايران والتى أطاح بعنفها ودمويتها بالعرش الامبراطورى فى ايران تعتبر من حوادث العنف السياسى لفكر وعقائد الامامية منذ مأساة كربلاء عام ٦١ هجرية. ذلك أنه منذ ثورة الامام الحسين فان الامام جعفر الصادق ١٤٨ هـ والفكر الامامى فى معظم مراحل تاريخه يقتصر فى التجنيد والدعوة على الجانب المذهبى وارجاء الثورة ورفع السيف خارج الأوطان التى لا يوجد بها المذهب وليس لدى الخمينى ومجموعة الفقهاء الذين قادهم فكراً ثورياً أو تجديداً أو تنقيحاً أضافوه لعقائد

الامامية أى أنه يمكن القول بأن الخمينى وزمرة الفقهاء الذين عملوا تحت لوائه شيعية أثنى عشرية تقليديون لم يصححوا التراث الامامى أو ينقحوه بنظرة نقدية ترفع عن المذهب جوانب الغلو التى اندست اليه فهم ممن يقول فى موضوع (الامامة) بالنص والوصية وفى هذا يقول الخمينى (ان الرسول وقد استخلفه الله فى الأرض ليحكم بين الناس قد كلمة الله وحيا أن يبلغ ما أنزل اليه فيمن يخلفه فى الناس وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين عليا للخلافه وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين ويحميها ويعدل بين الناس عاملا متما ومكملا لرسالته ولولا تعيين الخليفة من بعده^(١) لكان غير مبلغ رسالته^(٢) .

والدارسون لشخصية الخمينى وتراثه المقروء والمسموع يجدونه "من الامامية الغلاة" بل إنه من الجناح الذى يفضل الأئمة على الرسل والانبياء والذيم يرون قياس الامامة على النبوة واعتبار النبوة ولاية خاصة لانقضاء زمنها أما الامامة بزعمهم فهى ولاية عامة لاستمرار زمنها.

واذا كان هذا الغلو فى المعتقدات الامامية جعل بعض الامامية فى القديم والحديث يتخرج من الجهر بها وكان على الخمينى باعتباره قائد ثورة أن يتجمل ويستحى من الجهر والاعلان بمثل هذه العقائد الدخيلة على عقل الامة الاسلامية ودينها الا أننا رأينا يتحدث عن الامامة والائمة حديثا يرتقى بها الى مستوى من الاعتقاد لا يمكن أن يستقيم وعقيدة الاسلام ذلك أن الخمينى يقول: ان ثبوت الولاية والحاكمية للامام لا تعنى تجرده عن منزلته التى هى له عند الله ولا تجعله مثل من عاداه من الحكام وان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون وان من ضرورات مذهبنا ان لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وبموجب ما لدينا من الروايات والاحاديث فان الرسول الاعظم والائمة كانوا قبل هذا العالم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة ما لا يعلمه الا الله^(٣) .

(١) آية الله الخمينى (الحكومة الاسلامية) طبعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٤٢، ٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق ص ٥٢.

وبأساس من هذا الزعم الامامى ينطلق خمينى مدعيا أنه يتمرد على حكم الطاغوت ويحاربه ويقول (لا سبيل لنام الا أن نعمل على هدم الانظمة الفاسدة المفسدة وتحطيم زمرة الخائنين من حكام الشعوب هذا واجب يكلف به المسلمون جميعا أينما كانوا من أجل خلق ثورة سياسية إسلامية ظافرة منتصرة)^(١).

والخمينى هنا نراه فى عداد القوى السياسية التى اغتنتم التراث الروحى وعملت على زعزعة أركان المجتمعات الإسلامية ومناهضتها يقول خمينى ناقلا كلامه من زعم أن الامام علي بن أبى طالب أوصى بها الحسن والحسين بعد أن وجهه وجهة التحريض والمناهضة (أى والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء لا يقارون على كظة ظالم ولا شعب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها. وسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عنطة عنز)^(٢).

والخمينى كثيرا ما يستشهد على صحة ما يذهب اليه بآيات من القرآن يسوقها مبتورة أو يوجهها غير وجهتها التى تفرضها المفردة اللغوية فى ظل تيار سياسى إمامى لا يقاومه وفى سبيل ذلك يطالب الخمينى أو يقرر أن المطلوب عنده هو (تشكيل حكومة إسلامية يقودها الفقهاء) ويقول: (وعلينا أن نستفيد من ذوى الاختصاص العلمى والفنى فيما يتعلق بالاعمال الادارية والاحصائية والتنظيمية وأما ما يتعلق بالادارة العليا للدولة وبشئون بسط العدالة وتوفير الامن وقرار الروابط الاجتماعية العادلة والقضاء والحكم بين الناس بالعدل فذلك ما يختص به الفقيه. أن تولى الفقيه لأمر الناس هو انصياع لأمر الله وأداء للوظيفة الشرعية الواجبة والحكومة فى الاسلام تعنى اتباع القانون وتحكيمه والسلطات الموجودة عند النبى - صلى الله عليه وسلم - وولاية الأمر الشرعيين من بعده انما هى مستمدة من الله والفقهاء والعدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الاسلام وقرار نظمه واقامة حدود الله وحراسة ثغور المسلمين لقد فوض اليهم الانبياء جميع ما فوض اليهم

(١) أية الله الخمينى (الحكومة الإسلامية) طبعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦.

وَأَتَمَّنُوهُمْ عَلَى مَا أَتَمَّنُوا عَلَيْهِ وَبِمَا أَنَّ حُكُومَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ حُكُومَةُ الْقَانُونِ فَالْفَقِيهَ هُوَ الْمُتَصَدِّى لِأَمْرِ الْحُكُومَةِ لِغَيْرِهِ . هُوَ يَنْهَضُ بِكُلِّ مَا نَهَضَ بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ^(١) . أَنَّ الْفُقَهَاءَ أَوْصِيَاءَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَيْنِ الْأُئِمَّةِ فِي حَالِ غِيَابِهِمْ وَقَدْ كَلَفُوا بِالْقِيَامِ بِجَمِيعِ مَا كَلَفَ الْأُئِمَّةُ بِالْقِيَامِ بِهِ . إِنَّ الْفَقِيهَ هُوَ وَصَى النَّبِيِّ . وَفِي عَصْرِ الْغِيْبَةِ يَكُونُ هُوَ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَقَائِدُهُمُ وَالْقَاضِي بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ نُونِ سِوَاهُ^(٢) .

إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ تَعْنِي أَنَّ الْأَمَامَ رَجَعَ لِلنَّاسِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ قَدْ عَيْنَهُ وَأَنَاطَ بِهِ كُلَّ تَصَرُّفٍ وَتَدْبِيرٍ وَكَذَلِكَ الْفُقَهَاءُ فَالْفُقَهَاءُ هُمُ الْيَوْمَ الْحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ كَمَا كَانَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حُجَّةً عَلَيْهِمْ . وَكُلُّ مَا كَانَ يَنَاطُ بِالنَّبِيِّ فَقَدْ أَنَاطَهُ الْأُئِمَّةُ بِالْفُقَهَاءِ مِنْ بَعْدِهِمْ فَهُوَ الْمَرْجِعُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالْمَشْكَلاتِ وَالْمَعْضَلَاتِ وَالسِّيَاحِ قَدْ فَوُضَّتْ الْحُكُومَةُ وَوَلَايَةُ النَّاسِ وَسِيَاسَتُهُمْ وَالْجَبَايَةُ وَالْإِنْفَاقُ وَكُلُّ مَنْ يَتَخَلَّفُ عَنْ طَاعَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَاخِذُهُ وَيَحَاسِبُهُ عَلَى ذَلِكَ^(٣) . وَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ يَعْلَمُ الْكَثِيرَ عَنِ الطَّبِيعَةِ وَأَسْرَارِهَا وَيَحْسُنُ الْكَثِيرَ مِنَ الْفُنُونِ وَلَكِنَّهُ يَجْهَلُ الْقَانُونَ فَلَيْسَ عِلْمُهُ ذَلِكَ مُؤَهِّلًا إِيَّاهُ لِلْخِلَافَةِ وَمَقْدَمًا إِيَّاهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْلَمُ الْقَانُونَ وَيَعْمَلُ بِالْعَدْلِ وَمِمَّنْ الْمُسْلِمُ بِهِ أَنَّ (الْفُقَهَاءَ حُكَّامَ عَلَى الْمُلُوكِ) فَالْحُكَّامُ الْحَقِيقِيُّونَ هُمُ الْفُقَهَاءُ وَالسَّلَاطِينُ مَجْرَدُ عَمَالٍ^(٤) لَهُمْ وَإِذَا نَهَضَ بِأَمْرِ تَشْكِيلِ الْحُكُومَةِ فَقِيهٌ عَادِلٌ فَإِنَّهُ يَلِي مِنْ أُمُورِ الْمَجْتَمَعِ مَا كَانَ يَلِيهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوَجِبَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا وَيَمْلِكُ هَذَا الْحَاكِمُ مِنْ أَمْرِ الْإِدَارَةِ وَالرَّعَايَةِ وَالسِّيَاسَةِ لِلنَّاسِ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ الرَّسُولُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرَّسُولَ وَلِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا وَمِنْ بَعْدِهِ كَانَ الْأَمَامُ وَلِيًّا وَمَعْنَى وَلَايَاتِهِمْ أَنَّ أَوَامِرَهُمَا الشَّرْعِيَّةُ نَافِذَةٌ فِي الْجَمِيعِ وَالسِّيَاحِ يَرْجِعُ تَعْيِينَ الْقَضَاةِ وَالْوَلَاةِ وَمَرَاقِبَتِهِمْ وَعَزْلِهِمْ إِذَا اقْتَضَى الْأَمْرُ

(١) آيَةُ اللَّهِ الْخَمِينِي (الْحُكُومَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ) طَبْعَةُ الْقَاهِرَةِ ١٩٧٩ ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ص ٧٧ .

(٣) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ص ٨٠ .

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ص ٤٦ .

ونفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه فالقيم على الشعب بأسره لا تختلف مهمته عن القيم على الصغار الا من ناحية الحكمية .. ان حكومة الاسلام ليست مطلقة وانما هي دستورية ولكن لا بالمعنى الدستوى المتعارف الذى يتمثل فى النظام البرلمانى أو المجالس الشعبية وانما هي دستورية بمعنى أن القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المثبتة من القرآن والسنة والتي تتمثل فى وجوب مراعاة النظام وتطبيق أحكام الاسلام وقوانينه وبعدها تكون الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون الالهى ويكمن الفرق بين الحكومة الاسلامية والحكومات الدستورية الملكية منها والجمهورىة فى أن ممثلى الشعب أو ممثلى الملك هم الذين يقررون ويشرعون فى حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل وليس لأحد أيا كان أن يشرع وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان. لهذا السبب فقد استبدل الاسلام وقوانينه وبعدها تكون الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون الالهى ويكمن الفرق بين الحكومة الاسمية والحكومات الدستورية الملكية منها والجمهورىة فى أن ممثلى الشعب أو ممثلى الملك هم الذين يقررون ويشرعون فى حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل وليس لأحد أيا كان أن يشرع وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان. لهذا السبب فقد استبدل الاسلام بالمجلس التشريعى مجلسا آخر للتخطيط يعمل على تنظيم سير الوزارات فى أعمالها وفى تقديم خدماتها فى جميع المجالات^(١).

هذه السطور التى أتينا عليها من فكر الخمينى مما صاغه فى كتابه الحكومة الاسلامية تمثل الرؤية الامامية لطبيعة السلطة السياسية فى المجتمع وبالفعل بعد سيطرة ثورة الفقهاء فى ايران على الحكم عام ١٩٧٩ صيغت مواد (الدستور الاسلامى لجمهورية ايران) والذى صدر فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٩٩ هـ - الموافق ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ م. بحيث نص الدستور على (وصاية الفقهاء على

(١) آية الله الخمينى (الحكومة الاسلامية) طبعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٤٢، وأيضا الدستور الاسلامى لجمهورية ايران الاسلامية - المادة ١٠٧ طبعة مؤسسة الشهيد - ايران - رقم ١٩٧٩.

الاممة وانفرادهم بالسلطة العليا فى الدولة وهيمنتهم وحدهم على أجهزة القرار والتنفيذ الخاصة بشئون الحكم سلما كانت أو حربا.

وعلى ضوء ما صاغ الخمينى من أفكار وعقائد الامامية وما جاء فى دستور الحكومة الاسلامية أصبح يسمى أية الله العظمى وروح الله المرجع الدينى الأعلى الامام الموسوى الخمينى كما تسمى على عنوان مرجعه الفقهى الموسع والذى طبع عام ١٩٨٧م الطبعة الجديدة الموافق ١٤٠٧ هـ تحت إشراف سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية فى بيروت بلبنان والمسمى (تحرير الوسيلة) وقد أصبح للأمام الخمينى (ولاية الأمر وكافة المسؤوليات الناشئة عنها اذ أصبح القائد الذى يتكون مجلس القيادة من ثلاثة أو خمسة من الفقهاء المجتهدين فى حالة غيابه ومنذ عملت الحكومة الايرانية بالدستور الايرانى الموسوم بدستور الحكومة الاسلامية وللأمام الخمينى أو من يخلفه سلطات تعيين رأس الجهاز القضائى والقيادة العامة للقوات المسلحة بحيث يكون من حقه وحده التعيين والعزل لرئيس أركان الجيش والقائد العام لحرس الثورة وتشكيل مجلس الدفاع الوطنى الأعلى وتعيين وعزل قادة القوات الثلاث بالجيش وأعلان الحرب والسلم والتعبئة العسكرية واعتماد نتيجة انتخاب رئيس الجمهورية وحق عزله وتقرير صلاحية المرشحين لمنصبه^(١).

ومن الملاحظ بناء على ما أقره الدستور من ولاية الأمر وكافة المسؤوليات الناشئة عنها للأمام الخمينى أن الدستور نهج النهج الذى حدده الخمينى فى كتاب الحكومة الاسلامية

واذا ما نظرنا الى المادة الثانية عشرة التى تنص على أن (الدين الرسمى لايران هو الاسلام والمذهب الجعفرى الاثنى عشرى) لرأينا أن انحياز الدستور الايرانى لم يكتف باهمال المذاهب الاسلامية الأخرى مثل الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية والزيدية والى اعتبرت وفق فقه الدستور الايرانى مثل الاقليات

(١) أية الله الخمينى (الحكومة الاسلامية) طبعة القاهرة ١٩٧٩ المادة ١١٠ من الدستور الاسلامى لجمهورية ايران الاسلامية.

الدينية غير الاسلامية من زرادشت ويهود ونصارى^(١). بل ان الانحياز اتجه للعنصر الفارسي دون الاقليات القومية الايرانية الأخرى حتى أن باحثا تساءل أهى الثورة الاسلامية فى ايران أم أنها الثورة الشيعية الفارسية فى ايران^(٢).

والخلاصة أن الصياغة النظرية الشيعية لفكرة عموم ولاية الفقيه التى ابتدعها الخمينى تنتهى الى مقولة تقول على لسان الخمينى بعد فرية للفكر الشيعى تجعل للرسول كل ما لله فى سياسة المجتمع وعقيدة أهله وبعد الرسول أصبح كل ما لله للامام وبعد غيبه الامام فيكون كل ما للامام الذى هو كل ما لله وللرسول هو للفقيه مع ضرورة اعتبارين اثنين خاصين بالامام.

أحدهما أن للامام مقاما عند الله لا يبلغه فقيه بل ولا نبى ولا رسول وثانيهما أن ولاية الامام تكوينية يخضع لها كل أحد وكل شئ بما فى ذلك جميع ذرات الكون. أما ولاية الفقيه فان عمومها محدود بالمقلدين لهذا الفقيه أى أن أقرانه من الفقهاء المجتهدين لا يلزمهم الخضوع له لأنه يجتهد وهم مجتهدون وله ولاية عامة وحاكمية ولهم مثله عموم الولاية وسلطان الحاكمية^(٣).

وقد استعمل الخمينى هذه القاعدة وذهب يستدل من القرآن الكريم على عموم ولاية الفقيه عندما قال باستطاعة الاستدلال من قول الله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٤).

على أن منصب الولاية ثابت للعلماء لأن الولاية فى أقل تقدير عنده هى الولاية والإمرة فالنبي ولى للمؤمنين وأمير عليهم وكل ذلك ثابت للعلماء وقال لقد

(١) آية الله الخمينى (الحكومة الاسلامية) طبعة القاهرة ١٩٧٩ المادة ١٣.

(٢) د. محمد عمارة - تيارات الفكر الاسلامى المعاصر - دار الوحدة - بيروت - لبنان - عام ١٩٨٥ ص ٢٣٨.

(٣) الحكومة الاسلامية ص ٥١.

(٤) سورة الأحزاب الآية (٦).

افترض الله علينا طاعة ولى الأمر وأولوا الأمر بعد الرسول هم الأئمة
الاطهار الذين كلفوا ببيان الأحكام والانظمة الاسلامية ونشرها وأيضا بتنفيذ
الأحكام والانظمة. وقد فرض على الفقهاء العدول من بعدهم أن ينهضوا بهذه
الواجبات^(١).

وفى مسلسل التناقض العدى والابتداع المذهبى فى فكر الخمينى بالرغم من
أسر المعتقدات الامامية المحرفة لجوهر فكره ومقومات عقيدته وعدم وجود رصيد
اجتهادى يجعله يتناول بالنقد أو التصحيح بعض جوانب معتقدات الشيعة الامامية
بالتصحيح أو التوجيه فان الامام الخمينى لا يتورع عن مزج المتناقضات فى
مقولات مذهبية يحرف بها المبادئ ويلون بها التصريحات ولا بأس عنده أن يتناول
العقائد القديمة بشئ من الحداثة للاثارة أو للحشد الاعلامى أو تعبئة مشاعر الشيعة
والزام الفقهاء بالتراث القديم الذى قد يرفضه بعضهم مثلما فعل العلامة الدكتور
موسى الموسوى حفيد الامام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوى الذى قيل فيه (أنسى
من قبله وأتعب من بعده) فى كتابه (الشيعة والتصحيح أو الصراع بين الشيعة
والنشيع). فإن خمينى لا يتورع عن أن يطالع رأى العام العالمى بهذه المفتريات
ففى اذاعة له أذاعتها طهران بالفارسية فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر
يوم الاحد الموافق ١٤٠٦/٦/٢١ هـ، ١٩٨٦/٣/٢ م قال وكان يخطب فى اجتماع
للسيدات للاحتفال بذكرى مولد السيدة فاطمة - رضى الله عنها - : (أهنئكن جميعا
أيتهن الأخوات وأهنئ جميع نساء العالم الاسلامى بهذا العيد ذكرى مولد فاطمة
الزهراء سائلا البارى عز وجل أن يهدى جميع النساء للسير فى طريقه والعمل
على تحقيق الأهداف الاسلامية السامية، أنه فخر للنساء جميعا أن يتخذ يوم مولد
فاطمة الزهراء يوما للمرأة. أنه فخر ومسئولية فيما يتعلق بالصديقة فاطمة الزهراء
أجد نفسى عاجزا عن الحديث عنها ألا أننى اكتفى برواية نقلت مدعمة بالأدلة،

(١) الحكومة الاسلامية ص ٢٤ .

وهذه الرواية من كتاب (الكافي) تقول بأن الامام الصادق يقول بأن فاطمة الزهراء عاشت بعد وفاة والدها ٧٥ يوما قضتها حزينة كئيبة وكان جبريل الامين يأتي اليها لتعزيته وابلغها بالأمور التي تقع في المستقبل. وكان يتردد عليها خلال هذه الايام ولا أعتمد [الكلام للإمام الدكتور موسى الموسوي] بأن رواية كهذه الرواية وردت بحق أحد باستثناء الانبياء العظام. وكان على يكتب هذه الأمور. ومن المحتمل أن تكون قضايا ايران من الأمور التي نقلت لها.

ثم يقول (فقضية نزول جبريل على شخص ما ليست بالقضية السهلة والبسيطة ولا تعتقدوا بأن جبريل ينزل على كل شخص اذ لا بد من تناسب روح الشخص الذي ينزل عليه جبريل وبين جبريل والروح الأعظم) سبحانه وتعالى.

الغاء بعض مقررات المذهب على يد الخميني

الخميني برغم انعدام الرؤية التجديدية أو النقدية عنده والتي كان من الممكن أن يتناول بها بعض المعتقدات الإمامية بالتوجيه لكنه أمام ضرورات السياسة وتعبئة الرأي العام الإيراني نحو ما يريده لا بأس عنده أن يبدل ويعدل ويحذف ويضيف في مقررات عقيدة الشيعة الاثني عشرية دون تنقيح أو تصحيح فمن المعروف مثلاً أن التقية في ظل مصادر المذهب من مقومات المذهب الإمامي ولا يختلف كثير من أئمة المذهب في أنها من أركان المذهب فقد ورد في الكافي وفي باب (التقية) ما قاله أئمة المذهب من أن (التقية من ديني ودين آبائي يا سلمان) وورد : (لا إيمان لمن لا تقية له) ونظرة على ما في كتاب من كتب الأصول أو الفروع عند الشيعة الإمامية ككتاب (الاستبصار) لواحد من محدثيهم الكبار وهو الطوسي نرى أن مؤلف الكتاب يحمل كل ما جاء عن طريق أهل البيت من أحاديث قد توافق ما عند أهل السنة لكنه يحملها على التقية فمثلاً جاء في الاستبصار أن علياً غسل رجله والمذهب عند الشيعة المسح لا الاغتسال لكن صاحب (الاستبصار) حمل هذا الفعل على التقية لأنه يوافق مذهب العامة (أهل السنة) وقد روى الكليني في كتابه (الكافي) رواية عن أبي جعفر أنه قال : (التقية من ديني ومن دين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له) كما روى الكليني عن أبي عمر الأعجمي أنه قال : (قال أبي عبد الله عليه السلام : يا أبا عمر : إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له) - وقد قال ابن بابويه القمي في رسالة (الاعتقادات) (التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة) إلا أن الإمام الخميني بحكم ما خوله لنفسه من ولاية عامة في الأمور كلها حتى مفردات المذهب وقواعده أدراك أن التقية كعقيدة شيعية قد تصبح عقبة كأداء أمام برامجهم ومزاعمهم في التغيير بل أن التقية قد تكون عقبة أمام دعواهم بولاية الفقيه إذ بالتقية يمكن أن يستريح الشيعي التقليدي الواقع تحت أسر مقررات المذهب مهما شاع حوله من ظلم وفساد ويمكن له أن يمارس (الرفض القلبي أو الإنكار السري الذي لا يجعله يصطدم مع الانظمة

الفاسدة أو الأوضاع الظالمة ولذا أدرك الخميني ما تمثله عقيدة التقية من عقبات ورغب في أن يميز بين تقية الأئمة التي يمكن الحفاظ بها على مقررات المذهب وبين تقية جمهور المذهب التي تؤدي إلى جبن وهروب ومن ثم إلى حفظ الذات عن التصحيحات وبما أن الرجل جزء من انقلاب عقدي ضد العروبة والاسلام فلا ينبغي التمسك بالتقية^(١) في كل صغيرة وكبيرة ويرى أن التقية إذا كانت (قد شرعت للحفاظ على النفس والغير من الضرر في مجال فروع الأحكام اما اذا كان الاسلام كله في خطر فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت^(٢)).

ولكى يبرر صنيعه يتحدث عن الحاكم الذي يريده والذي ينفذ برنامج حكومة الفقهاء فيقول: (نريد حاكما لا يأمرنا بشئ الا وقد سبقنا اليه ولا ينهانا عن شئ الا وقد انتهى عنه نريد من يساوي بيننا جميعا أمام العدالة وفي ميادين القضاء نريد من يساوي بين الناس في مالهم وفي ما عليهم من غير تمييز أو تفضيل نريد من يحكم بالحق له أم عليه. نريد حاكما لا يحمل نفسه وعائلته وذويه على رقاب الناس. نريد حاكما يقطع ولده اذا سرق ويجلد ويرجم قريبه اذا زنا ويؤاخذ أخاه وأخته كما يؤاخذ الآخرين ضد ارتكاب المحظورات^(٣)).

وهذا التضليل لم يصمد طويلا أمام الرأي العام العالمي بل أمام الرأي العام في إيران إذ ساعد الخميني في اصدار مجموعة من القرارات والقوانين بحيث سلب الأمة حقها في الحكم والتقنين والسلطة والسيادة لأن النتيجة الحتمية التي انتهت اليها أعمال الفقهاء والتي هي التعبير المباشر لولاية الفقيه انتهت بهذه الفئة إلى أن أصبحوا متساوين من ناحية الأهلية بحكم أن لكل منهم سلطات الأمام عن الرسول ومن ثم عن الله فيما يعتقدون وإذا كان الامر كذلك على ضوء ما يرى الخميني فمن ذا الذي يعصم الأئمة والمجتمع من تعدد ولايات الفقهاء والذي يمكن أن يترتب عليه تعدد الحكومات بتعدد الفقهاء المجتهدين وإذا لم يكن مثل هذه النتائج واقعة اليوم

(١) الحكومة الاسلامية ص ٦١

(٢) الحكومة الاسلامية ص ١٤٢

(٣) الحكومة الاسلامية ص ١٢٤

فمن الذى يضمن الا تقع غدا ثم من الذى سيحمى حكومة الفقهاء من هذه العزلة الفكرية عن جمهور أمة الاسلام وهو الحال الذى سيجعله على المدى البعيد ان لم يكن القريب تأكل ذاتها وتسقط أمام خصميتها فى تفسير المذهب والمعتقد والدليل على هذا الذى نراه هو ذلك التناقض الفكرى والعقدى فى التعبير عن سياسة المذهب فى ظل ولاية الفقيه التى جعل منها الخمينى ولاية عامة ومطلقة على شئون البلاد والعباد فاذا ما وضعنا فى الاعتبار أن معظم جهود وأطروحات الخمينى تعرض لها التيار الاصلاحى التجديدى بالنقض بعد وفاة الخمينى بفترة وجيزة أدركنا مدى هزال وفجاجة الفكر الذى كان يمثلته.

التناقضات والسقطات فى الفتاوى الخمينية:

فى يوم الخامس عشر من شعبان عام ١٤٠٠ هـ وبمناسبة ذكرى مولد الامام المهدي التى تحتفل الشيعة بها القى الخمينى خطابا ضمنه من الافكار والمفتريات ما لا يمكن بقاء ذرة من الاسلام فى قلب من يقول ببعضها فقد قال بالحرف (لقد جاء الأنبياء جميعا من أجل ارساء قواعد العدالة فى العالم لكنهم لم ينجحوا حتى أن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذى جاء لاصلاح البشرية وتنفيذ العدالة وتربية البشر لم ينجح فى ذلك. وان الشخص الذى سينجح فى ذلك ويرسى قواعد العدالة فى جميع أنحاء العالم فى جميع مراتب انسانية الانسان وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر).

ثم استطرد الخمينى فى هذا الخطاب قائلا : (فالامام المهدي الذى أبقاه الله - سبحانه وتعالى - ذخرا من أجل البشرية سيعمل على نشر العدالة فى جميع أنحاء العالم وسينجح فى ما أخفق فى تحقيقه الأنبياء.

ثم يقول فى نفس الخطاب: (ان السبب الذى أطال سبحانه وتعالى من أجله عمر المهدي - عليه السلام - هو أنه لم يكن بين البشر من يستطيع القيام بمثل هذا العمل الكبير حتى الانبياء وأجداد الامام المهدي عليه السلام - لم ينجحوا فى تحقيق ما جاءوا من أجله).

ويقول الخميني في نفس الخطاب أيضا: (ولو كان الامام المهدي عليه السلام قد التحق الى جوار ربه لما كان هناك أحد بين البشرية لإرساء العدالة وتنفيذها في العالم. فالامام المهدي المنتظر - عليه السلام - قد أبقى ذخرا لمثل هذا الامر ولذلك فان عيد ميلاده أرواحنا فداه أكبر أعياد المسلمين وأكبر عيد لأبناء البشرية لأنه سيملا الأرض عدلا وقسطا ولذلك يجب أن نقول أن عيد ميلاد المهدي عليه السلام هو أكبر عيد للبشرية بأكملها وعند ظهوره فانه سيخرج البشرية من الانحطاط ويهدي الجميع الى الصراط المستقيم ويملا الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا. ان عيد ميلاد الامام المهدي عيد كبير بالنسبة للمسلمين يعتبر أكبر من عيد ميلاد النبي محمد ، ولذلك علينا أن نعد أنفسنا من أجل مجيئ الامام المهدي - عليه السلام - أنتهى كلام الخميني.

وبعد هذا التطاول على الأنبياء والمرسلين وفي مقدمتهم النبي محمد - عليه السلام - من قبل الفقيه الخميني وبعد الوقوف على هذا القدر من التهوين والازدراء بقدرهم - عليهم السلام - يبدو واضحا الوجه المأساوي في المذهب و تبدو الفتاوى الخومينية باعتبارها انقلابا مذهبيا يمكن أن يدمر المذهب حتى في ايران.

- المذهب السياسي في فكر الخميني الديني:

المتابعون لوقائع الثورة الايرانية منذ قامت على يد الخميني وجماعته لا يتعرفون على لون سياسي لها بسبب كثرة المتناقضات وممارسة ألوان القهر والتجاوز المذهبي لكل عرف أو قيمة أو مبدأ سواء على المستوى الدولي أو داخل ايران نفسها ولا بأس عند الخميني الذي يقول لجمهور الشعب بعدم (التقية) وأهمال بعض أركان المذهب الأمامي أن يمارسها هو حتى مع القوى الدولية ولا بأس عنده أن يكون في موقف اذاعي عدوا لدولة أو نظام وفي موقف سرى أو باطنى صديقا ومعبرا عن مصلحة وغاية لهذا النظام كما أنه لا بأس عنده أن يعلن الحرب الكلامية على كيان سياسي كاسرائيل ثم يتعاون معه ويأخذ منه العون والدعم والمساندة وفي الوقت الذي يرفض فيه أن يجلس للتفاهم أو التفاوض مع طرف

عربى أعلن عليه الحرب ودمر الكثير من الاقتصاد وقتل العديد من الارواح فى الوقت الذى يتعاون فيه مع أطراف غير عربية تعلن الحرب على الاسلام بوسائلها التعليمية والتحريرية والعسكرية ان الخمينى الذى أفنى بأفكاره ٤% من الشعب الايرانى فى حرب لاناقة له فيها ولا جمل وشرذ ١٢% منهم وتسبب فى اصابة ٦% من الشعب الايرانى بالجروح والعاهات وعطل نمو وتتمية ايران حوالى عشرة أعوام لا بأس عنده أن ينال كل ليلة ينشد الاسترخاء أو الفكاهة بارتياح أو مشاهدة أحد منتجات الشيطان الأعظم حسب تعبيره (الولايات المتحدة الأمريكية) وذلك عندما دأب فى السنين الأخيرة من عمره كما تقول المعارضة الايرانية على مشاهدة أفلام الكارتون (ميكى ماوس) ورعاة البقر والهنود الحمر من خلال جهاز الفيديو. هذا الخمينى صاحب الالوان السياسية المتناقضة والمذهب الدينى المتناقض هو الذى أجرت معه مجلة (شبيجل) الالمانية فى يوم ١٩٧٨/١١/٧م تحقيقا صحفيا للوقوف على منهجه الثورى فى الحرية ونظام الحكم وقد صرح الخمينى للمجلة قائلاً: (ان الحكومة التى ندعو اليها هى حكومة الجمهورية الاسلامية وهى قائمة على الحرية والديمقراطية والعدالة).

ثم استطرد خمينى يقول للمجلة : (ان المجتمع الذى نبشر له سيكون مجتمعاً متحرراً وسيتم انهاء كل أنواع الكبت والقمع والاختناق).

وكان قد قال يوم ١٩٧٨/١١/١م لصحيفة الجارديان كلاماً شبيهاً بما قاله لمجلة شبيجل الالمانية اذ أطلق صيحته المشهورة (فى ايران الاسلامية ستكون جميع الاحزاب حرة).

وما أن تولى خمينى زعامة ايران الا وتكرر لوعوده للرأى العام بل وعمد للقهر والقمع ومصادرة الحريات وأعطى أوامره الصريحة بالقتل الجماعى لكل من يخالف فى الرأى أو التطبيق وفيما رآه المراقبون فى ايران ما يدل دلالة قاطعة على أن الخمينى أحدث فى ايران ردة حضارية وانتكاسة سياسية لا يمكن وصفها بحال من الأحوال بأنها تعبير عن روح الاسلام أو حتى تعبير عن جوانب الاعتدال والوسطية فى المذهب الجعفرى.

يقول: (أدوارد سوبليه) فى كتابه (ايران مستودع البارود) الصادر عام ١٩٨١م ومن صفحة ١٨٨ (لقد كانت حرية التعبير وحرية الكلمة إحدى المطالب الرئيسية فى العهد الشاهنشاهى وكان الخمينى قد نعهد منذ عودته باطلاق حرية الصحافة فيما أصبح المنع فى عهد ولايته ظاهرة شاملة لكافة المطبوعات التى لا تصدر عن السلطة أو حزبها الحاكم). ولم يتوقف الامر عند هذا الاعلان الصريح بمصادرة حرية الرأى وحرية الفكر بل أعطيت بموجب هذا الاعلان حرية اعلام آخر هو: الإيعاز الى حرس الثورة بتنفيذ وصايا خمينى وازاء ذلك اختفت من الوجود ما يقارب خمسين صحيفة كانت تصدر فى ايران وأصبحت الجرائد الباقية مجرد أبواق دعاية تعمل تحت تهديد غلقها من جانب حزب خومينى.

وبعد تولى السلطة فى ايران وجه خمينى خطابا من أصفهان حيث كان يخاطب ضباط القوة الجوية يوم ١٩/٩/١٩٧٩م فوجه حديثه الى جميع القوى الوطنية محذرا من مخالفته أو الخروج على سلطانه حين قال (عليكم جميعا أن تسيروا خلف ولاية الفقيه والا سوف تمحون من الوجود) وبعد مصادرة حرية الصحافة وحظر نشاط الاحزاب رفض خمينى كل من لم ينضو تحت سيطرة ما أسماه الجمهورية الاسلامية قال فى خطاب فى مدينة (قم) يوم ٢٤/٨/١٩٧٩ (ان الذين لم يصوتوا للجمهورية الاسلامية سنعاملهم كمنافقين ونقضى عليهم).

ولا يتردد خمينى بعد أن كان قد سيطر على البلاد من توجيه التهديدات فى مدينة (قم) ويوم ٢٢/١٠/١٩٧٩م يقول فى خطاب له (أنى اوصيكم أيها المعارضون بألا تعقدوا الاجتماعات ولا تثرثروا ولا توزعوا المنشورات هلا تجرأتم وأخرجتم رؤوسكم سأصغعكم على وجوهكم)

وفى مسلسل التناقضات المذهبية والعقدية نجد الخمينى فى كتابه الحكومة الاسلامية يعارض خومينى عندما كان يرد على أسئلة صحافية ايطالية كانت تجرى حوارا لصحيفتها معه وسألته عن حكم الاسلام فى قتل النساء المحاربات ناهيك عن المسلمات غير المحاربات ممن يمكن أن تنسب اليهن مخالفات فى الرأى فأجابها

خميني قائلاً: ان الاسلام يحرم قتل النساء وخاصة المسلمات لكن الصحفية تسأله
قائلة:

(أيها الامام وفي ظل عدالتك الاسلامية تم محاكمة مئات من الناس خلال
ساعات ونفذت حكم الاعدام في دقائق فهل طريقة الاعدام هذه دون وكيل أو دفاع
أو حق اعتراض أو تمييز تعتبر صحيحة؟).

فأجابها خميني قائلاً: بالطبع تعتبر صحيحة فأنتم الغرباء لا تفهمون شيئاً من
ذلك لقد أعطيناهم فرصة الكلام ولكن حين يصدر الحكم بحقهم فلا فائدة ترجى من
التمييز فان لم نقتلهم نحن سيقتلهم الشعب). ثم سألتها الصحفية الايطالية قائلة (أيها
الامام قبل أسابيع تم أعدام امرأة حامل في الثامنة عشرة من عمرها رميا
بالرصاصة بتهمة الزنا فهل هذا ينطبق مع العدل الاسلامي؟).

فأجابها الخميني قائلاً: (كذب مثل هذه الأمور لا تحدث في الاسلام ولا يمكن
اعدام المرأة الحامل).

وترد عليه الصحفية الايطالية (أولايانا لا فاجأجى) (ولكن يا سماحة الامام هذا
الأمر نشرته جميع الصحف الرسمية في ايران وأجريت مقابلة تليفزيونية بشأنه؟
ولكن العجيب الغريب المحير أيضاً كان في اجابة الخميني اذ قال: (انن فهذه
المرأة تستحق العقوبة)).

الإمام الخميني يحب إراقة الدماء

هذه المأساة التي فرضها الخميني على شعوب إيران والتي تسمى المحاكم الثورية الإسلامية تجعلنا نقف أمام بشاعة ما اقترفته وعلى حد تعبير الامام د. موسى الموسوي اقترفت بحق الأمة الإيرانية ما لم يرتكبه أي جيش غاز بأعدائه ولكي تبدو صورة الإمام واضحة المعالم من هذا الجانب المأساوي وهو حبه للدماء والاعدام بالجملة فان هذه الرواية التي ينقلها الامام موسى الموسوي عن محمد الكيلاني رئيس المحاكم الثورية الإسلامية ما يدل دلالة واضحة على ما نقول.

لقد حدثت هذه الواقعة عندما حكم الخلخالي ، الحاكم المنصوب من قبل مرشد الثورة على الجنرال نصيري رئيس السافاك وثلاثة من رفاقه من القواد العسكريين بالموت ولكن لم يجد القاضي من ينفذ أحكامه، وكلما طلب من هذا أو ذلك تنفيذ الأحكام لم يستجب اليه أحد بذريعة أنه لم يسبق لأي من الزمرة المحاطة بالامام تنفيذ الاعدام بحق أحد، وعندما سمع الخميني بالخبر نهر الذين كانوا حوله وقال لهم "أيتوني (برشاس حتى اذهب بنفسى وأنفذ فى هؤلاء المجرمين الموت" ، وعندما سمع الحاضرون أن إمامهم يريد أن يقوم بدور الجلاد أيقنوا أن الموت للمحكومين عقاب الهى يمليه الواجب الدينى ، فسارع قوم من الحاضرين لإعدام المحكومين ونفذت الأحكام على سطح الغرفة التي كان يسكنها الامام فى (مدرسة الرفاة) بطهران.

وبعد ثلاث سنوات من اللحظة التي لم يجد فيها حاكم الثورة شخصا واحدا يستطيع تنفيذ حكم الاعدام بمجرمين كبار مثل الجنرال نصيري ورفاقه، تفشت رائحة الدم وحب الاعدام وتطویر مئات من حرس الثورة لتنفيذ الاعدام بالجملة والافراد فى البرئ والمجرم على السواء وأصبحت حياة الانسان أرخص شئ فى ظل النظام الخميني حتى قال شاهد عيان ان حرس الثورة الإسلامية بعد تنفيذ القتل والاعدام فى مجموعات كبيرة يتباهون أمام رؤوسائهم بالاعداد الغفيرة التي

أرسلوها الى الجحيم حسب زعمهم وهكذا شجع الإمام مأوريه وتابعيه على ازهاق النفوس المحترمة ، ولك بعد أن لقنهم بأن في ذلك رضى الله ورسوله والمؤمنين.

أن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو كيف استطاع الخمينى والخمينيون تنمية السروح الشريرة والتعطش الى الدماء فى نفوس الناس؟ فلم يكن من السهل فى بلد اسلامى يأمر دينه بالعفو والسماحة والرحمة والرافة بالمذنبين وبالأبرياء كيف تم تكوين هذه النفسية الشاذة التى لا تستقر ولا تهدأ إلا بالإسراف فى القتل. ان الكلام الذى كان يريده الخميني والخمينيون لإضفاء الشرعية على أراقة الدماء والقتل بالجملة هو الاستشهاد بسيرة الامام على عليه السلام فى الحروب التى خاضها بعد أن آلت الخلافة اليه وبما أن الشعب الايرانى يوالى عليا عليه السلام ويراه أماما وقدوة فلذلك اتخذ حبه لعل وسذاجة بعض أتباعه فى عقد مقارنة بين الحق والباطل ذريعة لإضفاء الشرعية على أعمال الطغاة ، فكلما أراق الطغاة مزيدا من دماء المسلمين، قالوا: أليس الامام عليا قتل المنشقين والخارجين على حكمه، واذا كان الامام على يقتل المنشقين عليه بالجملة والأحاد أيام خلافته فلماذا لا يقتل الخمينى المنشقين على نظامه الذى هو امتداد لحكومة الامام على عليه السلام ؟ لقد كانت ولا تزال لهذه الدعاية التى تريد النيل من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وتشويه صورته النقية الطاهرة أثر كبير فى نفسية القابضين على السلاح وتشجيعهم على القتل واراقة الدماء أسوة بالإمام على عليه السلام على زعم الشعوذة التى تخلص من بعضها الاصلاحيون فى إيران بعد ذلك.

وبما أن الأعلام الايرانى هو فى احتكار السلطة، ويسير فى نفس الخط والمسيرة ولا يستطيع أحد التنفس ضد ما تدعيه السلطة ، والادلاء بكلام يغاير ارادة الحاكمين فيها يومها فلذلك لم يستطيع أحد أن ينبرى لدحض تلك المزاعم الكاذبة والدفاع عن الامام على عليه السلام.

ونورد هنا فى هذا المقام نبذة عن المحاكم الثورية فى ايران منذ تأسيسها لتتضح حقيقة المأساة التى اقترفها خومينى ضد الشعب الايرانى:

- ١- حكمت على ما يقارب من أربعين ألف شخص بالاعدام ونفذ الحكم فيهم فوراً.
 - ٢- حكمت على ما يتجاوز على خمس وعشرين ألف شخص بالحبس لفترات طويلة وقصيرة.
 - ٣- صادرات أموال ما يقارب من خمس وأربعين ألف شخص: وكان حراس الثورة يذهبون الى دور المحكومين تلفظ عوائلهم صغيرا وكبيرا نساء ورجالا الى خارج منازلهم ليفترشوا الارض ويلتحفوا السماء وكان يحل محلهم الحرس الثورى يتصرفون فى الدار وما فيها تصرف المالك فى ملكه.
 - ٤- حكمت هذه المحاكم على المراهب بالاعدام ، وعلى المرأة الحاملة بالرجم، وعلى الطفل الصغير بالموت وعلى المريض بالشنق.
 - ٥- هذه المحاكم لم تسمح للمتهمين الاستتجاد بمحامى الدفاع واستئناف الحكم ولم يؤخذ مرور الزمان بعين الاعتبار بذريعة أن الاسلام لا يعترف بهذه الاشياء.
 - ٦- أن تنفيذ حكم الاعدام فى هذه المحاكم يجرى فور صدور الحكم ليلا كان أم نهاراً.
 - ٧- السن القانونى لقبول الموت فى محاكم الثورة للفتيات ٩ سنوات وللفتيان ١٥ سنة وهو سن البلوغ الشرعى (فى المذهب وتطبيقاته الخمينية).
 - ٨- لم يصدر الخمينى العفو عن أى محكوم بالاعدام.
- وقد سخرت هذه المحاكم بكل القيم الانسانية وشرائع السماء والتي أصبحت أداة من أدوات الطغيان فى ايران، أن أحكام الاعدام التى يصدرها القضاة لم يبلغ المحكوم عليهم بها فى ساحة المحكمة خشية من حدوث بلبلة، وأما يؤمر الحرس الثورى الذى يقتاد المتهم خارج المحكمة بتنفيذها طى رسالة مغلقة يفتحها عندما يغادر ساحة القضاء، وقد يتوهم المحكوم بالاعدام عندما يقتاد الى خارج المحكمة أن ساحته برئت فلذلك يقدم شكره الجزيل الى القاضى وعدالته ورأفته، وعندما يصل الى الفناء الخارجى ينهال عليه رصاص حراس الثورة بغزارة ولم يسق حتى جرعة من الماء.

وكان الخميني لا يأبه من الكذب أمام الخاصة والعامة على السواء ، وإذا كذب بصر في الكذب ما أستطاع الى الاصرار سبيلا ، فقد رأينا كيف أن كل أجهزته عندما اعترفت بشراء الاسلحة من اسرائيل انكر الخميني ذلك أكثر من مرة، وحينما ثبت ذلك أمام العالم بعد سقوط الطائرة الارجنطينية وانكشفت حقيقة النظام الحاكم في ايران واعترفت اسرائيل بذلك في آخر الامر، كرر الخميني انكاره لشراء السلاح وبأصرار وعناد وكأنما كان هذا الشيخ العجوز يعيش في عالم آخر لا يرى الشمس حتى في رائعة النهار.

والخميني دوانيقي في كرمه، وكانت الازمات الخانقة المالية والفقر المدقع الذي ألم به عندما كان طالبا بسيطا في قم تسيطر على تفكيره وعطائه، وقد قال أحد المقربين منه أن الامام اذا أراد أن يعطى أحدا ما يكفيه لشروة نقيير ارتجفت يداه حتى الكتف، فالحوزة العلمية الدينية في قم بطلابها كانت تعيش في حالة مالية مؤسفة بسبب جشع الخميني في تكديس الاموال في البنوك وعدم صرفها عليهم وكلما حاول زعماء الحوزة الكبار أمثال الامام السيد كاظم شريعة مدارى وكلبا يكانى والمرعشى أن يحسنوا الوضع المالى للطلبة رفض الخميني ذلك ووقف ضد الاصلاح المالى بأصرار وعناد، قائلا أن الله قد جعل العلم في الجوع وطالب الدين في الحوزة الدينية في قم يتقاضى ما يعادل مائة دولار شهريا فقط حتى اذا كانت في عنقه عائلة تتجاوز أفرادها العشرة أو العشرين. كان يجرى هذا الظلم الفادح على كل الحوزات الدينية في ايران وطلابها يأتون من أذى الفقر والجوع لأن الخميني لا يريد الرفاهية لهم وهو يملك مئات الملايين التي كدسها في البنوك بأسمه وهذه الاموال أعطيت له كي يعطيها الى الذين حرمهم منها، وهكذا كان أمام الأمة يخون أموال الأمة.

الخميني كان شيوعى الهوى

قد يستغرب بعض الناس من هذا الوصف فالامام الخوميني رجل دين يستمد سطوته من الاعتقاد بعصمة الامام ، والشيعوية نزعة الحادية وكفر صميم ، لكن السجل الدموي للرجل يشير الى هوى وتعلق كبيرين بالشيعوية.

والعجيب الغريب أن يكون رائد هذا الوصف إمام مجتهد مثل الدكتور موسى الموسى الذى يرى أنه بغض النظر عن الدوافع الشخصية عند كل من الرجلين ليين والخوميني حيث زعم الأول أن القيصر قتل أخاه ، والثانى أن الشاه قتل ابنه، لكن أوجه العلاقة بين الخميني والشيعوية تتضح من هذه الأبعاد والتي من أهمها:

١- أن الشيوعية اتخذت كلمة الفقراء (بولتراليسم) شعارا للثورة الشيوعية، واتخذ الخميني كلمة المستضعفين شعارا له.

٢- النظام الشيوعى لا يؤمن بالملكية المطلقة، ولذلك صودرت أموال كبار التجار والمعامل والأراضى فى ظل الشيوعية، وخلقت من الأغنياء بقعة فقيرة تضاف الى الفقراء ، والخميني ونظامه صادروا أموال التجار وأراضى الناس والمعامل الكبيرة وأضافوا طبقة فقيرة الى الفقراء وشعارهم أن الاسلام لا يؤمن بالملكية المطلقة بل الملكية المحدودة كما قال كارل ماركس.

٣- النظام الشيوعى كان يعتقد بأن الصحافة والاعلام يجب أن يعبر عن سياسة الحزب ويجب أن تكون فى خدمة النظام الحاكم وتكون بوقا من أبواقه، ونظام الخميني صادر الصحف واستولى على الاعلام واستعمله فى صالح حزبه.

٤- الحزب الشيوعى هو الذى يحكم فى النظام الشيوعى ، ويحكم الحزب الجمهورية الاسلامى ايران بقيادة الخميني.

٥- الشعب ممنوع من السفر الى خارج البلاد فى الانظمة الشيوعية، والسفر - كان ممنوعا على شعب ايران فى نظام الخميني.

٦- الشيوعية تدعو الى الاممية ونبذ القومية، وأول شعار نادى به الخمينى هو الاممية واعتبار القومية كفرا والحادا.

٧- فى الانظمة الشيوعية يؤله الحاكم كما أله ستالين فى روسيا وماوتسى تونج فى الصين وتيتو فى يوغسلافيا وفى النظام الذى أقامه الخومينى اله الخمينى أكثر من أى اله آخر.

٨- فى كثير من الدول الشيوعية تتخذ كلمات الحاكم انجيلا يجب اتباعه ويردها الشعب فى كل مناسبة ومكان، وكلمات الخمينى اعتبرت أنجيلا يردها اتباعه وأعوانه فى كل مكان

٩- النظام الشيوعى هو النظام القائم على القيادة الجماعية فى حكم البلاد على شرط أن يكون القادة من المؤمنين بالماركسية ، ونص الدستور الذى وضعه الخومينى على القيادة الجماعية شريطة أن يكونوا من المؤمنين بالخمينى وشعارهم حب خمينى حسنة لا تضر معها سيئة.

١٠- فى النظام الشيوعى تخضع كل دائرة للجنة شيوعية تنبثق من داخل تلك الدائرة، وفى نظام الخمينى تخضع كل دائرة للجنة خمينية تنبثق من داخل تلك الدائرة.

١١- النظام الشيوعى يتخذ الفلسفة المكيافيلية (النتائج تبرر المقدمات) دعامة للعمل السياسى والنظام الخمينى اتخذ الفلسفة نفسها أساسا للقمع الدموى.

١٢- النظام الشيوعى يرى من واجبه مساعدة الشيوعيين فى الدول الأخرى لاستلام السلطة بأى ثمن ونظام الخمينى يرى من واجبه مساعدة انصار (ولاية الفقيه) فى أى مكان فى العالم لاستلام السلطة.

١٣- النظام الشيوعى قسم الشعب الى البرجوازية والفقراء واستغل هذا التقسيم فى بسط نفوذه والخمينى قسم الشعب الى أهل الشمال والجنوب، أى الاثرياء الفاطنيين فى شمال طهران والفقراء الساكنين فى جنوبها، واستغل هذه التفرقة لبسط سلطانه على الشعب

١٤- النظام الشيوعي يرى التصفية الجسدية لأعدائه ضرورة في بعض الاحيان كما تعرض لها تروتسكى أحد بناء الشيوعية و قادتها عندما كان لاجئاً في المكسيك ، ونظام الخميني اتخذ التصفية الجسدية شعاراً له وهدد به المناوئين.

١٥- في النظام الشيوعي كل حزب مكلف بأدلاء المعلومات عن أعدائه النظام، والخميني سن هذا القانون عندما طلب من كل أبناء الشعب أن يتجسسوا لصالح نظامه ولو على أقرب المقربين.

١٦- قال لينين أعطني مسرحاً أعطيك شعباً، وقال الخميني أعطني الاعلام أعطيك شعباً. وبعد هذه المقارنة، لابد من الاشارة الى عدة حقائق، هل أن تعاون المخابرات الروسية (ك ج ب) مع المخابرات الخمينية وتعليم الحرس الثوري طرق التجسس كان أمراً عفويًا؟ وهل أن مصافحة الخميني للدول الشيوعية واستخدام الخبراء من كوريا الشمالية كان أمراً عفويًا؟

وكيف يمكن تفسير الحرية التي كان يتمتع بها الحزب الشيوعي (تودة) في العمل السياسي والاعلامي في ايران لأول مرة منذ تأسيسها، وفي ظل نظام يدعي أنه جاء لحماية الاسلام. وماذا يعنى سكوت الخميني عن المجازر التي ترتكب بحق المسلمين في أفغانستان على يد المحتلين الروس؟ وما هو معنى هذا الهجوم العنيف ليل نهار على الاستعمار الغربي فقط، وعدم ذكر الاستعمار الشرقي، بل الاصرار بعدم التعرض له؟ وكيف برر الخميني اعطاء المناصب الحساسة في الدولة للشيوعيين، والتعاون مع الحزب الشيوعي لقتل (مجاهدي خلق) ويتوسع الامام المجدد في المذهب الامامي للدكتور موسى الموسوي ويقول ربما أن الكلمات والعبارات لا تغرنى أبداً، بل انظر الى العمل كمقياس حقيقي لتقييم الافراد والجامعات، فلذلك لا أجد صعوبة في رمي الخميني بالشيوعية مع ما عليه من الطيلسان والعمه والرداء، وتكراره اسم الله والاسلام في كل أحاديثه ثم يقول:

فالخميني الذي لم يتورع من الكذب وقتل الابرياء والحرب مع الاخوة المسلمين واغتصاب أموال الناس والسطو على حقوق الشعب والتعاون مع اسرائيل

لضرب المسلمين، وكل هذه القبائح لم تكن تعرف عنه قبل أن يعتلى سدة الحكم بل لم يكن بخلد أى بشر انه سيتوغل فيها حتى قمة رأسه فى يوم ما ، فهل يكون من الصعب عليه أن يخفى آرائه السياسية كما أخفى دهر ا اخلاقه الشيوعية.

وما دمنا بصدد الوقوف على هذه المقارنة بين أوجه التماثل فى بعض ما صنعه يد الخمينى ومقومات الثورة الشيوعية على يد لينين، فلا بد من المقارنة بين ما قاله الخمينى عن الشاه وهو يقود المعارضة ضده وما فعله هو بعد أن وصل الى السلطة وأزاح الشاه من عرشه للتأمل والتدبر والنظر.

• كان الخمينى يندد بالدستور الايرانى ويسخر من البند الذى كان ينص على: ان الملكية وديعة الهية أعطاها الله للملك عن طريق ارادة الشعب التى تجلت فى الاستفتاء العام. والخمينى جعل فى البند العاشر بعد المائة من دستور الجمهورية الاسلامية نصا مماثلا يقول: أن ولاية الفقيه سلطة الهية أعطاها الله للفقيه عن طريق ارادة الشعب التى أقرها فى الاستفتاء العام.

• ندد الخمينى فى خطبه بصلاحيات الشاه كقائد أعلى للقوات المسلحة واقالة الوزراء ونصبهم وتعيين رئيس ديوان التمييز والمدعى العام ولكنه جعل فى البند الحادى عشر بعد المائة من الدستور الجديد هذا النص. أية الله الامام الخمينى هو القائد الاعلى للقوات المسلحة وله الحق فى اقالة الوزراء ونصبهم وتعيين رئيس المحكمة العليا والمدعى العام ورئيس ديوان التمييز وتنفيذ رئاسة الجمهورية بعد أن ينتخب الشعب الرئيس.

• كان الخمينى يندد بالشاه لتدخله فى شئون البلاد الكبيرة والصغيرة وكان يندد بأسرته وحاشيته ويتهممهم بالتلاعب بمقدرات البلاد والعباد واستغلال أموال الشعب وعندما وصل هو الى الحكم سلك الطريق نفسه كما أن أبنه أحمد وزمرته من آل الخمينى يسировن على سيرة أسلافهم من آل بهلوى فى التلاعب بمقدرات الامة واستغلال موارد البلاد وسرقة أموال الشعب. ويعتقد الضالعون بشئون

آل الخميني أن أرصدة أحمد في البنوك السويسرية تتجاوز مئات الملايين من الدولارات.

• كان الخميني يندد في خطبه بالزمرة الحاكمة ويصفها بأنها المحسوبة على النظام وكان يقول أن الشرط الوحيد إبان حكم الشاه لتسلم كرسي الحكم هو الاخلاص والوفاء والطاعة العمياء للشاه أما هو فقد جعل الشرط الأول والأخير لاشغال المناصب الحساسة في جمهوريته الولاء والعبودية لشخصه ولفكرة ولاية الفقيه.

• كان الخميني يسخر ويندد في خطبه بتشكيل الاحزاب الحكومية في عهد الشاه وكان يعتبرها أحزابا غير شرعية كما كان يندد بالانتخابات النيابية ويعتبرها مزورة و الخميني نفسه عندما وصل الى الحكم أمر بطانته بتشكيل الحزب الجمهوري الاسلامي أي الحزب الحاكم فعليا وكما كان الحزب الحاكم في عهد الشاه يزور الانتخابات ويفوز بالاكثريه النيابية زور الحزب الجمهوري الاسلامي الانتخابات وفاز بالاكثريه. فما أشبه الليلة بالبارحة ثم يتوسع الدكتور الموسوي عندما يذكر أمثلة للمقارنة فيقول.

• كان الخميني يندد بالشاه ويتهمة بارسال حلاوزته لآخماد المتظاهرين بالعصر والهرافات أما هو فقد نفسه تجاوز سلفه في هذا المضمار كثيرا حيث أرسل حلاوزته "حزب الله" الى الاجتماعات التي تعقد ضده لآخماد الانفاس كما أن هؤلاء المرتزقة يستعملون الأسلحة النارية في غالب الاحيان كما فعلوا مع المجاهدين وغيرهم وقتلوا سبعين طالبا جامعيا في حرم جامعة طهران.

• كان الخميني يدافع عن الجرائد التي انتقدت سياسة الشاه والتي عطلها هذا الأخير انتقاما منها. وعندما وصل هو الى الحكم عطل العشرات من الجرائد التي كانت تنتقد سياسته بل ذهب الى أبعد من ذلك حيث صادر الصحف الكبيرة مثل جريدة كيهان وجريدة اطلاعات وجعلها بوقا من أبواقه.

• كان الخميني يندد بأسرة الشاه ويتهمهم بتجارة المخدرات وذات يوم اعتقلت الشرطة الألمانية في مطار دوسلدورف صادق الطباطبائي صهر الخميني وهو يحمل حقيبة مليئة بالافيون ولم يستنكر الإمام عليه ما فعله وهكذا يفضح الله المنافقين والذين في قلوبهم مرض ليكونوا عبرة للناس كافة.

• ندد الخميني في كثير من خطبه باعدام المتهمين بتجارة الافيون وكان يقول ان هذه ذريعة اتخذها الشاه لاعداد المناوئين لنظامه كما أنه كان يقول ويؤكد أن الاسلام لا يقر عقوبة الاعداد لتجار المخدرات ولكنه عندما استلم السلطة أعدم أكثر من ألف وأربعمائة رجل بتهمة الاتجار بالمخدرات ولم يكونوا تجار مخدرات.

• كان الخميني يتهم الشاه بالهذيان في الكلام عندما كان يقول أن قوة بلاده أصبحت تخيف الدول القريبة والبعيدة لأنها القوة الرابعة في العالم أو أن اقتصاد ايران سيكون أكثر ازدهاراً من الاقتصاد الياباني في عام ١٩٨٠م وأما الخميني فتارة يزعم أنه ينظم جيشاً قوامه عشرين مليون جندي يحارب به أمريكا وتارة يهدد فرنسا وضرب مصالحها في العالم وتارة يقول أنه تم في ايران بناء مائة ألف مدرسة في عام واحد كما أن العالم سمعه يهدد العراق باحتلال عاصمته في غضون أربع ساعات ولم يستطع أن يفعل ذلك.

• كان الخميني يندد بالمحاكم العسكرية التي تصدر أحكاماً بالاعدام في حق المناوئين لنظام الشاه ومحاكم الخميني الثورية أعدمّت من مناوئى حكمه في ٤ أعوام مئات أضعاف ما فعلت محاكم الشاه في ثلاثين عاماً. وبهذا الفارق أيضاً هو أن المتهمين السياسيين كان يحق لهم الدفاع عن أنفسهم في محاكم الشاه وكان يحق لهم التمييز والاستئناف في الاحكام الصادرة بحقهم أما في محاكم الثورة الاسلامية فلا دفاع ولا استئناف تمييز فقد تم اعدام مائة في مائة دقيقة عن يوم واحد.

• سخر الخميني من الشاه عندما لقبه المجلس الثوري بـ (أريامهر) أى محبوب الشعب الأرى ولكن الامام استبشر مسروراً عندما لقبه أصحابه (أمام الأمة).

• كان بيت القصيد في خطب الخميني ضد الشاه اضطهاد هذا الأخير للأقليات القومية في أنحاء البلاد وعدم الاستجابة لمطالبهم المشروعة والخميني بعد استلام السلطة قتل وأباد من القوميات الإيرانية المختلفة في شرق البلاد وغربها عشرات الآلاف

• كان الخميني يسخر من الشاه عندما كان يدعى أنه يأتيه الإلهام من عالم الغيب والملوك وبصفه بالكذاب المخادع وبعد أن تولى هو السلطة بنفسه يبتسم راضياً عن أولئك الذين قالوا فيه ما ادعاه سلفه بل زادوا في ذلك وقالوا إنه فعل ما لم يفعله الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم.

ويبدو أوضح ما يكون الخلل والتناقض في قرارات خميني المذهبية بحيث لا يمكن أن تكون قراراته السياسية أو المذهبية خاضعة للتشريع الإسلامي أو بتأشير من روح الإسلام، أن الخميني في حربه ضد العراق كان يرفض الدعوات المحلية من قبل قيادات الأوطان الإسلامية كما يرفض الدعوات الدولية لأن يجلس أو يجلس أحد من قبله إلى العراقيين لأنهم بزعمه كفار لكنه لا بأس عنه خميني أن يجلس إلى الأمريكيين وأن يتفاوض فقهاؤه في قضية الرهائن وغيرها ولا بأس عنده أيضاً أن يجلس إلى عصابات بيع السلاح الصهيوني ولا أن يتفاوض بالتنسيق والتكامل مع العناصر والقيادات المذهبية التي قتلت من أمة الإسلام ألوف الرجال والنساء والأطفال العزل من السلاح.

إن التحريف والتجاوز المذهبي يبلغ أقصى مداه عند الخميني، ويخرج به حتى عن دائرة الغلو في المذهب الإمامي الذي زعم أنه يبعثه لأنه يمثله حين يسمح لاتباعه أو يملئ عليهم أن يقولوا عند الدخول عليه (يا أرحم الراحمين) وأن يكون شعارهم (اقتران اسم باسم الجلالة) وذلك بأن يقولوا في مؤتمراتهم ومنتدياتهم وعند الدخول عليه (الله أكبر خميني رهبر) أي خميني دليل ومرشد وهاد.

ولا بأس عند الخميني إذا ما ذكر اسم النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يقابلوه بنوع من اللامبالاه وعدم الاهتمام. أما إذا ذكر اسم خميني وخاصة في

حضوره فان الاصوات كانت تملو بالتكبير والتعظيم بشكل يذكر بتأشير التعليم المجوسى القديم الذى كانت الناشئة تتلقنه وهى تتدرب على كيفية تقديم صور الخنوع والخضوع والخشوع لأصنام فارس القدماء ولا غرابة فى ذلك اذا علم المرء أن الخمينى يرى نفسه فوق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضوان الله عليهم أجمعين.

ان خمينى مثل اسلافه القدماء يقول أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل أنه يقول ما هو أكبر من ذلك .. أنه يقول عن هؤلاء الصفوة من أصحاب رسول الله (أنهم غيروا أحكام الله وحلوا حرام الله وظلموا أولاد الرسول وجهلوا قوانين الرب وأحكام الدين) ^(١).

ويتناول الخمينى على كل أمة الاسلام ديننا وتاريخنا حين يدعى لنفسه حق تقويم أصحاب رسول الله والحكم عليهم فيقول (ان كل الخلافات التى حلت بين المسلمين فى جميع أمورهم وشئونهم لم تقع بينهم الا من أثر يوم السقيفة ولو لم يكن ذلك اليوم لم يكن بين المسلمين خلاف فى القوانين السماوية) ^(٢).

ان المطالع لكتاب (كشف الاسرار) للخمينى يصطدم بعناوين وأبواب اشتمل عليها الكتاب تعبر عن قضايا مروق كامل وخروج عما هو معلوم بالتواتر وثابت لدى أمة الاسلام باليقين ستفجعه كلمات للخمينى التى اعتبرها بمثابة كشف الاسرار ومنها (مخالفة أبى بكر النصوص القرآنية) كما سيجد عنوانا لمبحث يقول فيه (مخالفة عمر قرآن الرب).

واذا كان من الجائز اشباعا للحقد عند القدماء من أئمة الغلو الامامى أن يجد الباحث بين كتبهم أبوابا وفصولا تمثلى بمثل هذا الافتراء فان الخمينى ربيب القوى السياسية العالمية وأداة المنظمات السرية كان يجب عليه أن يعقل الامر خاصة وهو ينقل أفكاره للرأى العام العالمى باعتباره مفجرا لثورة يقال عنها اسلامية لكنه

(١) الخمينى - كشف الاسرار - الطبعة الفارسية ص ١١٠.

(٢) المصدر السابق ص ١١٢، ١١٣.

الستحريف والتدليس الذى كان يسعى بغير حياء لتعويق الدعوة الاسلامية وتشويه صورة الاسلام فالكتاب (كشف الاسرار) يطبع ويوزع من قبل الحكومة الايرانية فى عهده خارج ايران وداخلها وهو ينطوى على ذلك العدوان على أصحاب رسول الله وذلك بتجريحهم وسبهم - برأهم الله مما يقول الظالمون - وكتاب (كشف الاسرار) للخمينى بالرغم من أن جانب العدوان والتأثير والتجريم هو السمة الغالبة على معظم قضايا الكتاب الا أنه جاء ترجمة عصرية لما أمثلت به كتب أسلاف الخمينى من أئمة الغلاة وأركان المذهب الذين نعتقد أنه لم يكن فيهم واحد يمث بصلة لآل بيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

"العقائد التى أحيها الخمينى"

أن تطاول الشيعة الإمامية على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصبح لدى رأى العام المسلم من بدهيات المذهب الامامى لكن العجيب الغريب المحير هو تطاولهم على النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - فنظرة سريعة على ما فى كتاب واحد من كتب أكبر أقطابهم يدعى ثقة الاسلام أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى فى كتابه (الاصول من الكافى) ومن الجزء الأول ص ١٩٢ يرى فيه الناظر العجب العجائب فقد تضمن هذا المرجع الموسوعى والذى لا يختلف حول مصنفه وكونه أمام حجة أحد من الشيعة الامامية سواء من القدماء أو المحدثين فقد اشتمل على الأبواب الآتية فى كتاب الحجة:

(باب أن الاثمة هم أركان الأرض) وتطالعنا فيه مثل هذه المفتريات التى تنسب الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - حيث تقول رواية الكلينى التى أنتهى بها الى أبى عبد الله زاعما عليه أنه قال (ما جاء به على - عليه السلام - أخذ به وما نهى عنه أن أنتهى عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولمحمد - صلى الله عليه وسلم - الفضل على جميع من خلق الله - عز وجل - المتعقب عليه فى شئ من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه فى صغيرة أو كبيرة على حد الشراك بالله ، كان أمير

المؤمنين عليه السلام باب الله الذى لا يؤتى الا منه، وسبيله الذى من سلك بغيره هلك وكذلك يجرى لأئمة الهدى واحدا بعد الآخر جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الارض ومن تحت الثرى وكان أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - كثيرا ما يقول: (أنا قسيم الله بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرت لى جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولقد حملت على مثل حملته وهى حمولة الرب وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعى فيكس وادعى فاكسى ويستنطق واستنطق فانطق على حد منطقته ولقد أعطيت خصالا ما سبقنى اليها أحد قبلى. علمت المنايا والبلايا والانساب وفصل الخطاب فلم يفتنى ما سبقنى ولم يعزب عنى ما غاب عنى أبشر باذن الله وأودى عنه)^(١).

وإذا ما تصفحنا أبواب ما كتبه الكلينى فى موسوعته أصولا وفروعا وهو من المتقدمين متوفى سنة ٣٢٨ هـ - لرأينا العجب العجيب ولتأكد لنا أن تطاول وعدوان الغلاة من أهل المذهب على الأحياء والأموات من أصحاب رسول الله بالأمس البعيد لاكتملت صورة الماضى والحاضر فى مقومات المذهبية العرقية التى فجرها واستحدثها خمينى وجعلها متكئا ومستندا لولاية الفقيه.

ان قراءة كتاب الحجة من كتاب (الأصول من الكافى) تطالع القارئ بقضايا عقديّة لا تعبر عن أدنى صلة بالعقيدة الاسلامية مثلما هى تعبير حقيقى عن بقايا العقائد الوثنية فى فارس وغيرها من عقائد شعوب العهد القديم. هذه العقائد التى اعتمدت على الاسطورة والخرافة قبل أن تتلقى الانسانية هدى السماء ووحى الله على الانبياء والمرسلين.

ان كتاب الحجة من كتاب الأصول تبرز فيه هذه الأبواب التى لا يقرها عقل ولا يقبلها دين الاسلام.

(١) الكلينى : الأصول من الكافى - دار الأضواء - بيروت - طبعة سنة ١٩٨٥ ج ١ ص ١٩٦، ١٩٧.

- باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عز وجل - في كتابه^(١).

- باب أن من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الأئمة عليهم السلام^(٢).

- باب أن القرآن يهدي للإمام^(٣).

- باب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة^(٤).

- باب أن الأئمة ورثوا على النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم^(٥).

- باب أن الأئمة - عليهم السلام - يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل - عليهم السلام^(٦).

- باب أن الأئمة - عليهم السلام - يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا بأختيار منهم^(٧).

- باب أن الأئمة - عليهم السلام - يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء - صلوات الله عليهم^(٨).

- باب أن الأمام - عليه السلام - يعرف الأمام الذي يكون من بعده وأن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فيهم عليهم السلام نزلت^(٩).

(١) الكليني : الأصول من الكافي - ج ١ ص ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٦.

(٤) المصدر السابق ص ٢٢١.

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٣.

(٦) المصدر السابق ص ٢٢٥.

(٧) المصدر السابق ص ٢٥٨.

(٨) المصدر السابق ص ٢٦٠.

(٩) المصدر السابق ص ٢٧٦.

(مأثورات عند أئمة الخميني)

فى مسلسل التطاول والمزاعم التى ألصقها الغلاة بالإمامية وأفسدوا مقومات مذهبهم تجئ بين مصادر عقائد الشيعة الإمامية صوراً مضحكة مبكية ومنها أنه لما ولد النبى - صلى الله عليه وسلم - مكث أياماً ليس له لبن فألقاه أبو طالب على شدى نفسه فأنزل الله فيه لبناً فوضع منه أياماً حتى وقع أبو طالب على حليلة السعدية فدفعه اليها لكي ترضعه بدلاً من عمه ^(١). كما روت مصادر القوم واقعه شبيهة بتلك إذ ذكروا أنه لم يرضع الحسين من فاطمة - عليها السلام - ولا من أي أنثى بل كان يأتي به - فى ما زعموا - النبى - صلى الله عليه وسلم - فيضع إبهامه فى فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة .

وجوانب الغلو التى دخلت على العقائد الإمامية خاصة منها ما يتصل بشخصيات أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبدو فيها واضحاً وبشكل بارز أثر الثقافات الهندوسية والفارسية فقد نسبوا إلى باقر بن زين العابدين أنه قال : (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنك تلثم فاطمة وتلتزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك فقال : أن جبريل أتاني بتفاحة من تفاح الجنة فأكلتها فتحولت ماء فى صلبى ثم واقعت خديجة فحملت بفاطمة فأنا أشم بها رائحة الجنة) .

ولما نصبوا هذه الرواية المفتراة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتى وضعها برواية الدس والوضع صاحب (علل الشرائع فى ج ١ ص ١٨٣) كان يسيراً أن يخلطوا حول على وولادته بما يشبه هذا الافتراء فقد أورد محمد ابن الحسن بن على البتال النيسبوري الفارسى و القمى الحافظ الواعظ الذى كان من علماء المائة السادسة صاحب كتاب (روضة الواعظين) والذى يعد من مشايخ بن شهر آشوب ان أبا طالب أتى بطبق من فواكه الجنة ورماه فتناول منه رمانه ونهض فرحاً من ساعة حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماء فى صلبة فجامع فاطمه بنت أسد فحملت بعلى ^(٢) .

(١) الأصول من الكافى - كتاب الحجة ج ١ ص ٤٥٨ .

(٢) أنظر (روضة الواعظين) .

وفى تدعيم هذه الفرية والتى وضعت فى الأصل لكى تكون تمهيداً فى تمرير مقولات الامامية حول الامامة والوصية نسبوا إلى جعفر الصادق أنه عندما سئل : لم لم يبق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولد ؟ قال : لأن الله خلق محمداً نبياً وعلياً - عليه السلام - وصياً فلو كان لرسول الله ولد من بعده لكان أدنى برسول الله من أمير المؤمنين فكانت لا تثبت وصية لأمر المؤمنين عليه السلام^(١).

وفى درب المزاعم والمفتريات نسج القوم هذه القصة التى تقول (أن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقت الحلقة على الصحيفة طنت وقالت: يا على) .

والعجيب والغريب هو ربط الماضى بالحاضر عند الامامية فها هو صاحب (أصل الشيعة وأصولها) وهو من المحدثين المعاصرين يقول (لولا سيف بن ملجم لكان على بن أبى طالب من الخالدين فى الدنيا)^(٢).

ولا يعقل عاقل كيف يمكن لمذهبي يضع من الأباطيل والمفتريات حول أئمة مذهب به بمثل ما يفعل الغلاة من الامامية . أن صاحب أصل الشيعة وأصولها يدعى هذا الزعم الكاذب على أمير المؤمنين على بن أبى طالب لمجرد أنه فيما زعموا وصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكيف نسى أن الله تعالى قد حكم على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - شأن كل جى بالموت وقبل أن يموت أنزل سبحانه فى ذلك على نبيه قرآناً يتلى ويتعبد به فقال تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] وإذا كانت الحكمة بزعم الغلاة أن يبقى الوصى خالداً مخلداً فى الدنيا لبليغ الرسالة والحفاظ على دين الله كما يزعمون فلماذا اذن نفذت فيه إرادة الله وقتله بن ملجم ؟

لكن تأثير الجانب الاسطورى فى عقائد الامامية يفوق الحصر والوصف . ولقد بلغ بالقدماء معتقد التجسيم والتشبيه والتعطيل والذى هو لب العقائد الفارسية

(١) أنظر (روضة الواعظين) .

(٢) محمد الحسين كاشفت الغطاء (أصل الشيعة وأصولها)

درجة من الوضع والدس والأفتراء بحيث نسبوا إلى علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - وبراء الله مما يقول الظالمون - أنه قال (أنا وجه الله وأنا جنب الله وأنا الأول وأنا الآخر وأنا الظاهر وأنا الباطن وأنا وارث الأرض وأنا سبيل الله وبه عزمت عليه) .

ولا أظن أن عاقلاً يقبل أن المراد بقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] أن المراد من الصلوات رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والوسطى أمير المؤمنين .

ولا يقف الغلو عند هذا الحد بل أن هناك من العقائد التي دونها الاثمة الغلاة القدامى ورددتها المحدثون اليوم ما هو أشنع وأقبح ومنها ما نسب للشيخ الصدوق وهو من رجال القرن الرابع الهجرى حيث ولا بقم فى حدود سنة ٣٠٦ هـ ثم هاجر إلى الرى سنة ٣٣٨ هـ وتوفى عام ٣٨١ هجرية وهو صاحب عدد هائل من أمهات المذهب الأمامى يقول فيما نقله عنه الحويزى من أن الرسول لم يرسل إلا لتبليغ ولاية على الناس ولو لم يبلغ ما أمر بتبليغه من ولاية على لحبط عمله - (نعوذ بالله مما يقول الظالمون) .

أن صاحب البرهان فى تفصيل القرآن يروى رواية ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (نعوذ بالله من نقلها) فما أردنا ألا ابراز بعض الجوانب الغير الاسلامية فى عقائد القوم والتدليل والبرهنة على أن عقائد الغلاة منهم وعواطفهم نحو نبي الاسلام محمد - صلى الله عليه وسلم - مقطوعة ومعدومة بل وتقوم من جانبهم على الهوين من قدره - صلى الله عليه وسلم - والتقليل من عظمة نبوته وجليل قدره وسمو مكانته بين أنبياء الله .

ينقل البحرانى عن السيد رضا من كتابه (المناقب الفاخرة فى العترة الطاهرة) عن ابن مسعود أنه قال : خرجت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجدته

راكعاً وساجداً وهو يقول : اللهم بحرمة عبدك على أغفر للعاصيين من أمتي . ولم يكتفوا بذلك بل زادوا في غلوئهم حيث قالوا : أن النبي خلق من نوره السموات والأرض وهو أفضل من السموات والأرض وإن علياً خلق من نوره العرش والكرسى وعلى أجل من العرش والكرسى (١) .

ونسبوا إلى الصدوق في (أماليه) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لما عرج بي إلى السماء ودنوت من ربي حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى قال : يا محمد من تحبه من الخلق . قلت : يا رب : علياً ، قال : التفت يا محمد فالتفت عن يساري فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي مسلسل الافتراء تتوارد في عقائد القوم مضتربات بعضها أكثر غلواً ومروقاً من بعضها الآخر فقد نسب صاحب (كشف الغمة) إلى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - هذا الافتراء عندما سئل - صلى الله عليه وسلم - (بأى لغة خاطبك ربك ليلة المعراج قال خاطبني بلغة علي بن أبي طالب حتى قلت أنت خاطبتني بلغة علي بن أبي طالب حتى قلت أنت خاطبتني أم علي) (٢) .

ولا نود أن نتوسع كثيراً فيما ذكره غلاة المذهب الأمامي من مزاعم ومفتريات حول نبي الاسلام وأهل بيته رضوان الله عليهم - لكنها نماذج أتينا عليها للتدليل على أن مقومات المذهب وجملته عقائده تحمل من التناقضات والكفريات ما لا يقبلها دين الاسلام وكنا نأمل من الإمام الخميني الذي أستطاع أن يركب موجه الثورية والانقلابية وأن يسقط نظاماً ويشكل حكومة ويتولى بالقهر والجبروت أمر البلاد والعباد في ظل مادعا اليه ونادى به وفرضه على كل أمم ومذاهب الشعب الإيراني مما يسمى (بولاية الفقيه) - كنا نأمل أن يكون لهذا الرجل بعض القدرة والشجاعة في مواجهة هذا الباطل التاريخي والغلو العقدي بحيث يقود ثورة تصحيحية مثلما فعل العلامة الدكتور / موسى الموسوي في كتابه (الشيعة والتصحيح) خاصة وأن

(١) راجع (المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة) .

(٢) المرجع السابق .

الخميني قد استطاع أن يلون بعض عقائد الإمامية فيبيحها لقطاع من الشعب المؤمن بها ويحرمها على آخرين ممن يؤمن بها أيضاً كما سبق وأن أشرنا إلى أنه أبطل العمل مؤقتاً بين جمهور الشعب الإيراني بعقيدة (التقية) بينما أبقاها للفقهاء ولو كان الرجل صادق الدعوة فيما يزعمه لكان من أكثر المقدمين على تصحيح باطل وغلو المذهب الإمامي ومفترياته لكنه في جميع ما صرح به وجميع ما دعا إليه يأبى إلا أن يكون إمامياً مغالياً يلتزم التقليد والاتباع حتى ولو اصطدم بأبسط البدعيات وحوصر من أولى الأبواب باسقاط ما في يديه من أباطيل التاريخ وزيف المعتقدات الدخيلة على آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه وسلم .

عقيدة الشيعة في القرآن

عقيدة الشيعة في القرآن، لا بد لمن يتناولها بالعرض أو النقد من أن يرجع إلى أمهات كتب القوم ومراجعهم الأصلية في الحديث والتفسير حتى يكون منصفاً في الحكم، وعادلاً في الاستنتاج، لأنه عليها مدار عقائدهم ومعول خلافاتهم مع الآخرين .

وفي ضوء البحث العلمي والنقد الموضوعي يلزم الباحث المنصف أن يكون ثابتاً عن أئمتهم، في كتب الحديث أو التفسير، وخاصة الكتب القديمة التي روت هذه الروايات بالسند، أو وافق على صحتها أئمة القوم المعصومين على ما يقول به المذهب .

ونحن نلزم أنفسنا في هذه القضية أن لا نورد شيئاً إلا ويكون صادراً من واحد من الأئمة الاثني عشر، ومن كتب الشيعة في عصر الأئمة قاطبة من بكرة أبيهم — ولا استثنى منهم واحداً — كانوا يعتقدون أن القرآن محرف ومغير فيه ، زيد فيه ونقص منه كثير .

وإذا ما بدأنا من كتاب (الكافي) للكليني، الذي قيل فيه من قبل علماء المذهب هو أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمدة عليها، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨هـ (١) .

" هو عندهم أجل الكتب الإسلامية، وأعظم المصنفات الإمامية، والذي لم يعمل للإمامية مثله، قال المولى أمين الاستر آبادي في محكي فوائده : سمعنا عن مشائخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه " (٢) .

(١) " الذريعة إلى تصانيف الشيعة "، لأغا بزرك الطهراني ج ١٧ ص ٢٤٥، نقلاً عن "الشرعية والقرآن"، إحسان إلهي.

(٢) " الكنى والألقاب " للعباس القمي ج ٣ ص ٩٨، ومثله في " مستدرك الرسائل " ج ٣ ص ٥٣٢ .

وأيضاً " الكافي أشرفها وأوثقها، وأتمها وأجمعها لاشتماله في الأصول من بينها ، وخلوه من الفضول وشينها " (١) .

وذكر الخوانساري أن المحدث النيسابوري قال في الكافي :

" ثقة الإسلام، قدوة الإعلام، والبدر التمام، جامع السنن والآثار في حضور سفراء الإمام عليه افضل السلام، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، محيي طريقة أهل البيت على رأس المائة الثالثة، المؤلف لجامع (الكافي) في مدة عشرين سنة، المتوفى قبل الغيبة الكبرى رضي الله عنه في الآخرة والأولى، وكتابه مستغن عن الإطراء، لأنه رضي الله عنه كان بمحضر من نوابه عليه السلام وقد سأله بعض الشيعة من النائية تأليف كتاب (الكافي) لكونه بحضرة من يفاوضه ويذاكره ممن يثق بعلمه، فألف وصنف وشنف، وحكى أنه عرض عليه فقال : كاف لشيعتنا " (٢) .

فما الذي يقوله الكليني في الكافي ؟؟ يروى عن علي بن الحكم عن هشام ابن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : " إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم وآله سبعة عشر ألف آية " (٣) .

والمعروف والثابت بالنقل والتواتر والحفظ أن القرآن ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية، ومعنى كلام الكليني في (الكافي) أن ثلثي القرآن راح على أدراج الرياح، والموجود هو الثلث، ولقد صرح بذلك جعفر بن الباقر كما ذكر الكليني في كافيهِ أيضاً تحت باب " ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام " .

" عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن عبد الله الحجال عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت

(١) " الوافي " ج ١ ص ٦ .

(٢) " روضات الجنات " ج ٦ ص ١١٦ .

(٣) " روضات الجنات " للخوانساري ج ٦ ص ١١٢ .

فذاك إنى أسألك عن مسألة ، ههنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : يا أبا محمد سل عما بدا لك . قال : قلت جعلت فداك عن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب ؟ قال : فقال : يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب قال : قلت : هذا والله العلم قال : فنكت ساعة على الأرض ثم قال : إنه لعلم وما هو بذاك ^(١) .

قال : ثم قال : يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة ؟ قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعة ؟ قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط على يمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إلى فقال : تأذن لي يا أبا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال : فغمزني بيده وقال : حتى أرش هذا - كأنه مغضب - قال : قلت : هذا والله العلم قال : إنه لعلم وليس بذاك .

ثم سكت ساعة، ثم قال : وإن عندنا الجفر وما يدرهم ما الجفر ؟ قال : وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين، علم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال : قلت : إن هذا هو العلم، قال إنه لعلم وليس بذاك .

ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال : قلت : وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال : قلت : هذا والله العلم قال إنه لعلم وما هو بذاك .

ثم سكت ساعة ثم قال : إن عندنا علم ما كان و علم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال : قلت : جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال : إنه لعلم وليس بذاك .

(١) " الكافي " للكليني ج ٢ ص ٦٣٤ كتاب فضل القرآن .

قال: قلت: جعلت فداك فأى شئ العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشئ بعد الشئ، إلى يوم القيامة^(١).

فأى قسم الذي حذف؟ يبينه الكليني أيضاً من إمامه المعصوم محمد الباقر - الإمام الخامس عند القوم - حيث يروى:

"عن أبي علي العشري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن إسحاق ابن عمار عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال:

نزل القرآن أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام"^(٢).

ومثله روى عن علي رضي الله عنه حيث أورد الرواية:

"عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي يحيى، عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن أمثال، وثلث فرائض وأحكام"^(٣).

ومثال لذلك الحذف؟ - يبينه الكليني أيضاً في كافيته:

عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن جعفر بن محمد بن عبيد الله، عن محمد بن عيسى القمي، عن محمد بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم (فنسى) هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وآله"^(٤).

(١) "الأصول من الكافي" ج ١ ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) "الكافي" في الأصول، كتاب فضل القرآن ج ٢ ص ٦٢٨.

(٣) أيضاً ج ٢ ص ٦٢٧.

(٤) أيضاً ج ١ ص ١٦.

وأيضاً " علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن أحمد بن أبي نصر قال: دفع إلى أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال لا تنظر فيه، ففتحه وقرأت فيه " لم يكن الذين كفروا " فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فابعت إلى بالمصحف " (١) .

وأين هذا القرآن الآن ؟

روى الكليني أيضاً عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن. عن عبدالرحمن بن أبي هاشم، عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل على أبي عبدالله عليه السلام وأنا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال عليه السلام وأنا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبدالله عليه السلام. كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حد ما يقولون. وأخرج المصحف الذي كتبه على عليه السلام وقال: أخرجه على عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله، وقد جمعته من اللوحين فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لتقرؤهُ " (٢) .

ومثل هذه الروايات كثيرة في أوثق كتاب من كتب القوم. الذي عرض على الإمام الغائب فأوثقه وجعله كافياً لشيعته، والكليني روى هذا الروايات من أئمة المعصومين وأنهم كانوا يقولون بالتحريف في القرآن الموجود بأيدي الناس. كما كانوا يوعزون إلى شيعتهم أن يعتقدوا بمثل هذا الاعتقاد. ولقد وردت في هذه الروايات الثمانية عقيدة الأربعة من الأئمة — علي بن أبي طالب ، محمد الباقر،

(١) "الكافي" في الأصول، كتاب فضل القرآن ج ٢ ص ٦٣١ .

(٢) أيضاً ج ٢ ص ٦٣٣ .

ابنه جعفر، وأبي الحسن ^(١) وفي الكتاب إثبات لهذه العقيدة من أئمة الآخرين الذين لم نورد رواياتهم للسبب الذي ذكرناه آنفاً، وسوف تأتي في محلها إن شاء الله .

ونذكر بعد هذا كتاباً آخر قديماً، معتمداً عند القوم، وهو الكتاب الذي ألف أيضاً في زمن أئمة الشيعة المعصومين لديهم. ألا وهو تفسير القمي .

فالقمي علي بن إبراهيم هو شيخ مشائخ الشيعة في الحديث وفي التفسير، حيث أن محمد بن يعقوب الكليني صاحب أهم كتاب من الصحاح الأربعة الشيعية أكثر الرواية عنه في كتابه (الكافي) فهو تلميذه، وقال عنه النجاشي: ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتباً، وله كتاب التفسير " ^(٢) .

و" هو من أجل رواة أصحابنا، ويروي عنه مشائخ أهل الحديث، ولم نقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان حياً في سنة ٣٠٧ هـ " ^(٣) .

و" كان في عصر أبي الحسن محمد الإمام العسكري عليه السلام " ^(٤) .

هذا وكتبوا عن تفسيره :

أولاً : إن هذا التفسير أصل أصول للتفسير الكثيرة .

ثانياً : إن رواياته مروية عن الصادقين عليهما السلام مع قلة الوسائط والإسناد ولهذا قال في الذريعة : إنه في الحقيقة تفسير الصادقين عليهما السلام .

ثالثاً : مؤلفه كان في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

(١) كل هذه الروايات خرافات وأباطيل، لا صحة لها مطلقاً وبتاتاً لأن هؤلاء الأجلة مبرزون عما يتهمهم هؤلاء الأفاكون الكذابون، واعتقادهم في القرآن اعتقاد جميع المسلمين - وهم قادتهم وقوتهم - أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .
وضمن الله حفظه بقوله : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " .

(٢) " رجال النجاشي " ص ١٨٣ .

(٣) " الكنى والألقاب " ج ٣ ص ٦٨ .

(٤) " الذريعة " لأغا بزرك الطهراني ج ٤ ص ٣٠٢ .

رابعاً : أبوه الذي روى هذه الأخبار لابنه كان صحابياً للإمام الرضا عليه السلام .

خامساً : إن فيه علماً جماً من فضائل أهل البيت عليهم السلام التي سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن الكريم .

سادساً : إنه متكفل لبيان كثير من الآيات القرآنية التي لم يفهم مرادها تماماً إلا بمعونة إرشاد أهل البيت عليهم السلام التاليين للقرآن " (١) .

فذاك القمى يذكر في مقدمة تفسيره :

" فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ، ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه عام ومنه خاص، ومنه تقديم ومنه تأخير. ومنه منقطع ومنه معطوف، ومنه حرف مكان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله " (٢) .

الخميني والمذهب والقول بتحريف القرآن الكريم :

أن العقل الإسلامي في جميع بقاع الأرض كان يتمنى ولا يزال أن يعرف من حكومة الفقهاء التي كان يرأسها الإمام الفقيه آية قاطعاً في ما جاء في كتاب (الكافي للكليني ج ٢ ومن ص ٦٣٤) فيما أدعاه الكليني على علي بن الحكم بن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أن القرآن الذي جاء به جبرائيل - عليه السلام - إلى محمد - عليه الصلاة والسلام - سبعة عشر ألف آية (٣) .

وتعرف أمة الإسلام على امتداد قارات الدنيا أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم ومنذ تركه رسول الله في الناس ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية ومعنى هذا الكلام الذي رواه الكليني أن ثلثي القرآن ضاع وراح أدراج الرياح والموجود هو الثلث فقط فما رأى حكومة الفقهاء وأئمة المذهب ؟ خاصة وأن عدداً كبيراً من

(١) " مقدمة تفسير القمى " للسيد طيب موسوي الجزائري ص ١٥ .

(٢) " تفسير القمى " ج ١ ص ٥ .

(٣) الكليني (الكافي) ج ٢/٦٣٤ .

فقهاهم مثل جعفر ابن الباقر - كما ذكر الكليني - قال بذلك تحت ما ذكره الكليني (باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة - عليها السلام) كما أنه لم يشفع في رد هذه الدعوى النشرة التي توزع بمعرفة اللجان الشيعية في بعض البلاد لكاتب مجهول مغمور حول ما أسموه (أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة)^(١).

كما أننا كنا نتمنى أن نسأل الإمام الخميني سؤالاً محدد المعالم على أمل اجابة قاطعة منه أو ممن يخلفه تحدد موقف صاحب ولاية الفقيه والذي كان يريد تصدير ما يؤمن به من عقائد إلى بلاد أمم الإسلام : ما رأيه فيما كتبه محدث الشيعة النورسي و الطبرسي وخاصة ما جاء في القسم الأخير من كتاب (فصل الخطأ في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) ؟ وما رأيه فيما ألفه المدعو ثقة الإسلام الكليني في آخر كتاب (فضل القرآن) من الكافي الذي أشرنا إليه سابقاً والمولى محمد صالح في (شرح الكافي) عن كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي ادعى فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه ويؤلفه فلم يخرج من بيته حتى جمعه كله وكتب على تنزيله الناسخ والمنسوخ منه والمحكم والمنشابه والوعد والوعيد وكان ثمانية عشر ألف آية؟ عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله وآله - عشرة آلاف آية . فأى الروايتين أصح عند الإمام الخميني . وما رأى الإمام الخميني فيما نسب إلى الصادق جعفر من أنه قال : لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا مسمين .

ومرة ثانية نود أن يوضح علماء الشيعة في موقف جماعي محدد لا يلجأون فيه الى الأساليب الأفعوانية في توجيه النصوص وتأويل الدلالات بحيث يضيع

(١) وقغت في أيدينا نسخة من هذا الكتيب في أحد المعارض الدولية للكتب وأضيفت إلى قائمة الكتب التي اشتريناها من الجناح المخصص لكتب الشيعة في هذا المعرض دون أن تكون مما طلبناه وبالأطلاع عليه تبين لنا أنه كتاب يقدم دعوى بغير دليل ولا يخاطب الا من يجهل حقيقة المذهب الامامي وقواعده .

المعنى ويختفى الحكم حول الكتاب الذى أشرنا إليه للشيخ المحدث الحاج المرزة حسين النورى المتولد فى الثامن عشر من شهر شوال من سنة أربع وخمسين بعد المائتين والألف هجرية والمدفون فى إيوان حجرة بانو عظمى بنت سلطان الناصر لدين الله وهو إيوان الحجرة الثالثة القبلىة عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف المرتضوى من الباب الموسوم بباب القبلة صاحب كتاب (فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) الذى ترجمه بعض النصارى إلى لغاتهم ونشروه ، وبداية الكتاب فى المقدمة الأولى خصصها المؤلف فى ذكر الأخبار التى وردت فى جمع القرآن وسبب جمعه وكونه فى معرض النقص بالنظر إلى كيفية الجمع وأن تأليفه يخالف تأليف المؤمنين .

والمقدمة الثانية كتبها فى بيان أقسام التغيير الممكن حصوله فى القرآن والممتنع دخوله فيه والمقدمة الثالثة فى ذكر أقوال العلماء فى تغيير القرآن وعدمه .

وعبر مقدمات وأقسام الكتاب يقول أنه كان لأمر المؤمنين - عليه السلام قرآنا مخصوصاً يخالف الموجود فى الترتيب وفيه زيادة ليست من الأحاديث القدسية ولا من القرآن الموجود وادعى أن ابن عفان (رضى الله تعالى عنه) لما جمع القرآن أسقط بعض الكلمات والآيات وأن المصحف الموجود غير مشتمل لتمام ما فى مصحف (أبى) المعتبر عند الشيعة ونود أن نعرف وتعرف أمه الإسلام معنا ما أدعاه أئمة الغلو فى الرواية التى ساقها صاحب (فصل الخطاب) عن على بن النعمان عن أبيه عن عبدالله ابن مسكان عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال : (لولا أنه زيد فى القرآن ونقص ما خفى حقنا على ذى حجب ، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن . هذا وللقول المفترى من الغلاة حول القرآن الكريم ما لا يتسع له المقام فالموضوع فى منطلقاته وغاياته ينحصر فى التوجيه والتأثير الفارسى الذى كان وليد الاحتكاكات الإسلامية فى عصور المد والانكماش وكان الهدف أن يتعرض كتاب الله لمثل ما تعرضت له كتب اليهود والنصارى فى الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد على السواء .. وأود أن أنبه إلى أن المحاولات

العصرية التي يحاول بها بعض الباحثين من أن يوهموا الناس بأن القول بتحريف القرآن الكريم لا يمثل اعتقاداً جوهرياً عند الإمامية تعتبر تجاوزات غير مقبولة من فقهاء الإمامية ذلك لأن التراث العقدي للإمامية في هذا الموضوع يفيض بعشرات الأمثلة لمعتقدهم في تحريف القرآن ومن العلماء المتأخرين الذين أرادوا تغطية مقولة الشيعة بتحريف القرآن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه "أصل الشيعة وأصولها" والذي يقول فيه أن ما يعتقده الشيعة هو أن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزل للاعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام ولتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا اجماعهم وما ذهب منهم أو من غيرهم من فرق الغلاة إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والأخبار الواردة من طرقنا وطرقهم الظاهرة في نقضه أو نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً فأمّا أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الحائط وهذا الكلام الذي يقول شيعة معاصر لا يمثل رأى الإمامية ومن يقوله من الإمامية لا يقبله الفقهاء والأئمة منهم لأن عشرات بل ومئات النصوص في أكثر كتب المذاهب تؤكد اعتقادهم بتحريف القرآن ونقصه وتدعى أن القرآن الكامل لما يحتفظ به المهدي ولن يظهر إلا بظهوره وفي هذا يقول الكليني في كتابه (الكافي) عن أبي عبد الله قال : أن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية ويعلق العلامة الشيخ أحسان الهى ظهير - رحمة الله - على هذا الزعم - فيقول : المعروف أن آيات القرآن تتجاوز ستة آلاف بقليل وقد ذكر المفسر الشيعي أبو على الطبرسي في تفسيره عند الكلام عن سورة الدهر بجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومئتي آية وثلاثة وستون آية ومعنى هذا أن الشيعة عندهم أكثر من ثلثي القرآن وروى (الكليني) في (الكافي) خبراً طويلاً عن جعفر الصادق تكلم فيه عن الجامعة والجفر ثم قال : وأن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال : قلت : وما مصحف فاطمة قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ويقول محب الدين الخطيب رحمه الله في

كتابه (الخطوط العريضة) معلقاً، أن ميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى وهو من أجل علماء الشيعة عندهم ألف سنة ١٩٢٢م كتاباً أسماه (فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) - وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا لا يريدون أن يبقى التشكيك فى صحة القرآن محصوراً بين ذلك كله فى كتاب واحد تطبع منه الوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات وخالفهم فيها مؤلفه وألف كتاباً آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) "وقد كتب هذا الدفاع فى آخر حياته قبل موته بنحو سنتين أكرمه الشيعة غاية التكريم عن هذا المجهود فى اثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه فى ذلك المكان المقدس عندهم من بناء المشهد العلوى فى النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام علي، ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب: ومما استشهد به النورى الطبرسى على وقوع النقص من القرآن إيرادُه فى الصفحة رقم ١٨٠ من كتابه صورة تسميها الشيعة سورة (الولاية) مذكور فيها ولاية على وهى (يا أيها الذين آمنوا بالنبى والولى الذين بعثناهم بهدايتكم إلى الصراط المستقيم) وقد أطلع الثقة المؤمنون الأستاذ محمد على سعود الذى كان كان كبير خبراء وزارة العدل فى مصر ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق (برابن) فنقل منه هذه السورة بالفوتوغراف وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الإيرانية وقد أثبتتها النورى الطبرسى فى كتابه "فصل الخطاب"، فأنها ثابتة أيضاً فى كتابهم (دبستان مذاهب) باللغة فإنها الإيرانية لمؤلفة "محسن فانى الكشميري" وهو مطبوع فى إيران طبعات متعددة ونقل عنه هذه السورة المذكورة على الله المستشرق (نولدكه) فى كتابه (تاريخ المصاحف) ج ٢ ص ١٠٢ ونشرتها الآسيوية الفرنسية عام ١٨٤٢م . فقد رد الصافى على الأستاذ محب الدين الخطيب فى كتابه (مع الخطيب) قائلاً فانظر ما فى كلامه من هذا الكذب الفاحش والافتراء البين ليس فى فصل الخطاب ولا فى صفحة ١٨٠ ولا فى غيره من أول الكتاب إلى آخره ذكره ذكر من هذه السورة المكذوبة على الله .. وقد نقل الأستاذ إحسان الهى ظهير نص كلام الطبرسى فى كتابه حيث يقول : (ونقصان السورة وهو جائز

كسورة الحسد وسورة الخلع وسورة الولاية وعندما خصص الشيخ احسان الهى
ظهير لهذا الموضوع كتاباً واسعاً أسماه (الشيعية والقرآن) أورد فيه من المصادر
الامامية الفارسية والعربية عشرات بل مئات من أمثلة التحريف فى عقيدة القوم لم
يستطع عالم إمامى واحد أن يجرؤ على القول بعدم صحة ما أورد الشيخ (أحسان
الهى ظهير) الذى تبغضه الإمامية أشد البغض هذا وقد ذكر الأستاذان محب الدين
الخطيب والشيخ احسان أمثلة عديدة لآيات من كتاب الله زاد فيها الشيعة عبارات
زعموا أنها كانت فيه مثل ما نقله الاستاذ الخطيب من زعمهم أنه سقطت من سورة
(الم نشرح) آية (وجعلنا علياً صهرك) وفى التدليل على ما ذهب اليه الغلاة من
الامامية من اعتقاد التحريف يطالعنا المؤرخ الثقة عندهم وهو الطبرسى فى كتابه
"الاحتجاج" ، فيشرح كيف تم اعتقاد تحريف القرآن عند الرافضة فيقول "أنه لما
توفى رسول الله جمع القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار فلما اتجه أبو بكر
خرج فى أول صفحة فضائح القوم " أى الصحابة فوثب عمر وقال يا على ارده
فلا حاجة لنا فأخذه على وانصرف ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن فقال
له عمر ان علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن
نؤلف القرآن وتسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك فجاءه به زيد إلى ذاك ثم
قال فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتهم وأظهر على القرآن الذى ألفه أليس قد
بطل كل ما عملت قال عمر فما الحيلة قال زيد أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر ما حيلة
دون أن نقتله ونستريح منه فدبر فى قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك
فلما استخلف عمر سأل علياً أن يرفع اليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فقال عمر يا
أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذى كنت جئت به إلى أبى بكر حتى نجتمع عليه فقال
هيهات ليس إلى ذاك سبيل إنما جئت به لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة
إننا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئنا به إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا
المطهرون والأوصياء من ولدى فقال عمر فهل وقت لإظهاره معلوم. فقال عليه
السلام : نعم إذا قام القائم من ولدى يظهره ويحمل الناس عليه وذكر كمال الدين
ميسم البحرانى فى شرح (نهج البلاغة) مطاعن الرافضة على عثمان بن عفان
رضى الله عنه ومنها : (أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق

المصاحف وأبطل ما شك أنه ليس من القرآن المنزل وروى الكليني عن جابر السعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كما أنزل الا كذاب وما جمعه وحفظه كما أنزل الا على بن ابي طالب والأئمة من بعده . فالشيعة الإمامية على أن القرآن قد حرف على أيدي أصحاب رسول الله وأن الذي تولى حفظه على بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه محفوظ عند المهدي ولن يظهر الا بظهوره . يقول الكليني في الكافي "قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا اسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقره الناس فقال أبو عبد الله : كيف عن هذه القراءة وقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فاذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف .

ما الذي يراه المحدثون في القرآن الكريم

من أخطر ما تعرض له المعاصرون من علماء وفقهاء الإمامية هو ما توارثوه من عقائد غلاة أسلافهم محدد المبادئ مستقر الدعائم عبر أجيال طويلة من عمر الوجود الوضاعين والرواة وكتاب العقائد الإمامية منذ عصر الغيبة الكبرى الذي يقولون به، وهو مقولتهم المزعومة في أن كتاب الله تعالى تعرض للحذف والإضافة وعلى يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ولما كان مثل هذا المعتقد الكفري يمكن أن يحدث للمتأخرين نفوراً واشمئزازاً من قبل الرأي العالمي المسلم ناهيك عن سقوط دعوتهم التي رغبوا في تصديرها للعالم بأسم الثورية فإن حكومة الفقهاء في ظل المذهبية في توجه الخوميني وبعث دعوات الغلو تتحفظ تجاهه كثيراً .

والمهم في هذا الموضوع هو طرح هذا السؤال هل الإمام الخوميني مؤسس دولة المذهب المعاصرة كان ممن يقول بأن القرآن الكريم تعرض للحذف والإضافة. أي أن الرجل يعتقد بتحريف القرآن الكريم. وفي ضوء هذا السؤال تتوارد أسئلة عديدة.

وبإدنى ذي بدء فإننا نوجه هذه الأسئلة إلى من يقومون على تفسير وتحليل وتقديم عقيدة ومنهج الإمام الخوميني ومن أولها : ما رأى علماء الإمامية الكبار

منهم فى جملة الأحاديث التى يرى أهل السنة أنها مفتراة ومدسوسة والتى بلغت عند أئمة المذهب أكثر من ألفى حديث كما يقول العالم الحجة عند جميع الإمامية (نعمة الله الجزائرى) هل يرون مع أهل السنة أنها مفتراة ومدسوسة ومن ثم فإن جميع ما صدر عن القائلين بها يعتبر مرفوضاً وغير مقبول وعند المسلمين نقيض عقدى لما يؤمنون به .

وإذا كان يرى ذاك فلماذا كل عمليات النشر والتوزيع لمثل هذا التراث الإمامى ولماذا يخرج للناس بغير تعليق أو نقد أو توجيه وما رأى فيما يقوله الشيخ "المفيد" فى كتابه "أوائل المقالات" وهو يتناول على أصحاب رسول الله ويقول عنهم مقالات كفرية خاصة ما جاء بشأن القرآن الكريم حين يقول عنه : (واتفقوا أى الإمامية - على أن أئمة الضلال خالفوا فى كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية^(١)).

وهؤلاء الاثمة من على شاكلة "المفيد" والطبرسى ، والحرملى والشافى وغيرهم محترمون ومقدمون بل ومقدسون عند القدماء والمحدثين وجماعه المذهب ولا يزال السؤال قائماً : هل كان الخومينى ممن يقول بتحريف القرآن الكريم كشأن أئمة الشيعة الروافض .

وفى تقديرنا أن الخومينى الذى يستقى من بين مصادره أحاديث من كتاب "مستدرك الوسائل" ويترحم على صاحبة ويثنى عليه . وهو صاحب الفتنة فى القرون المتأخرة حين كتب الكتاب الخبيث" فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب "كما أنه يعتمد كثيراً على "الكلىنى" صاحب كتاب "الكافى" الذى سبق لنا وأن تعرضنا له فى الصفحات السابقة ، لا بد وأنه يعتقد بمثل ما تقوله هذه المصادر .

(١) الخومينى (تحرير الوسيلة ٨ ج ١ / ١٤٩ بيروت عام ١٩٨٧ بإشراف سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

لكن الدعوى التى نقيمها على الرجل وهو فى ذمه الله قد تكون لا تزال بحاجة إلى دليل ونحن هنا نثبت ما ورد فى كتاب الخومينى (تحرير الوسيلة ج ١ ص ١٣٩ الكلام على المسألة رقم ١٧ والتى عنوانها "يكره تعطيل المسجد - وقد ورد أنه أحد الثلاثة الذين يشكون إلى الله عز وجل يوم القيامة () .

وبالرجوع إلى أحد مصادر الشيعة المعتمدة وهو كتاب "الخصال" لابن بابويه القمى المسمى عندهم "بالصدوق" وجدنا أن هذا النص ورد بلفظين أحدهما :

"يجئ يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل . المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف يا رب حرفونى ومزقونى " (١) .

وفى هذا النص إشارة صريحة لاعتقاد الشيعة تحريف القرآن والنص الآخر "ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل ، مسجد خراب لا يصلى فيه أهله وعالم بين جهال ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه" (٢) .

ومن الواضح أن الخومينى أورد النص الأخير، ولم يشر إلى الرواية الأخرى. وهنا يظهر المراد من قوله (ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه "أنه بالقطع يشير به إلى معتقد الإمامية فى المصحف الكامل الغائب عند الأمام الغائب فإذا ما أضفنا هذا الدليل إلى عقيدة الخومينى فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة الخلفاء الثلاثة من بعده أدركنا أن الإمامية المعاصرة التى بعثها خومينى ممن يقولون بتحريف القرآن الكريم . لكن دعوات الاستنكار والتصحيح التى قام بها مؤخراً علماء إمامية تدعو للأمل فى تصحيح عقائد الغلاة .

(١) ابن بابويه - (الخصال) ج ١ / ١٧٤-١٧٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢ .

براهين على قول الامامية بتحريف القرآن الكريم :

وللتدليل والبرهنة على أن معتقد الشيعة في القرآن الكريم يخالف عقيدة المسلمين نورد هذه الأمثلة :

والتي منها على ضوء ما ذكره الجزائري في كتابة الأنوار النعمانية ٣٥٧/٢ ، ٣٥٨ : من " إن تسليم تواترها (القراءات السبع) عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الداله بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاما و مادة و إعرابا ، مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم قد أطبقوا على صحتها و التصديق بها ^(١) . نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق و الشيخ الطبرسي و حكموا بأن ما بين دفتي المصحف هو القرآن المنزل لا غير و لم يقع فيه تحريف و لا تبديل " .

" والظاهر أن هذا القول ^(٢) إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها سد باب الطعن عليها [انه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده و أحكامه مع جواز لحوق التحريف لها ^(٣)] " .

ويمضي نعمة الله الجزائري فيقرر أن أيادي الصحابة امتدت إلى القرآن وحرفته وحذفت منه الآيات التي تدل على فضل الأئمة فيقول ٩٧/١ : " ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوعة ^(٤) " فإنهم بعد النبي ﷺ قد غيروا و بدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين وإظهار مساوئهم كما سيأتي بيانه في نور القرآن ^(٥) .

(١) يقصد صحة و تصديق الرويات التي تذكر بأن القرآن تحرف .

(٢) أي انكار التحريف .

(٣) وهذا الكلام الصادر عن إمام كالجزائري يعني أن تحولهم أي المنكرين للتحريف ليس عن عقيدة بل لأجل مصالح أخرى .

(٤) يقصد الأحاديث التي تروى مناقب و فضائل الصحابة رضوان عليهم جميعا .

(٥) ونور القرآن هذا فصل في كتابه الأنوار النعمانية .

ويعزف الجزائري على النغمة المشهورة عند الشيعة بأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا على رضوان الله عليه و أن القرآن الصحيح عند المهدي وأن الصحابة ما صحبوا النبي ﷺ، إلا لتغيير دينه وتحريف القرآن فيقول ٣٦٠/٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ :

" قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين عليه السلام بوصية من النبي ﷺ ، فبقى بعد موته ستة أشهر مشغلا بجمعه ، فلما جمعه كما أنزل أتى به على المتخلفين بعد سول الله ﷺ قال لهم : هذا كتاب الله كما أنزل فقال له عمر بن الخطاب : لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك ، عندنا قرآن كتبه عثمان قد كان من كتاب الوحي لمصلحة رآها ﷺ وهي أن لا يكذبوه في أمر القرآن بأن يقولوا إنه مفترى أو انه لم ينزل به الروح الأمين كما قاله أسلافهم، بل قالوه أيضا، وكذلك جعل معاوية من الكتاب قبل موته بستة أشهر لمثل هذه المصلحة أيضا وعثمان وأضرابه ما كانوا يحضرون إلا في المسجد مع جماعه الناس فما يكتبون إلا ما نزل به جبرائيل عليه السلام. أما الذي كان يأتي به داخل بيته فلم يكن يكتبه إلا أمير المؤمنين عليه السلام لأن له المحرمية دخولا و خروجا فكان ينفرد بكتابة مثل هذا و هذا القرآن الموجود الآن في أيدي الناس هو خط عثمان، سموه الإمام وأحرقوا ما سواه أو أخفوه، وبعثوا به زمن تخلفه إلى الأقطار والأمصار ومن ثم ترى قواعد خطه تخالف العربية".

وقد أرسل عمر بن الخطاب زمن تخلفه إلى علي عليه السلام بأن يبعث له القرآن الأصلي الذي هو ألفه و كان عليه السلام يعلم أنه طلبه لأجل أن يحرقه كقران ابن مسعود أو يخفيه عنده حتى يقول الناس : إن القرآن هو هذا الكتاب الذي كتبه عثمان لا غير فلم يبعث به إليه وهو الآن موجود عند مولانا المهدي عليه السلام مع الكتب السماوية و موارد الأنبياء و لما جلس أمير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن و إخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعه على من سبقه كما لم يقدر على النهي عن صلاة الضحى ، وكما لم يقدر على إجراء المتعتين متعة الحج و متعة النساء. وقد بقى القرآن الذي كتبه عثمان حتى وقع إلى أيدي القراء فتصرفوا فيه بالمد والإدغام والتقاء الساكنين مثل ما

تصرف فيه عثمان وأصحابه وقد تصرفوا في بعض الآيات تصرفا نفرت الطباع منه وحكم العقل بأنه ما نزل هكذا .

وأما الفيض الكاشاني (المتوفى ١٠٩١ هـ) : وهو من كبار علمائهم فقد صرح بالتحريف وهو صاحب التفسير العمدة عندهم " تفسير الصافي "

قال في مقدمة تفسيره معللا تسمية كتابه بهذا الاسم " و بالحرى أن يسمى هذا التفسير بالصافي لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمحير ^(١) " .

وقد مهد لكتابه هذا باثنتي عشرة مقدمة ، خصص المقدمة السادسة لإثبات تحريف القرآن و عنوان لهذه المقدمة بقوله (المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن ، و تحريفه وزيادته ونقصه ، وتأويل ذلك ^(٢)) .

وبعد أن ذكر الروايات التي استدل بها على تحريف القرآن، والتي نقلها من أوثق المصادر المعتمدة عندهم ، خرج بالنتيجة التالية فقال : " والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو غير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم على عليه السلام، في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول صلى الله عليه وآله وسلم ^(٣) " . ثم ذكر بعد ذلك هذا أن القول بالتحريف اعتقاد كبار المشايخ الإمامية وفي ذلك يقول : " وأما اعتقاد مشايخنا رضي الله عنهم في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، و لم يتعرض لقدح

(١) انظر تفسير الصافي - منشورات مكتبة الصدر طهران - إيران ج ١ - ١٣

(٢) نفس المصدر صفحة ٤٠

(٣) نفس المصدر ٤٩/١

فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه على بن إبراهيم القمي - رضي الله عنه - فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رضي الله عنه فإن أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الإحتجاج " و كذلك من إئمه الشيعة المعتبرين الذين يقولون بتحريف القرآن الإمام أبو منصور أحمد بن منصور الطبرسي (المتوفى سنة ٦٢٠هـ):

فقد روى في الإحتجاج عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : " لما توفي رسول الله ﷺ ، جمع على عليه السلام القرآن وجاء به الى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر و قال : يا على ارده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه عليه السلام و انصرف ، ثم احضروا زيد بن ثابت - و كان قارئاً للقرآن - فقال له عمر : إن عليا جاء بالقرآن و فيه فضائح المهاجرين و الأنصار ، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ، و نسقط منه ما كان فضيحة و هتكا للمهاجرين والأنصار . فأجابه زيد إلى ذلك ... فلما استخلف عمر سأل عليا أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم "

ويُزعم الطبرسي أن الله تعالى عندما ذكر قصص الجرائم في القرآن صرح بأسماء مرتكبيها لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء ، فبقيت القصص مكنة. يقول : "إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائم العظيمة من المنافقين في القرآن، ليست من فعله تعالى، وإنما من فعل المغيرين و المبدلين الذين جعلوا القرآن عضيئاً، واعتاضوا الدنيا من الدين^(١)."

ولم يكتف الطبرسي بتحريف ألفاظ القرآن ، بل أخذ يؤول معانيه تبعاً لهوى نفسه، فزعم أن في القرآن الكريم رموزاً فيها فضائح المنافقين، وهذه الرموز لا يعلم معانيها إلا الأئمة من آل البيت، ولو علمها الصحابة لأسقطوها مع ما أسقطوا منه^(٢).

(١) تفسير الصافي ج ١ / ٥٢

(٢) الإحتجاج للطبرسي - منشورات الأعلى - بيروت ج ١ ص ١٥٥

هذه هي عقيدة الطبرسي في القرآن ، وما أظهره لا يعد شيئاً مما أخفاه في نفسه، وذلك تمسكاً بمبدأ (التقية) يقول : " لو شرحت لك كلما أسقط و حرف بدل مما جرى هذا المجرى لطل ، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ، ومثالب الأعداء ^(١) " .

ويقول في موضع آخر محذراً الشيعة من الإفصاح عن " التقيه " و ليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين . و لا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب ، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل ، و الكفر ، والملل المنحرفة عن قبلتنا ، و إبطال هذا العلم الظاهر ، الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الائتمار لهم و الرضا بهم ، و لأن أهل الباطل في القديم و الحديث أكثر عدداً من أهل الحق ^(٢) " وكذلك من الأئمة الذين يعتبرون من الثقات عن الشيعة ومراجع و آيات الإمام محمد باقر المجلسي الذي يرى أن أخبار التحريف متواترة ولا سبيل إلى أنكارها وروايات التحريف تسقط أخبار الإمامة المتواترة على حد زعمهم فيقول في كتابه " مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول " الجزء الثاني عشر ص ٥٢٥ في معرض شرحه حديث هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية قال عن هذا الحديث : " موثق ، وفي بض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن سالم ، فالخبر صحيح . ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن و تغييره وعندى أن الأخبار في هذا الباب متواترة معني ، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً ، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر ؟ " أي كيف يثبتون الإمامة إذا طرحوا أخبار التحريف ؟ وأيضا يستبعد المجلسي أن تكون الآيات الزائدة تفسيراً .

(١) الاجتجاج للطبراسي - منشورات الأعلى - بيروت ج ١ ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر السابق .

وأيضاً بوب في كتابه: "بحار الأنوار" باباً بعنوان "باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله" وعلى الدرب نفسه يعد الشيخ محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد والذي يعد من مؤسسي المذهب - فقد نقل إجماعهم على التحريف ومخالفتهم لسائر الأمة الإسلامية في هذه العقيدة .

قال في (أوائل المقالات) : " واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثيره من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف، واتفقوا على إطلاق لفظ : " البداء " في وصف الله تعالى ، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس، واتفقوا على أن أئمة^(١) الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واجمعت المعتزلة والخوارج، والزيدية والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عدناه^(٢) ."

وقال أيضاً : ان الاخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه الظالمين فيه من الحذف و النقصان^(٣) .

وقال أيضاً^(٤) حين سئل في كتابه " المسائل السروية " ما قولك في القرآن . أهو ما بين الدفتين الذي في أيدي الناس أم هل ضاع ما أنزل الله على نبيه ﷺ منه شيء أم لا وهل هو ما جمعه أمير المؤمنين (ع) أم ما جمعه عثمان على ما يذكره المخالفون .

وأجاب : إن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى و تنزيله وليس فيه شيء من كلام البشر وهو جمهور المنزل و الباقي مما أنزله الله تعالى قرآنا عند المستحفظ للشرعية المستودع للأحكام لم يضع منه شيء وإن كان الذي جمعه ما بين

(١) يقصد الصحابة .

(٢) أوائل المقالات ص ٤٨-٤٩ دار الكتاب الإسلامي - بيروت

(٣) المصدر السابق ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق ج ١٢/٥٢٥ دار الكتب الإسلامية ايران .

الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع لأسباب دعتة إلى ذلك منها : قصوره عن معرفة بعضه . ومنها ما عمد بنفسه و منها : ما تعدد إخراجيه . وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره و ألفه بحسب ما وجب تأليفه فقدم المكي على المدني و المنسوخ على الناسخ ووضع كل شيء منه في حقه ولذلك قال جعفر بن محمد الصادق : أما والله لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين كما سمى من كان قبلنا إلى أن قال غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه بلا زيادة ولا نقصان منه إلى أن يقوم القائم (ع) فيقرئ الناس القرآن على ما أنزل الله تعالى و جمعه أمير المؤمنين عليه السلام و نهونا عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف لأنها لم تأت على التواتر وإنما جاء بالأحاد وقد يغلط الواحد فيما ينقله ولأنه حتى قرأ الانسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه مع أهل الخلاف و أغرى به الجبارين و عرض نفسه للهلاك فمنعونا (ع) من قراءة القرآن بخلاف ما يثبت بين الدفتين. وأما أبو الحسن العاملی فقد قال في المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار و مشكاة الأسرار ص ٣٦ : " أعلم ان الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها ، أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول ﷺ شيء من التغيرات وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرا من الكلمات والآيات، وأن القرآن المحفوظ عما ذكر الموافق لما أنزله الله تعالى، ما جمعه الا على عليه السلام وحفظه إلى أن وصل الى ابنه الحسن عليه السلام، وهكذا كما ورد صريحا في حديث سنذكره لما أن كان الله عز وجل قد سبق في علمه الكامل صدور تلك الأعمال الشنيعة من المفسدين في الدين، وأنهم بحيث كلما اطلعوا على تصريح بما يضرهم و يزيد في شأن على عليه السلام وذريته الطاهرين، حاولوا إسقاط ذلك أو تغييره محرفين. وكان في مشيئته الكاملة ومن لطافه الشاملة محافظة أوامر الإمامة والولاية ومحاربة مظاهر فضائل النبي ﷺ والأئمة بحيث تسلم عن تغيير أهل التضييع والتحريف ويبقى لأهل الحق مفادها مع بقاء التكليف. لم يكتف بما كان مصرحا به منها في كتابه الشريف بل جعل بيانها بحسب البطون وعلى نهج التأويل وفي ضمن بيان ما تدل عليه ظواهر التنزيل

وأشار إلى جمل من برهانها بطريق التجوز والتعريض والتعبير عنها بالرموز والتورية وسائر ما هو من هذا القبيل حتى تتم حججه على الخلائق جميعها ولو بعد إسقاط المسقطين ما يدل عليها صريحاً بأحسن وجه وأجمل سبيل ويستبين صدق هذا المقال بملاحظة جميع ما ذكره في هذه الفصول الأربعة المشتملة على كل هذه الأحوال .

وقد جعل أبو الحسن العاملى الفصل الرابع من المقدمة الثانية رداً على من انكر التحريف. وعنوانها هو " بيان خلاصة اقوال علمائنا فى تغيير القرآن وعدمه وتزييف استدلال من انكر التغير حيث قال :

اعلم أن الذى ظهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف و النقصان فى القرآن لأنه روى روايات كثيرة فى هذا المعنى فى كتاب الكافي الذى صرح فى أوله بأنه كان يثق فيما رواه فيه و لم يتعرض لقدح فيها ولا ذكر معارض لها ، و كذلك شيخه على بن إبراهيم القمي فإن تفسيره مملوء منه وله غلو فيه قال رضى الله عنه فى تفسيره : أما ما كان من القرآن خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) فإن الصادق عليه السلام قال لقارئ هذه الآية : خير أمة ؟ : يقتلون علياً و الحسين بن على عليه السلام ؟ فقل له : فكيف نزلت ؟ فقال : إنما نزلت خير أمة أخرجت للناس : ألا ترى مدح الله لهم فى آخر الآية : تأمرون بالمعروف والآية ثم ذكر رحمه الله آيات عديدة من هذا القبيل ثم قال : وأما ما هو محذوف منه فهو قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٦] فى على قال : كذا نزلت أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون ثم ذكر أيضاً آيات من هذا القبيل ثم قال : وأما التقديم فإن آية عدة النساء الناسخة التى هى أربعة أشهر قدمت على المنسوخة التى هى سنة و كذا قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴿ فَإِنَّمَا هُوَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى ثُمَّ ذَكَرَ أَيْضاً بَعْضَ آيَاتِ كَذَلِكَ ثُمَّ قَالَ وَ أَمَّا الْآيَاتُ الَّتِي تَمَامُهَا فِي سُورَةِ أُخْرَى : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦١] وَتَمَامُهَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢] وَنِصْفُ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ نِصْفُهَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَ لَقَدْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَيْضاً وَوَافَقَ الْقَمِي وَالْكَلِينِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمَفْسَرِينَ، كَالْعِيَّاشِيِّ، وَالنَّعْمَانِيِّ، وَفَرَاتِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ مُحَقِّقِي مُحَدَّثِي الْمُتَأَخِّرِينَ، وَقَوْلُ الشَّيْخِ الْأَجَلِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَالِبِ الطَّبْرَسِيِّ كَمَا يَنَادِي بِهِ كِتَابُهُ الْإِحْتِجَاجُ وَقَدْ نَصَرَهُ شَيْخُنَا الْعَلَمَةُ بَاقِرُ عُلُومِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخَادِمُ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي كِتَابِهِ بَحَارُ الْأَنْوَارِ، وَبَسَطَ الْكَلَامَ فِيهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَعِنْدِي فِي وَضُوحِ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ بَعْدَ تَتَبُّعِ الْأَخْبَارِ وَ تَفْحَصِ الْآثَارِ بَحِيثٌ يُمْكِنُ الْحُكْمُ بِكَوْنِهِ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ مَذْهَبِ النَّشِيعِ. وَأَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ مَفَاسِدِ غَضَبِ الْخِلَافَةِ فَتَدَبَّرْ حَتَّى تَعْلَمَ وَهُمْ الصَّدُوقُ فِي هَذَا الْمَقَامِ حَيْثُ قَالَ فِي اعْتِقَادَاتِهِ بَعْدَ أَنْ قَالَ : اعْتَقَدْنَا أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ هُوَ مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ لَيْسَ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْ مِنْ نَسَبٍ إِلَيْنَا أَنَا نَقُولُ أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ كَاذِبٌ وَتَوْجِيهِهِ كَوْنُ مَرَادِ عُلَمَاءِ قَمِ فَاسِدٍ، إِذْ أَنْ عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْغَالِي فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ نَعَمْ قَدْ بَالِغٌ فِي إِنْكَارِ هَذَا الْأَمْرِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى فِي جَوَابِ الْمَسَائِلِ الطَّرَابِلَسِيَّاتِ، وَتَتَّبِعُهُ أَبُو عَلَى الطَّبْرَسِيُّ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ حَيْثُ قَالَ أَمَّا الزِّيَادَةُ فِي الْقُرْآنِ فَمَجْمَعٌ عَلَى بَطْلَانِهِ.

وَأَمَّا النِّقْصَانُ فِيهِ فَقَدْ رَوَى جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا وَقَوْمٌ مِنْ حَشْوِيَّةِ الْعَامَةِ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ تَغْيِيرًا وَنَقْصَانًا وَ الصَّحِيحُ مِنْ مَذْهَبِ أَصْحَابِنَا خِلَافُهُ، وَهُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الْمُرْتَضَى قُدْسُ رُوحِهِ وَ كَذَا تَبِعَهُ شَيْخُهُ الطُّوسِيُّ فِي التَّبْيَانِ حَيْثُ قَالَ : وَأَمَّا الْكَلَامُ

فى زيادته و نقصانه يعنى القرآن فمما لا يلىق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه و أما النقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الألىق بالصحيح من مذهبنا كما نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة العامة و الخاصة بنقصان من آى القرآن ، ونقل شئ منه من موضع إلى موضع ، لكن طريقها الأحاد التى توجب علماً فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ولو صحته لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم حتى لا يعترضه أحد من الأمة ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته و التمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار فى الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل به وما يخالفه يجتنب ولا يلتفت إليه وقد وردت عن النبى ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال : "إنى مخلف فىكم الثقلىن إن تمسكنم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض " وهذا دليل على أنه موجود فى كل عصر لأنه لايجوز أن يأمر الأمة بالتمسك بما لا تقدر على التمسك به، كما إن أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل فى كل وقت وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغى أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه .

أقول : أما ادعائهم عدم الزيادة أى زيادة آية أو آيات مما لم يكن من القرآن فالحق كما قالوا إذ لم نجد فى أخبارنا المعتبرة ما يدل على خلافه سوى ظاهر بعض فقرات خبر الزندىق فى الفصل السابق وقد وجهنا بما يدفع عنه هذا الاحتمال، وفي روايات العياشى أن الباقر عليه السلام قال : إن القرآن قد طرح منه أى كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال ، وأما كلامهم فى مطلق التغير والنقصان فبطلانه بعد أن نبهنا عليه أوضح من أن يحتاج إلى بيان و آيت شعرى كيف يجوز لمثل الشيخ أن يدعى أن عدم النقصان ظاهر الروايات مع أننا لم نظفر على خبر واحد يدل عليه ، نعم دلالتها على كون التغير الذى وقع غير مغل بالمقصود كثيراً كحذف اسم على وآل محمد ﷺ وحذف أسماء المنافقين وحذف بعض الآيات وكتماناه ونحو ذلك وإن بأيدينا كلام الله وحجة علينا

كما ظهر من خبر طلحة السابقة في الفصل الأول مسلمة، ولكن بينه وبين ما ادعاه بون بعيد وكذا قوله رحمه الله " إن الأخبار الدالة على التغيير والنقصان من الأحاد التي لا توجب علماً " مما يبعد صدوره عن مثل الشيخ لظهور أن الأحاد التي احتج بها الشيخ في كتبه وأوجب العمل عليها في كثير من مسائله الخلافية ليست بأقوى من هذه الأخبار لا سنداً ولا دلالة على أنه من الواضحات البينة أن هذه الأخبار متواترة معنى مقترنة بقرائن قوية موجبة للعلم العادي بوقوع التغيير ولو تحمل أحد للشيخ بأن مراده أن هذه الأخبار ليست بحد معارضة ما يدل على خلافها من أدلة المنكرين ، فجوابه بعد الإغماض عن كونه تمحلاً سمجاً ما سنذكره من ضعف مستند المنكرين ومن الغرائب أيضاً أن الشيخ ادعى إمكان تأويل هذه الأخبار وقد أحطت خبراً بأن أكثرها مما ليس بقابل للتوجه، وأما قوله : ولو صحت إلخ فمشتمة على أمور غير مضرّة لنا بل بعضها لنا لا علينا إذ: منها عدم استلزام صحة أخبار التغيير و النقص ، الطعن على ما في هذه المصاحف، بمعنى عدم وجود منافات بين وقوع هذا النوع من التغيير وبين التكليف بالتمسك بهذا التغيير والعمل على ما فيه لوجوه عديدة كرفع الحرج ودفع ترتيب الفساد وعدم التغيير بذلك عن إفادة الأحكام وهو أمر مسلم عندنا ولا مضرّة فيه علينا بل به نجمع بين أخبار التغيير وما ورد في أختلاف الأخبار من عرضها على كتاب الله والأخذ بالموافق له .

ومنها استلزام الأمر بالتمسك بالثقلين وجود القرآن في كل عصر مادام التكليف كما أن الإمام عليه السلام الذي قرينه كذلك ولا يخفى أنه أيضاً غير ضار لنا بل نافع إذ يكفي في وجوده في كل عصر وجوده جميعاً كما أنزل الله مخصوصاً عند أهله أي الأمام الذي قرينه ولا يفترق عنه ووجود ما احتجنا إليه عندنا وإن لم نقدر على الباقي كما أن الإمام الذي هو الثقل الآخر أيضاً كذلك لاسيما في زمان الغيبة فإن الموجود عندنا حينئذ خياره وعلماءه القائمون مقامه إذ من الظواهر أن الثقلين سيان في ذلك ثم ما ذكره السيد المرتضى لنصرة ما ذهب إليه أن العلم

بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث لكبار والكتب المشهورة وأشعار العرب
المسطورة فإن العناية اشدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغت حداً لم
تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة و مأخذ العلوم الشرعية و الأحكام الدينية
وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه و حمايته ، الغاية حتى عرفوا كل شئ اختلفوا
فيه من إعرابه وقرائته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع
العناية الصادقة والضبط الشديد وذكر أيضاً أن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه فى
صحة نقله كالعلم بجملة وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة
ككتاب سيبويه والمازنى مثلاً فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلنون من تفصيلها ما
يعلمون من جملة حتى لو أن مدخلا أدخل فى كتاب سيبويه مثلاً باباً فى النحو
ليس من الكتاب يعرف ويميز ويعلم أنه ليس من الكتاب إنما هو ملحق، ومعلوم أن
العناية بثقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين
الشعراء ، وجوابه^(١) : أنا لا نسلم توفر الدواعى على ضبط القرآن فى الصدر
الأول وقبل جمعه كما ترى غفلتهم عن كثير من الأمور المتعلقة بالدين ألا ترى
اختلافهم^(٢) فى أفعال الصلاة التى كان النبى ﷺ يكررها معهم فى كل يوم خمس
مرات على طرفى النقيض ؟ ألا تنتظر إلى أمر الولاية وأمثالها ؟ وبعد التسليم نقول
إن الدواعى كما كانت متوفرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت
متوفرة على تغييره من المنافقين المبذلين للوصية المغيرين للخلافه لتضمنه ما
يصاد رأيهم وهو أهم والتغيير فيه إنما وقع قبل انتشاره فى البلدان واستقراره على
ما هو عليه الآن والضبط الشديد إنما كان بعد ذلك فلا تنافى بينهما .

وأيضاً إن القرآن الذى هو الأصل الموافق لما أنزل الله سبحانه لم يتغير ولم
ينحرف بل هو على ما هو عليه محفوظ عند أهله وهم العلماء به فلا تحريف كما
صرح به الإمام فى حديث سليم الذى فى كتاب الاحتجاج فى الفصل الأول وإنما
التغيير فى كتابة المغيرين آياه و تلفظهم به فإنهم ما غيروا إلا عند نسخهم القرآن

(١) هنا يرد أبو الحسن العامى على استدلالات المرتضى التى جاء بها لى ينكر التحريف .

(٢) يقصد اختلاف الصحابة رضى الله عنهم .

فالمحرف إنما هو ما أظهره لأتباعهم و العجب من مثل السيد (١) أن يتمسك بأمثال هذه الأشياء التي هي محض الاستبعاد بالتخيالات في مقابل متواتر الروايات فتدبر.

ومما ذكر أيضاً لنصرة مذهبه طاب ثراه أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن ، و استدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وإن كان يعرض على النبي و يتلى ، و أن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات و كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته .

وجوابه : أن القرآن مجموعاً في عهد النبي ﷺ على ما هو عليه الآن غير ثابت بل غير صحيح وكيف كان مجموعاً وإنما كان ينزل نجوماً وكان لا يتم إلا بتمام عمره ولقد شاع وذاع وطرق الأسماع في جميع الأصقاع أن علياً عليه السلام قعد بعد وفاة النبي ﷺ في بيته أياماً مشغلاً بجمع القرآن وأما درسه وختمه فإنما كانوا يدرسون و يختمون ما كان عندهم منه ، لإتمامه ومن أعجب الغرائب أن السيد حكم في مثل هذا بالخيال الضعيف الظاهر خلافه بكونه مقطوع الصحة حيث أنه كان موافقاً لمطلوبه واستضعف الأخبار التي وصلت فوق الاستفاضة عندنا وعند مخالفينا بل كثرت حتى تجاوزت عن المائة مع موافقتها للآيات والأخبار في المقالة السابقة كما بينا في آخر الفصل الأول من مقدمتنا هذه ومع كونه مذكورة عندنا في الكتب المعتبرة المعتمدة كالكافي مثلاً بأسانيد معتبرة وكذا عندهم في صحاحهم كصحيح البخاري ومسلم مثلاً الذي هما عندهم كما صرحوا به تالي كتاب الله في الصحة و الاعتماد بمحض أنها دالة على خلاف المقصود وهو أعرف بما قال و الله أعلم .

(١) يقصد السيد المرتضى .

ثم ما استدل به المنكرون بقوله : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ^(١) وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) فجوابه ^(٣) بعد تسليم دلالتها على مقصودهم ظاهر مما بيناه من أن أصل القرآن بتمامه كما أنزل الله عند الإمام وورائه عن علي عليه السلام فتأمل و الله الهادي و كذلك من أئمة المزاعم بأن القرآن الكريم تعرض للحذف و الإضافة ما قاله سلطان محمد بن حيدر الخرساني الذي قال : " اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقصان والتغيير هي في مدركاتهم من القرآن كلغة لا في لفظ القرآن كلغة، ولا يليق بالكاملين في مخاطباتهم العامة، لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص و صرف اللفظ عن ظاهرة من غير صارف، وما توهموا صارفاً من كونه مجموعاً عندهم في زمن النبي وكانوا يحفظون و يدرسون، وكانت الأصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير والتبديل حتى ضبطوا قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم.

فالجواب ^(٤) عنه أن كونه مجموعاً غير مسلم ، فإن القرآن نزل في مدة رسالته إلى آخر عمره نجوماً، وقد استفاضت الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات في العام الآخر وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته، وأن علياً جلس في بيته مشغولاً بجمع القرآن، أكثر من أن يمكن إنكارها، وكونهم يحفظونه ويدرسونه مسلم لكن الحفظ والدرس فيما كان بأيديهم ، وإهتمام الأصحاب بحفظه وحفظ قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه، وكما كانت الدواعي متوفرة في

(١) سورة فصلت آية ٤١

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) هنا يرد أبو الحسن العاملی على كل واحد أنكر التحريف و يقصد أن هاتين الآيتين لا تدلان على عدم التحريف

(٤) هنا يرد الخرساني على من أنكر التحريف ورده يشبه رد العالم الشيعي أبو الحسن العاملی .

حفظه، كذلك كانت متوفرة من المنافقين^(١) في تغييره، و أما ما قيل أنه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه الحال أنا مأمورون بالاعتماد عليه، وأتباع أحكامه والتدبر في آياته، وأمثال أوامره ونواهيه، وإقامه حدوده وعرض الأخبار عليه، لا يعتمد عليه صرف مثل هذه الأخبار الكثيرة الدالة على التغيير والتحريف عن ظواهرها، لأن الاعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه، وأمثال أوامره ونواهيه، وإقامه حدوده وأحكامه، إنما هي للأخبار الكثيرة الدالة على ما ذكر للقطع بأن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل على محمد ﷺ من غير نقيصة وزيادة و تحريف فيه. ويستفاد من هذه الأخبار أن الزيادة والنقصان والتغيير أن وقعت في القرآن لم تكن مخلة بمقصود الباقي منه بل نقول كان المقصود الأهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بأهل البيت إن أمروا باتباعه كان حجة قطعية للناس ولو كان مغيراً مخلاً بمقصوده، وإن لم نتوسل بهم أو بأمرنا باتباعه، وكان التوسل به، واتباع أحكامه، من قبل أنفسنا كان من قبيل التفسير بالرأى الذى منعوا منه، ولو لم يكن مغيراً. وأما علامتهم الشهير المدعو الحجة السيد عدنان البحراني: فبعد أن ذكر الروايات التى تفيد التحريف على ضوء عقيدته قال: الأخبار التى لا تحصى كثرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا فى نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين^(٢) وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل واجماع الفرقة^(٣) المحقة وكونه من ضروريات^(٤) مذهبهم، وبه تضافرت أخبارهم^(٥).

وعلى المسلم أن يلاحظ ان هذا العالم الشيعى الكبير عندهم لا يستطيع ان يطعن فى الروايات التى تثبت التحريف فى كتب الشيعة لان هذا الطعن يعتبره

(١) يقصد الصحابة.

(٢) يقصد أهل السنة يقولون بالتحريف أيضا وهذا كذب وراجع آراء علماء أهل السنة بالقرآن فى هذا الكتاب.

(٣) هنا يذكر البحراني ان الشيعة وفى نظره هم الفرقة المحقة قد أجمعوا على القول بأن القرآن محرف.

(٤) هنا يذكر البحراني ان القول بان القرآن محرف هو من ضروريات مذهب الشيعة .

(٥) مشارق الشمس الدريه منشورات المكتبة العدنانية - البحرين ص ١٢٦.

طعننا في شريعة مذهب الشيعة، وأما النورسي الطبرسي المتوفى ١٣٢٠هـ صاحب كتبهم التي لم يطلع عليها كثير من الناس حتى أذن الله بفضيحتهم على الملأ، عندما قام هذا النورسي الطبرسي - في سنة ١٢٩٢ هـ وفي مدينة النجف حيث المشهد الخاص بأمير المؤمنين بتأليف كتاب ضخم لإثبات تحريف القرآن. سماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد ساق في هذا الكتاب حشدا هائلا من الروايات لإثبات دعواه في القرآن الحالي على أنه وقع فيه التحريف .

وقد اعتمد في ذلك على أهم المصادر عندهم من كتب الحديث والتفسير ، واستخرج منها مئات الروايات المنسوبة للأئمة في التحريف . و أثبت أن عقيدة تحريف القرآن هي عقيدة علمائهم المتقدمين .

وقد قسم كتابه هذا إلى ثلاث مقدمات وبابين .

المقدمة الأولى : عنون لها بقوله (في ذكر الأخبار التي وردت في جمع القرآن وسبب جمعه، وكونه في معرض النقص، بالنظر إلى كيفية الجمع، وأن تأليفه يخالف تأليف المؤمنين).

المقدمة الثانية : جعل عنوانها (في بيان أقسام التغيير الممكن حصوله في القرآن و الممتنع دخوله فيه).

المقدمة الثالثة : جعلها في ذكر أقوال علمائهم في تغيير القرآن و عدمه .

ولعل هذه العناوين تنبئ عما تحتها من جرأة عظيمة على كتاب الله الكريم بشكل لم يسبق له مثيل.

نماذج من تحريفهم القرآن الكريم :

في كتاب الله آية يقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فعند تفسير الشيعة لها يقول القمي في

تفسيره: (أن لها مناسبة وقد جاء عندهم بشأنها الآتى : "عن جعفر أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أصابه خصاصة وجاء إلى رجل من الأنصار فقال له : هل عندك من طعام؟ فقال : نعم يا رسول الله وذبح له عتاقا وشواه فلما أدناه منه تمنى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون معه على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فجاء منافقان ثم جاء على بعدهما فأنزل الله فى ذلك : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث الا إذا ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان) ^(١).

وعند قول الله تعالى فى سورة البقرة - ٢٥٥ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ تتلى فى كتب الشيعة على ضوء ما ذكر القمى بهذا الوجه المحرف (ألم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرى ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم) ^(٢).

وعند قوله الله تعالى فى سورة الرعد ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ﴾ ، يقول القمى الشيعى الحجة عندهم أن صحة هذه الآية عندهم على الوجه الآتى : "أنها قرأت عند أبى عبد الله صلوات الله عليه فقال لقارئها : أستم عربا ؟ فكيف تكون المعقبات من بين يديه ؟ وأنما العقب من خلفه فقال الرجل : جعلت فداك .. كيف هذا ؟ فقال : نزلت : له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله" ^(٣).

(١) تفسير القمى ج ٢ ص ٨٦ .

(٢) تفسير القمى ج ١ ص ٨٤ .

(٣) تفسير القمى ج ١ ص ٨٤ .

وعند قول الله تعالى في سورة الفرقان (٧٤) : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ يقول القمى في تفسيره أنه قرئ عند أبى عبد الله عليه السلام : (وجعلنا للمتقين اماماً).. فقال سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ف قيل له : كيف هذا يا ابن رسول الله : فقال : إنما أنزل الله : واجعل لنا من المتقين اماماً^(١).

وقد ذكر الكليني في صحيحة الكافى : (عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام أن قرآنهم فيه (ومن يطع الله ورسوله فى ولاية على ، والأئمة بعده فقد فاز فوزاً عظيماً) ، ويزعمون انها هكذا أنزلت^(٢)).

وقد ذكر الكاشى فى تفسير قول الله تعالى فى سورة التحريم (٩) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أن صحتها عندهم هكذا (يا أيها النبى جاهد الكفار بالمنافقين) .

هذا ويروى محمد بن يعقوب الكلينى ، عن جابر ، عن أبى جعفر عليه السلام، قال : قلت له : لم سمى على بن أبى طالب أمير المؤمنين ؟ قال : الله سماه .. هكذا أنزل فى كتابه : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولى وأن علياً أمير المؤمنين)^(٣).

ويروى محمد بن يعقوب الكلينى أيضاً عن جابر قال : نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فى على فأتوا بسورة من مثله)^(٤) وهذا الذى يرويه الكلينى هو تحريف لقول الله تعالى فى سورة البقرة (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) .

(١) تفسير القمى ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) الكافى ج ١١ "٤١٤" دراسات فى الكافى للكلينى ص ٣٠٩

(٣) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤١٢ ، الشيعة والسنة ص ١٠٧ .

(٤) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٢٦٣ ، الشيعة والسنة ص ١٠٧ .

وقد روى عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، فى قوله تعالى :
(سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين بولاية على ليس له دافع .. ثم قال : هكذا والله
نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله) ^(١) وكما هو معروف
فإن هذه الرواية تحريف لقول الله تعالى فى سورة المعارج (سأل سائل بعذاب واقع
للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج) .

وأما فى قول الله تعالى فى سورة الكهف ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ
فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ ، فإن
التحريفات الشيعية تدعى أن جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية هكذا : (وقل الحق
من ربكم فى ولاية على ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين
آل محمد نارا) ^(٢) .

وأما فى قول الله تعالى فى سورة النساء (٦٦) ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ . فإن الشيعة يعتقدون أنها هكذا نزلت (ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به فى على لكان خيراً لهم) ^(٣) .

وأما فى قول الله تعالى فى سورة النساء (٤٧) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدُّهَا عَلَى أُنْجَارِهَا أَوْ
نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ . فإن جميع الشيعة الغلاة
يقولون أن جبريل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية
هكذا : (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فى على نورا مبينا) ^(٤) .

وفى قول الله تعالى فى سورة البقرة (٩٠) ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أَنْ
يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا

(١) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٢٢ ، الشيعة والسنة ص ١٠٤ .

(٢) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٢٥ .

(٣) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٢٤ ، الشيعة والسنة ص ١٠٤ .

(٤) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤١٧ ، الشيعة والسنة ص ١٠٥ .

بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ تعتقد الشيعة أن صحة الآية هكذا ..
(بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في على بغيا) ^(١).

وعند قول الله تعالى في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧٠) تزعم الشيعة أن جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية هكذا : (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية على فآمنوا خيرا لكم ، وإن تكفروا بولاية على فإن لله ما في السماوات والأرض) وكذلك عند قوله تعالى في سورة الاعراف (١٦٢) ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ^(٢). فإنهم يأتون بها محرفة ومخالفة لهذا النص الذي هي عليه .

وأما سورة الولاية التي ينفردون بها ويدعون أنها أسقطت من القرآن الذي حرف على يد عثمان بن عفان (برأه الله تعالى مما يقول الظالمون) فقد جاءت عندهم هكذا (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى وبالولى اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم نبى وولى بعضها من بعض وأنا العليم الخبير، إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، والذين اذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين، أن لهم فى جهنم مقاما عظيما فاذا نودى لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون المرسلين ما خلفهم المرسلين الا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب وسبح بحمد ربك وعلى من الشاهدين) ^(٣).

وهذه السورة المفتراة المدعاة ليست فى كتاب الله ولم تكن منه فى يوم من الأيام إنما هم ألفوها واتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بحذفها من القرآن .

(١) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤١٧ ، الشيعة والسنة ص ١٠٥ .

(٢) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٢٤ ، الشيعة والسنة ص ١٠٦ .

(٣) رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى ثبوت تحريف كتاب رب ارباب تأليف ميرزا حسين بن محمد تقى الفرسى ص ١٨٠ وانظر ، الخطوط العريضة ص ١١ وسراب فى ايران ص ٢٥ .

وأما سورة النورين فنصها عندهم هكذا : (بسم الله الرحيم .. يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم الذين يوفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات النعيم ، والذين كفروا من بعد ، ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم ، وما عاهدوا الرسول عليه يقذفون في الجحيم ظلموا أنفسهم ، وعصوا لأوصى الرسول وأولئك يسقون من حميم) ^(١).

ولم يكتف الشيعة بتحريف بعض الآيات الكريمة .. بل وضعوا قرآنا جديداً سموه "مصحف فاطمة" كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك - وتقول رواية الكافي عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله .. إلى أن قال : أبو عبد الله - جعفر الصادق : وأن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام .. قال : قلت ، وما مصحف فاطمة ؟ قال فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات .. والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد) ^(٢).

هذا هو موقف علماء الشيعة من القرآن الكريم وموقف أئمتهم الكبار فماذا نقول ؟؟ لا يسع المسلم إلا أن يقول : في ضوء قول الله تعالى الذي يقول : (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) .

ولما لم يتورع الشيعة من الطعن في كتاب الله والاقدام على التحريف والوضع كان بدهياً أن يكذبوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتدليس على سنته الطاهرة .

(١) تذكرة الأئمة للمجلسي نقلا عن تحفة الشيعة لبروفسور نوربخش التوكلي ص ٣١٨ ج ١ ، الشيعة والسنة ص ١٣٨ .

(٢) الكافي ص ٥٧ ط إيران ١٢٧٨ هـ وأنظر دراسات في الكافي للكليني ولصحيح البخاري ص ٢٩٤ تأليف هاشم معروف الحسني .

"التطاول على قدره صلى الله عليه وسلم":

لقد أفترى الغلاة على الله تعالى .. وادعوا علم الغيب وفتحوا أبواب الجنة لشيعتهم تطاولا وتعدياً على مقام الألوهية ، الذى لا يرقى اليه حتى الانبياء عليهم السلام .. وذلك للتطاول على مقام النبى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فقد روى الكشى عن أبى عبد الله أنه دخل عليه جعفر بن عفان وقال له : بلغنى أنك تقول الشعر فى الحسين وتجيد .. فقال له : نعم : نعم .. جعلنى الله فداك .. فقال .. قل : فأنشد .. فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته .. ثم قال : يا جعفر بن عفان والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون ههنا ، يسمعون قولك فى الحسين .. ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر .. ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر ساعتك الجنة بأسرها .. وغفر الله لك .. فقال أبو عبد الله : يا جعفر الا أزيدك قال : نعم يا سيدى .. قال : ما من أحد قال فى الحسين شعرا فبكى .. وأبكى الا أوجب الله له الجنة وغفر له . هكذا وصل بهم الغلو والزعم بحق من يدعون، وعلى ذلك فلا داعى عندهم للصلاة والصوم والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام ورعاية الجار وأداء الأمانة والبعد عن الربا وهجر الزنا وترك الخمر واحتمال تكاليف الدعوة إلى الله والجهاد والاستشهاد فى سبيل الله عز وجل إذا كان دخول الجنة بهذه البساطة قصيدة من الشعر فى مدح الحسين ؟ ولا أدرى كيف غاب عن الشيعة أنه لا تنفع ألف قصيدة فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه بغير خلوص نية وحسن طوية وعميق ايمان وصالح عمل ، ولن تدخل أحدا الجنة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أخبر أمته أنه : لن ينجى أحد منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ألا أن يتغمدنى الله برحمته . سددوا) .

وفى مسلسل العدوان على الاسلام والمسلمين فضلاً عن الوضع والتحريف فى كتاب الله يورد (القمى) هذه الرواية التى تقول : (عن أبى عبد الله قال : اذا كان يوم القيامة ، يدعى محمد صلى الله عليه وآله فيكسى حلة وردية ، ثم يدعى بعلى

أمير المؤمنين عليه السلام ثم يدعى بالأئمة ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب^(١).

ليس أبلغ في الرد على هذا الافتراء على الله تعالى من إنذار الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش وعشيرته الأقربين بأنه لا يملك لهم من الله شيئاً . لقد أهمل الشيعة عمدا وعدوانا حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيما رواه أبو هريرة أنه عندما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) من أنه صلى الله عليه وسلم: دعا فاجتمعوا فعم وخص فقال : يا بني كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فأنى لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سألها ببلاها^(٢).

وفى الحديث المتفق عليه هو انه صلى الله عليه وسلم القائل : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً ويا بني عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله ، لا أغنى من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد . سليني ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئاً .

ان الشيعة لا تدرك أن الأفلاع عن المعصية والندم على اقترافها والعزم على عدم العودة اليها هي - والله أعلم - مظنة مغفرة الله عز وجل للعصاة التائبين .. وليس حب على رضى الله عنه أو غيره مما ينفع بغير تقوى وعمل صالح. فاتباع ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده وسيلة النجاة من النار ، وإذا كان حب أحد من الخلق بغير العمل بما جاء به النبي لا ينجى من النار فيكون حب النبي صلى الله عليه وسلم أولى فهو الأصل فإذا كان عدم العمل بما جاء به النبي

(١) تفسير القمى ج ١ ص ١٢٨ .

(٢) رواه مسلم . وأنظر مشكاة المصابيح للخطيب البريزى تحقيق الألبانى ج ٣ ص ١٤٧٧ .

يكون مجرد حب واحد من أهل بيته ينجي من النار أو لا ينجي من النار فكيف يقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] لكن الذي يقول به غلاة الإمامية في هذا المقام . قليل من كثير .. من تعدى الشيعة على مقام الألوهية وليس كثيراً على من تناولوا وتجروا على الذات الالهية أن يتعدوا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ويمعنوا فيها حذفاً وتشويهاً وزيادة وتدليساً وهذه النزعة التدليسية في غاية الخطورة على وحدة معتقد الأمة الاسلامية التي يحاول الدعوة اليها بعض الاصلاحيين من دعاة التصحيح في المذهب الإمامي .

أن موقف الشيعة من السنة النبوية بلغ حد العته ، إنهم يطعنون في صحيح البخاري وإذا علمنا أن صحيح البخاري أصدق وأوثق كتاب بعد القرآن الكريم باجماع أمة الإسلام أدركنا أن الشيعة تنكر ما أجمع على صحته علماء الحديث وأئمة العلماء والدارسين لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في الأصل والأساس أحباء لله ولرسوله ولأهل بيته جميعاً وأصحابه رضوان الله عليهم .

وإذا هاجم الشيعة "صحيح البخاري" فمعنى ذلك أنهم يطعنون في المصدر الثاني من مصادر التشريع، بعد حربهم المشبوبة على القرآن الكريم .. أن الشيعة الغلاة يلمزون الإمام البخاري رحمه الله .. ويقدحون في صحيحه ويتناولونه بالذم والعدوان حين يقول قائلهم (وقد أخرج من الغرائب والمناكير ما يليق بعقول مخرفي البربر وعجائز السودان) . كذا ولم يقف الأمر عند حد الأعراض عن صحيح البخاري بل استبدلوا به كتاباً في الأحاديث الموضوعة المفتراة سموه (الكافي) لمحدثهم : محمد بن يعقوب الكليني وهو موسوعة يندر فيها الصدق والأمانة في الأخذ عن سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فمثلاً تفيد الأحاديث الصحيحة المروية عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإسلام بني على خمسة أركان فنرى الغلاة من الإمامية في هذا الباب بعد أن أنكروا البخاري ابتدعوا

اسلاماً لا يعرفه المسلمون في كتاب الله تعالى الذي ادعوا تحريفه ولا في سنة رسول الله ﷺ التي حاربوها واعتدوا عليها تزيفاً ووضعاً^(١).

وهذه نماذج من الاحاديث التي ابتدعت ووضعت لتكريس التحريف الذي جاء به الكليني ، فعلى سبيل المثال جاء فيه . عن فضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: بنى الإسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشئ ما نودى بالولاية يوم الغدير^(٢). أى لم يهتم بشئ مثلاً .

أما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن الكليني لا يقول عليها بل إنهم يرون الولاية أفضل من الشهادتين والصلاة والزكاة والحج والصوم .

وجاء فيه : " عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : بنى الإسلام على خمسة أشياء الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية .. قال زرارة : فقلت : وأى شئ من ذلك أفضل ؟ فقال الولاية أفضل " ^(٣).

ثم بدأ لهم أن يكتفوا بالصلاة والزكاة والولاية واستغنوا بها عن الصوم والحج وفى التدليل على هذا التزييف نسبوا إلى الصادق جعفر أنه قال : أن فى الإسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة والولاية . لا تصح واحدة منها الا بصاحبها^(٤).

وانتهى بهم هذا التدرج إلى أن أكتفوا بالولاية وحدها مدعين أن الله تعالى لم يبعث نبياً الا بالولاية وفى التدليل على هذا الزعم الفاسد يروون عن أبى عبد الله أنه قال : ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبياً قط الا بها : كما أنهم بغير عقل وبغير حياء يرفضون الأخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغيبات ويتواصون فيما بينهم بعدم التدين بها بعد التأكد من صدورها عنه عليه الصلاة والسلام . وفى ذلك

(١) تحت راية الحق ، عبد الله السبيتي ص ١٤٦ ، وأنظر : "وجاء دور المجوس" ص ١٦٥ وسراب فى إيران ص ٣٦ .

(٢) الكافي فى الأصول ج ٢ ص ٢٠ .

(٣) الكافي فى الأصول ج ٢ ص ١٨ .

(٤) الكافي فى الأصول ج ٢ ص ١٨ .

يروى عن مجتهد هم: محمد حسن الاشتياني أنه قال : (أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبر عن الأحكام الشرعية مثل : نواقض الوضوء وأحكام الحيض والنفاس .. يجب تصديقه والعمل بما أخبر به ، وإذا أخبر عن الأمور الغيبية مثل خلق السموات والأرض والحدود والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به فضلاً عن الظن به. هذا وشر البلاء ما نشر باسم الإمام الخميني من الطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زاعماً أنهم يفترون على النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم نسبوا إليه أحاديث لم يقلها : يقول الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية) "ففى الرواية من يفتري على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث لم يقلها .. ولعل راوياً كسمرة بن جندب يفتري أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين) (١).

والخميني لا يستحي من بعث روايات الغلاة من أئمة السابقين عندما اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب والخداع وأنه كان يظهر خلاف ما يبطن . فقد ذكر ما جاء عند الكليني في (الكافي) ما روى من أنه قال.

" عن أبى عبد الله عليه السلام : لما مات عبد الله بن أبى بن سلول حضر النبي جنازته فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فسكت فقال : يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فقال : ويلك وما يدريك ما قلت ؟ أنى قلت : اللهم أحش جوفه ناراً واملأ قبره ناراً ، وأصله ناراً قال أبو عبد الله عليه السلام . فبدأ من رسول الله ما كان يكره " (٢).

والشيعة باليقين لفقوا هذه الرواية المتهافتة وهذا الافتراء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجدوا مبرراً يسوغ لهم الأخذ بمبدأ التقية الذى يعتبر من دعائم مذهبهم وأصول دينهم (٣).

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص ٧١ .

(٢) الكافي في الفروع، كتاب الجنائز ج ٣ ص ١٨٨ ، الشيعة والسنة للشيخ احسان الهى ظهير صفحة ١٦٣ .

(٣) التقية : من أهم معتقدات الشيعة تجوز لهم التظاهر بخلاف ما يبطنون قولاً وعملاً وفى التصور الإسلامى لا فرق بين التقية والكذب فكلامهما وضع من النفاق وفعل المنافقين .

أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أسمى وأعظم من أن يظهر خلاف ما يبطن . كما يفعل الغلاة فقد وصفه الله تعالى بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) ادعوا أنه حث على الأخذ بمبدأ التقية - بزعمهم - : "مثل مؤمن لا تقية له .. كمثل جسد لا رأس له" (١) .

كما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً يشير بتهاونه عليه الصلاة والسلام فى أمر الصلاة والصوم وذلك بأن يحب المرء المصلين والصائمين .. ولا عليه إذا ترك الصلاة . وأفطر فى رمضان .

يروى أبو جعفر عليه السلام : (أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أحب المصلين ولا أصلى .. وأحب الصوامين ولا أصوم .. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنت مع من أحببت" (٢) .

كما نسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ادعى أن الله تعالى يناجى علياً رضى الله عنه وفى ذلك ينقل روايتهم "عن أبى عبد الله قال : قال رسول الله لأهل الطائف ، لا بعثن اليكم رجلاً كنفسى يفتح الله به الخير ، سيفه سوطه .. فشرف الناس له .. فلما أصبح ودعا علياً فقال : أذهب بالطائف ثم أمر الله النبى أن يرحل اليها بعد أن رحل على فلما صار اليها كان على على رأس الجبل فقال له رسول الله أثبت .. فسمعنا مثل صرير الزجل فقل : يا رسول الله .. ما هذا ؟ قال : أن الله يناجى علياً " (٣) .

كما كذبوا على رسول الله عليه السلام حين نسبوا إليه أنه قال : "على مع الحق والحق يدور معه حيث دار .. ولم يفترقا حتى يردا على الحوض (ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله) هذا الافتراء بأنه : " من أعظم الكلام كذباً وجهلاً فأن

(١) للوقوف على ملائمتها الواقعة يراجع كتاب لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ١٢٢ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) الكافى فى الفروع ج ٨ .

(٣) بصائر الدرجات باب ١٦ ج ٨ .

هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف" (١).

وأنطلق الغلو في مسلسل الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعوا أنه لعن معاوية رضى الله عنه وحررض المسلمين على قتله : يقولون "أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن معاوية الطلق بن الطليق وقال : إذا رأيتموه على منبرى فأقتلوه" (٢).

وما كان صلى الله عليه وسلم طعانا ولا فاحشا ولا متفحشا بل كان عف اللسان وعندما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه قالت : كان خلقه القرآن ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن السنة النبوية المطهرة ترد مزاعم غلاة الإمامية في الكذب، فهاهو أبو الدرداء رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساعا رجعت إلى الذى لعن .. فان كان أهلا لذلك والا رجعت إلى قائلها" رواه أبو داود .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار" . رواه أبو داود والترمذى وقالوا حديث حسن صحيح .

واتهام غلاة الإمامية للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه أمر بقتل معاوية رضى الله عنه : مردود من أبسط أفعاله صلى الله عليه وسلم . أنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عن أهل مكة - وهم مشركون - وقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. أفيأمر من هذا خلقه بقتل مسلم مؤمن .. صحابى كان من بين المقربين إليه ومن كتابه والمؤمنين على أمر الإسلام.

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية ص ٢٠٠ من المختصر للحافظ الذهبي

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية ص ٢١٣ من المختصر للحافظ الذهبي .

وأما قاصمة القواصم فهي زعمهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بشأن
على بن أبى طالب "حب على" حسنة ، لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة ،
لا تنفع معها حسنة" .

كما أدعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "أنا وعلى حجة الله على
خلقه" كما زعموا أنه قال : " لو اجتمع الناس على حب على لم تخلق النار" .

وزعموا أن صلى الله عليه وسلم قال "من ناصب علياً الخلافة فهو كافر .. وقد
حارب الله ورسوله" والكذب هنا أضعاف كذبهم فى حديث غدير" .

واستكملوا مسلسل الكذب بهذه الفرية التي افتروا فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم حين زعموا أنه قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : "يا على ..
أنت تملك ما لا أملك، ففاطمة زوجك وليس لى زوج مثلها .. ولك منها ابنان ،
ليس لى مثلها .. وخديجة أم زوجك ، وليس لى رحمة مثلها .. وأنا رحيمك ..
فليس لى رحيم مثل رحيمك .. وجعفر أخوك من النسب .. وليس مثل جعفر أخى .
وفاطمة الهاشمية المهاجرة ، أمك .. وأنى لى أم مثلها" ^(١).

هذه بعض عقائد غلاة الامامية حول كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم وقد سار على ركب الاثمة الاقدمين أكبر علماء الامامية المعاصرين ، وعلى
رأسهم الأمام الخومينى . والسؤال : ما رد الفعل الإسلامى عند أمة الإسلام فى
مواجهة هذا التحريف الموهل فى التاريخ والعريق فى الكذب والعدوان على
مصادر الإسلام : الكتاب والسنة ناهيك عن نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه ^(٢).

(١) بحار الأنوار ٥١١ ج ٥ .

(٢) راجع : وجيه المدنى، فى كتابة (لماذا كفر العلماء المسلمين الخومينى، القاهرة عام ١٤٠٨
هـ ١٩٨٨ م.

الإمام الغائب ومتى يجيء ؟ :

لا أظن أن هناك من يختلف معنا في أن أمة الإسلام كانت في حاجة إلى أن تعرف من الفقيه القائم مقام الإمام الغائب رأييه في المهدي ومن يكون هو خاصة وأن رجاله لا يفتأون يبشرون بعقائد المذهب وأفكاره فإن رواية الطبرسي في (أعلام السورى ومن صفحة ٤٢٧) تقول في التمهيد للمهدي أن الحسن بن علي رضي الله عنهما - لما صالح معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال : ويحكم ما تدرون ما عملت والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت ألا تعلمون أني أمامكم ومفترض الطاعة عليكم وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله على ؟ قالوا : بلى قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطاً لموسى ؟ إذ خفى عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلى روح الله عيسى بن مريم خلفه فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لا يكون لأحد في عنقه إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخى الحسين بن سيدة الإمام يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ذلك ليعلم أن الله على كل شئ قدير .

ونريد أيضاً من فقهاء الإمامية التي قبلت تشريع ولاية الفقيه الخمينية بحيث تكون ولاية عامة على البلاد والعباد أن يحددوا لنا موقفاً بالقبول أو الرفض مما رواه الإمام الطبرسي في (أعلام السورى) أيضاً ومن صفحة ٤٢٩ - الذي روى عن جعفر أنه قال : (من أقر بجميع الأئمة وجدد المهدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجدد محمداً - صلى الله عليه وسلم - فليل له : يا بن رسول الله فمن المهدي من ولدك ؟ قال : الخامس ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحل لكم تسميته .

وما الرأي في ما جاء في كتاب الغيبة للنعماني وهو أمام ثقة عند الإمامية كما هو معروف وأيضاً ما جاء في (بحار الأنوار) للمجلسي في الجزء الثالث ١٠ ص ١٧١ من أن المهدي الغائب سيجلس مسنداً ظهره إلى بيت الله الحرام ويقول : أنا

بقية من آدم وذخيرة نوح ومصطفى من إبراهيم وصفوة من محمد ، ويقول : أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم ، يقول الطوسي في كتاب (الغيبة ٢٧٤) : ويكون جبريل بين يديه .

والسؤال لا يزال قائماً والحاجة إلى الإجابة المحددة لا تزال قائمة أيضاً خاصة وأن الكتب التي تعالج هذه القضايا تتناولها أقلام مجهولة لا تشفى غليلاً ولا تقيم حجة .

وأنا لازلت أسأل لماذا وعلى ضوء رواية الطبرسي في (اعلام الوري من ص ٤٥٩) و(المفيد في الارشاد ص ٣٦١) لماذا تجئ الأحاديث على السنة الأئمة عن كيفية رجوع الإمام وموعده على هذه الوجه ولماذا يكون اسم الإمام حين يدعى بالعبرانية ؟ ولننظر جوانب الموضوع بالتفصيل وعلى ضوء رواية أئمة المذهب الإمامي من القدماء .

ينسب الإمامية إلى جعفر أنه قال : (ينادي باسم القائم في يوم ستة وعشرين من شهر رمضان ويقوم في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي لكأنى به يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام جبرائيل بين يديه ينادي بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طياً حتى يبايعوه فيملاً الله به الأرض عدلاً كما ملأت جوراً وظلماً . وإذا أذن الإمام دعى الله باسمه العبراني فانتخب له صاحبه الثلاثمائة عشر قزح كقزح الخريف فهم أصحاب الألوكة منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه وصلته ونسبه، قلت جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً ؟ قال : الذي يسير في السحاب نهاراً وهم المفقودون وفيهم نزلت هذه الآية : (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً).

وما الرأي فيما يرويه شيخ الطائفة الطوسي من أنه ينادي منادى من السماء بإسم القائم فيسمع من بين الشرق والغرب فلا يبقى راقداً إلا استيقظ ولا قائم إلا قعد

ولا قاعد الا قام على رجليه فزعا من ذلك الصوت وهو صوت جبريل الروح الأمين.

ولازلت اسأل فقهاء الإمامية ما رأى فيما يقوله الأئمة حول هذه المقدمات التى تسبق وتلازم قيام الغائب لكى يبدأ أول عمل له كما يقول صاحب كتاب (الغيبة) وهو الامام النعماني من أن أول عمل له أن يبدأ بقتل قريش وصلبهم الأحياء منهم والأموات ويضع فى العرب السيف ، وجوانب السؤال لا تزال قائمة . هل هناك علاقة بين الإيمان بهذه العقيدة وبين تكفير أمة العرب ذات يوم من قبل بعض الأئمة وبين التمهيد لقتلهم وقتالهم حتى ولو كان القتل والقتال فى حرم ربهم ؟ أن الرواية التى يزعمها النعماني فى كتاب (الغيبة) كأنها من بين المخططات العصرية فى الحرب النفسية التى تشنها أبواق الدعاية والأعلام لتتار الغلو فى المذهب الأمامي ان النعماني ينسب إلى جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس أما أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم) .

وأيضاً ما رأى فى ملفات الحقد المذهبي القديم والكره المذهبي لأمة العرب والمسلمين الذى يطالعنا به ولليوم المفيد والطبرسى وهما من اكبر وأعظم الأئمة أسلاف الأئمة المعاصرين . أقول ما رأى العلماء المعاصرين منهم فى هذا الحقد الأسود الذى تمتلئ به صفحات كتب العقيدة والفقه والرجال والتاريخ من أن جعفر فى رواية (المفيد والطبرسى) ومعهما صاحب كتاب (الغيبة) النعماني فى ص ٢٣٥ أنه (إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات) ولما استكثر السامعون قول جعفر فيما نسبه إليه صاحب الارشاد الشيخ المفيد ص ٣٦٤ وصاحب أعلام الورى الشيخ الطبرسى ص ٤٦١ وصاحب كتاب الغيبة الشيخ النعماني ٢٣٥ وقيل له ويبلغ عدد هؤلاء هذا ؟ قال نعم منهم ومن مواليتهم . ويبقى

السؤال . ولماذا يكون القائم هكذا ؟ سيف قاطع بين العرب وعلى العرب شديد ليس شأنه الا السيف ولا يستتيب أحداً .

ولا زالت جوانب السؤال قائمة أمام قادة المذهب المعاصرين ما رأيهم القاطع فيما يقول الأئمة القدماء من أن القائم لا يكتفى بقتل الأحياء لكنه يحيى الموتى ليقتل أصحاب النبي محمد . أقول ما رأى الأئمة المعاصرين فى قول أئمة المذهب ببعث غير بعث القيامة وما رأيهم فى هذا الجانب الأسطورى الخرافى الذى هو جزء من عقائد البوذية والهندوسية والزرادشتية فى قولها بالتناسخ . فهل الأمر فى الإمامية كذلك ؟ وهل حقاً وصدقاً ما يقوله الصافى فى تفسيره ص ٣٥٩ من أنه (لو قام قائمنا رد الحميراء - يريد أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها وعن أبيها - حتى يجلدها ولينتقم لابنة محمد - صلى الله عليه وآله .

وهل يصدق العلماء المعاصرون منهم رواية (صاحب البرهان فى تفسير القرآن) والذى يزعم أن القائم قال ألا أنبئك بالخبر . إنه إذا فقد الصبى وتحرك المغربى وسار العماني وبوبع السفيناني يأذن الله لى فأخرج بين الصفا والمروة فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سواء فأجئ إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام وأجئ إلى يثرب وأهدم الحجرة وأخرج من بها وهما طريان فأمر بهما تجاه البقيع وأمر بالخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتها فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى فينادى مناد من السماء : يا سماء أبيدى ويا أرضى خذى فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض الا مؤمن قد خلص قلبه الإيمان . قلت يا سيدى ما يكون بعد ذلك . قال : الكرة الكرة . الرجعة) .

وجوانب السؤال لا تزال قائمة ما رأى فى هذا المعتقد الخرافى المحرف لكل ثوابت الإسلام ولماذا تنشر كتب التراث الإمامى التى تمتلئ بهذه العقائد بدعم وأشراف كاملين من قبل الهيئات والمنظمات ذات الصلة المباشرة بسلطات المذهب؟

ولماذا تنتشر في ثوب جديد وطباعة فاخرة بالعربية والفارسية دون أدنى حرج أو اعتذار من قبل المحققين على ما تفيض به .

(كربلاء أقدس من الكعبة)

بغير مقدمات .. ما رأى علماء المذهب فيما ذكره الجزائري بنوع من التفصيل والتوضيح كشف به عن روح عدوانية خبيثة ضد الإسلام والمسلمين إذ صب جام غضبه وحقده ورغبته في الإنتقام من أصحاب رسول الله الذين حفظوا لنا الإسلام وبلغوه لأمم الأرض . إن رواية الجزائري تنقل عن المفضل بن عمر رواية عن جعفر أنه قال : (إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلاء فأوحى الله عز وجل إليها أن اسكتي يا كعبة ولا تفخرى على كربلاء فإنها البقعة المباركة التي قال الله فيها لموسى عليه السلام إني أنا الله ، وهى موضع المسيح وأمه وقت ولادته وأنها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بن على عليهما السلام ، وهى التي عرج منها محمد - صلى الله عليه وآله - وقال له المفضل يا سيدى يسير المهدى إلى أين ؟ قال إلى مدينة جدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزى الكافرين . فقال المفضل يا سيدى ما هو ذاك؟ قال : يرد إلى قبر جده فيقول : يا معشر الخلائق هذا قبر جدى فيقولون نعم يا مهدى آل محمد فيقوم ومن معه فى القبر فيقولون صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر فيقول عليه السلام هو أعلم الخلق من : أبو بكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وعسى أن يكون المدفون غيرهما فيقول الناس يا مهدى آل محمد ما هنا غيرهما وأنهما دفنا معه لأنهما خليفاه وأباء زوجتيه فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهما بالوصف ثم يقول هل يشك أحد فى دفنهما هنا فيقولون لا فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخرجهما فيخرجان طريين كصورتهما فى الدنيا فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبان عليهما فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذا والله الشر حقاً ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما فينشر خبرهما فكل من فى قلبه

حبة خردل من محبتهم يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادى المهدي عليه السلام - هذان صاحبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن أحبهما فليكن في معزل ومن أبغضهما فليكن في معزل فيجزأ الخلق جزأين : موال وعاد فيعرض على أوليائهما البراءة منهما فيقولون يا مهدي ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم أن لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نصارتهم وغضاضتهم وحياة الشجرة بهما ، بلى والله نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما ومن صلبهما وأخرجهما وفعل بهما فيأمر المهدي عليه السلام ريحا فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية ثم يأمر بإنزالهما فينزلان فيحييهما بإذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع ثم يقص عليهم قصص فعالهم في كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف في الجب وحبس يونس في بطن الحوت وقتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال وضرب سليمان الفارسي وأشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة احراقهم بها وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها واسقاطها محسنا وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبنى عمه وسبى زرارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وارقة دماء آل محمد وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حراما وكل ربا أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا كل ذلك يعدده عليهما ويلزمها إياه ويعترفان به ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر نارا تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحا فتتسفهما في اليم نسفا .

قال المفضل يا سيدي هذا آخر عذابهما قال هيهات يا مفضل والله ليرون وليحضررون السيد الأكبر محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصدیق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضا وكل من محض الكفر وليقتص منهما بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب^(١).

(١) الجزائرى - الأنوار النعمانية جـ ٢ ص ٨٦ - ٨٧ .

ما موقف كل القوى التي يمكن أن تتدرج تحت لواء التشيع ، إمامية أو غير إمامية فيما رواه الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) من الجزء الثاني وطوال صفحاتي ٨٦ - ٨٧ (أليس ما جاء في هذه الرواية هو نوع من الخرافة والأسطورة والافك المصنوع والبهتان الرخيص الذي لا ينم الا على حقد دفين ضد أصحاب رسول الله بل وضد أهل بيته رضوان الله عليهم وبغير دعوة للتحقيق في الكذب والإفتراء الذي تضمنته هذه الرواية ما ذنب أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في أن يقصا على أمه محمد قبل صليهما وتعذيبهما المزعوم قتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال؟ ، ويبقى السؤال من الذي ضرب الصديقة بنت رسول الله ومن الذي رفس بطنها وأسقط محسناً بينما العباس وعلي و الحسن والحسين وأمّهات المؤمنين من أزواج رسول الله حول فاطمة؟ والمطلوب الاجابة الواضحة القاطعة ، أعتقد الامامية المعاصرة بما يرويه صاحب " الأنوار " من أفك وكفر ، وبهتان؟ إذا كانت الاجابة بنعم فان كل الأمة المسلمة باستثناء الإمامية الإثني عشرية الخمينية ترفض وتقاوم بل وتقاتل مذهباً ينال من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين يجعل مقام الوصي فوق مقام النبي ويجعل من أصحاب النبي أمثلة لمظالم مدعاة لا أصل ولا سند من نقل أو عقل.

ويبقى من جوانب السؤال بعض علامات الاستفهام التي تقض المضجع وتؤرق الضمير هل حقاً وصدقاً يؤمن الغلاة من الإمامية فضلاً عن المعتدلين بأن الأمام الموهوم الغائب يقوم بأمر جديد وعلي العرب شديد ليس شأنه الا السيف ولا يستتيب أحداً^(١). وهل حقاً وصدقاً أنه لن يسير بسير النبي محمد - صلى الله عليه وسلم .

ولنسمع إلى ما يرويه النعماني في كتاب (الغيبة) فيما ينسب إلى أبي جعفر الصادق عندما سئل عن هذا القائم أيسير بسيرة محمد صلى الله عليه وسلم فقال هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته ، قلت جعلت فداك لم ؟ قال إن رسول الله صلى

(١) النعماني - كتاب (الغيبة) ص ٢٣٣ .

الله عليه وآله وسلم سار في أمته باليمن كان يتألف الناس والقائم يسير بالقتل ، بذاك أمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا .

ما رأى الإمام الخميني و الفقهاء من بعده في ما روى المجلسي في (بحار الأنوار) برواية أبي عبد الله لما سئل عن كيفية سيرة القائم قال يصنع كما صنع رسول الله - صلى الله عليه وآله يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله - صلى الله عليه وآله - أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام الجديد^(١) ولو صحت هذه الرواية عند الإمامية لكان عليهم أن ينتظروا ديننا غير دين الإسلام ، ومن ثم فإن القول أو الاعتقاد بمثل هذه الرواية يعتبر خروجاً عن دين الإسلام ، والأمر لا يحتاج لسؤال ، لكننا نعرضه كنموذج من عقائد الغلو .

والعجيب الغريب من أمر هذه المقولات المؤصلة للغلو هو أن الشيعة الأثني عشرية لا يكتفون بتداول هذه العقائد ونشرها والدعوة إليها بل إن عقيدتهم في رجعة القائم ترتبط بعقيدة أخرى تتصل برجعة القائم وهي أن أئمتهم يرجعون إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم لا شيء إلا ليملكوا وينتقموا من أعدائهم ولكي تنسجم المزاعم فإن المجلسي روى عن جعفر أنه قال ، أول من تنشق عنه الأرض ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي وأنه لن يرجع وحده بل يرجع ومعه سبعون رجلاً من أصحابه الذين قتلوا معه .

وفي رواية الجزائري في (الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩) أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفاً من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاثمائة سنة وتسع سنين كما يرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه ثارة منهم ويبدو أن المعركة ستكون عنيفة وشرسة على ضوء ما صور الخيال الأسطوري لأرباب المذهب وقادته فإن الجزائري في الأنوار النعمانية ، والعياشي في (التفسير) وصاحب (البرهان) في ج ٢ ص ٤٠٨ و(الصافي) في ج ٢ ص ٢٥٩ وتحت قول الله تعالى : (ثم رددنا لكم

(١) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٣

الكرة عليهم) اتفقوا على أنه سيساعد الحسين وأصحابه في أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيا ورسولا ويكون أحدهم اسماعيل بن حزقيل .

ما رأى كل الشيعة في الدنيا في هذا النوع من الترهات وهل هي أحاديث نفوس مريضة أم خلجات أمراض نفسية لبعض المصروعين والمشعوذين وهل يمكن أن يقوم دين وأن تستقيم جماعة أو أن تنتشر فضيلة بمثل هذه الترهات وهذا الهراء ؟ حتى ولو كانت مزاعمهم وهى أن بعض المؤمنين ظلموا من بعض المؤمنين صحيحة ، فأين يوم الموازين القسط حين يقوم الناس لرب العالمين . إن الاجيال المؤمنة فى حاجة إلى موقف جماعى من أئمة وعلماء المذهب لتحديد موقف من هذا التراث الخرافى الذى ينسف كل الجسور التاريخية بينهم وبين أمة الإسلام ويهدم كل قواعد الإيمان .

والجواب فى تقديرنا يتعلق بالدرجة الأولى على موقف أولئك الذين يتصدون للفتيا والالتزام بقواعد المذهب ، أهم تقليديون نمطيون متبعون ملتزمون بمعطيات ومقررات الأئمة القدماء وقد أثرت فيهم الثقافات والفلسفات الوثنية أم مجددون مجتهدون مصححون مدركون لمتغيرات العصر وأخطار الغزو الأجنبى على أمة العرب والإسلام؟

وعلى فرض أن فقهاء الثورة التى قادها خمينى فيهم من القدرة النقدية ومن الشجاعة ما يمكن أن يكونوا به نقاداً ولايعولون كثيراً على ما يمكن أن يكون فى نطاق الخرافة والأسطورة فما رأى فقهاء الأئمة الإثني عشرية الذين يتولون إحياء هذا التراث التاريخي للغلاة فيما يذكره المجلسى فى كتابه (تحفة الزائرین) من أن من يريد من الشيعة الاتصال بالمهدى فعليه أن يكتب فى رقعة من الرقاع صيغة معينة ثم يضعها عند قبر أحد الأئمة أو يجعلها فى طين نظيف ثم يرميها فى البحر أو بئر عميقة !! هل حقاً وصدقاً أن الشيعة تؤمن أنه بهذه الطريقة تصل الرقعة إلى الأمام الغائب فينظر فيها.

وكننت أتمنى أن يرد على بعض من قابلتهم فى مناسبات عديدة من علمائهم ما
الرأى فيما قاله من يوصف بأنه صدوق الشيعة ورئيس محدثيهم ابن بابويه القمى
الذى كتب فى كتابه الكلامى تحت عنوان (باب الاعتقاد فى الرجعة) (إعتقادنا فى
الرجعة أنها حق) فهل ما يقوله صدوق الشيعة ابن بابويه القمى حقاً أم باطلاً
وأكرر هل يعتقد الشيعة بقيامة ورجعة قبل اليوم الذى يقوم فيه الناس جميعاً لرب
العالمين ؟

وما يقوله الملا باقر المجلسى صاحب (بحار الأنوار) (أعلم يا أخى أنى
لا أظن أنك لا ترتاب بعدما مهدت وأوضحت لك القول فى الرجعة التى أجمعت
عليها الشيعة فى جميع الأعمار واشتهرت بينهم كالشمس فى رابعات النهار وكيف
يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتى حديث رواه نيف
وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام . ما رأى العلماء وأصحاب الرأى فيهم
- فى عقيدة الرجعة التى يقول بها هؤلاء الأئمة وهى بالشكل الذى ترويه المصادر
الشيعية تقرر بعثاً لبعض خلق الله فى هذه الحياة الدنيا دون مسئولية أو تكليف وهى
عقيدة تتنافى وما جاء فى كتاب الله تعالى من وقوف الخلق يوم القيامة لحسابهم عما
قدموا من خير أو شر . إن المعتقد الشيعى على ما هو عليه فى تراث الأئمة
القدماء لا يعبر الا عن حقد عميق فى قلوب القائلين به بشكل يجعلهم متعجلين
لعذاب مخالفينهم والانتقام من أعدائهم بمعرفتهم هم و تحت اشراف قائمهم وأئمتهم ،
أن الأجيال المؤمنة من أمة الإسلام وهى تنظر إلى ذلك الحشد الاسطورى من
عقائد الأمم القديمة يبرز ويطل فى ثنايا معتقدات المذهب الإمامي تملأهم الحيرة
وتسيطر عليهم البلبلة خاصة وأنه إذا حدث ووجد على الساحة عالم إمامي يرفض
بعض المقولات أو يؤول بعض المعتقدات فإنه غالباً ما يكون مغموراً أو محسوداً
ومن كبار الأئمة والفقهاء منبوذاً .

وأخيراً أود أن أسأل دعاة المذهب وأئمتهم من المعاصرين ما الرأى أو القول
الذى يجابهون به الرأى العام إذا ما خاطبوا "الأخر" وإذا ما سئلوا عما جاء فى
كتاب "الإمامة والتبصرة من الحيرة" الذى كتبه أبو الحسن على بن الحسين

ابن بابويه القمي (والد الشيخ الصدوق) والذي حقق في مدرسة الامام المهدي بالحوزة العلمية قم والذي طبع لأول مرة عام ١٩٨٥م والذي أهدى في صدر صفاحاته الأولى إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين وإلى أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإلى بضعة المصطفى سيدة نساء العالمين وإلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وإلى التسعة المعصومين من ذرية الحسين سيما بقية الله في الأراضين ووارث علوم الانبياء والمرسلين المقدم لقطع دابر الظالمين والمدخر لإحياء معالم الدين الحجة بن الحسن والذي نودى في الكتاب : يا ولي الأولياء ويا مثل الأعداء والسبب المتصل بين الأرض والسماء قد مسناً وأهلنا الضر في غيبتك وجئنا ببضاعة مزجية بولايته فأوف لنا الكيل من فضلك وتصدق علينا بدعائك إنا نراك من المحسنين .

أقول مرة وآلف مرة ما هي دوافع القوى التي تقف وراء نشر هذا التراث على المسلمين وما الحكم في من لم يؤمن بما جاء في هذا الكتاب من صفحات ٢١ إلى ٢٣ والتي جاءت تحت باب (الوصية من لدن آدم عليه السلام والتي افتتح ابن بابويه القمي معالمها ومضمونها بما نسبته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن طريق أبي عبد الله عليه السلام والتي جاءت على الوجه التالي :

(عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم : أن سيد النبيين، ووصيي سيد الوصيين وأوصياؤه سادة الأوصياء).

إن آدم عليه السلام سأل الله تعالى أن يجعل له وصياً صالحاً ، فأوحى الله عز وجل إليه : إنني أكرمت الأنبياء بالنبوة ، ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء .

فأوحى الله إليه : يا آدم . أوصي إلى شيث ، وهو هبة الله بن آدم . وأوصي شيث إلى ابنه شبان ، وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثاً . وأوصي شيثاً إلى مخلص . وأوصي مخلص إلى محوق . وأوصي محوق إلى عثمينا . وأوصي عثمينا إلى أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه

السلام وأوصى ادريس إلى ناحور ودفعها ناحور إلى نوح النبي عليه السلام وأوصى نوح إلى سام وأوصى سام إلى عثامر - وأوصى عثامر إلى بوعثاباشا . وأوصى بوعثاباشا إلى يافث إلى بردة . وأوصى بردة إلى حفه . وأوصى حفه إلى عمران . ودفعها عمران إلى إبراهيم عليه السلام . وأوصى إبراهيم إلى ابنه اسماعيل . وأوصى اسماعيل إلى اسحاق وأوصى اسحاق إلى يعقوب . وأوصى يعقوب إلى يوسف وأوصى يوسف إلى بثربا . وأوصى بثربا إلى شعيب ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران عليه السلام . وأوصى موسى إلى يوشع بن نون . وأوصى يوشع إلى داود النبي . وأوصى داود إلى سليمان . وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا . وأوصى آصف إلى ذكريا ودفعها ذكريا إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا . وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر . وأوصى منذر إلى سليمة . وأوصى سليمة إلى بردة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ودفعها إلى برده : وأنا أدفعها إليك يا علي . وأنت تدفعها إلى وصيك . ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد أحد ، حتى تدفع إلى خبر أهل الأرض بعد . ولتكفون بك الأمة ، ولتختلفن عليك اختلافاً كثيراً شديداً . الثابت عليك كالمقيم معي ، والشاذ عنك في النار (والنار مثنوى الكافرين) (١) .

ونعقب على هذه الرواية والتي يبرز فيها التراث الاسرائيلي كأبرز وأوضح ما يكون بجوانبه العرقية والعنصرية وتتجلى فيها عقيدة التناسخ الهندية والثقافة العرقية في تقديس بيوت فارس القدماء والتي يجزم بالقطع كل من تتلمذ على يد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ويعرف قدرا من هديه صلى الله عليه وسلم أن مثل هذا النمط من التراث الخرافي لا سند له ، وهذا الشكل من البيان لا يمكن أن يصدر من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ناهيك عن فساد الدلالة وضحالة الهدف المبتغى فكان الله - تعالى الله - على ضوء ما تقول هذه الرواية لم يخلق ولم يرسل الرسل

(١) أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الامامة والتبصرة من الحيرة) طبعة عام ١٩٨٥م ص ٢٢ .

الا من أجل خاتم الأوصياء هذا الذى عندما ظهر كما تقول النبؤات الإمامية سيبدأ بقتل العرب بالانتقام من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم .

وأنا أسأل وأظن أنه من اليسير أن يجيب دعاة المذهب ما حكم من لا يؤمن بمثل هذه الروايات والتي امتلأت بها الكتب الأمهات فى مذهب الإمامية ؟ وهل هى ضرورية لا يصح إيمان المؤمن بمذهب الشيعة الإثني عشرية الا بها وبمثلها ، ما الذى يحكم به أئمة المذهب الشيعى على أمة الاسلام من خلفاء وأمرء وفقهاء وعلماء ورجال قدموا أرواحهم لنشر دعوة الإسلام والحفاظ عليها ولا يعتقدون بصحة هذا التراث الذى لا سند له ولا دليل، وماعنى موالاة قادة المذهب وفقهائه لبعض الانظمة السياسية ممن تدين بالإسلام ولا تؤمن بمقومات المذهب الإمامي ؟ ومقالاته التراثية والعقدية ؟؟ .

زواج المتعة وقصته المخزية

كانت معظم المجتمعات الإسلامية لا تعرف شيئا عن مذهب الإمامية الإثني عشرية قبل امكان قيام نظام لهم يعتمد المذهب وعقائده وبعضها الآخر حديث عهد بالتعرف على الإسلام والوقوف على ثقافته وعطائه لكن المد الثقافي الذي تواكب مع سيطرة أئمة المذهب على كيان مجتمع طالما قدم بعض أبنائه بعض عطاءات فكرية وروحية أثمرت إيجابا في تاريخ أمة الإسلام. والسؤال هنا ما الذي يمكن أن يتعرض له دعاة المذهب رجالا ونساء إذا ما ذهبوا إلى مجتمعات غير إمامية وعرفوها بمقومات وأصول وفروع وآداب المذهب الإمامي في هذا المعتقد المهيمن اليوم .

ولا أدري أى حرج يمكن أن تتعرض له المرأة الشيعية وبعضهن أصبحن عضوات في حزب الثورة أو حرس الثورة ثم بعد ذلك في البرلمان إذا ما ذهبن داعيات في مجتمعات تغار على الفضيلة وتحافظ على العرض بل وقد تقوم للحرب إذا ما خدش بالقول أو الفعل عرض امرأة أو تعرضت لأذى وعدوان. لكن الذي يبقى قائما ويلح بالسؤال ينتظر إجابة قاطعة هو ما حكم زواج المتعة اليوم عند الإمامية؟

وقد يقول قائل إن زواج المتعة كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن كثيرا من أصحابه ما رسوه وأن الذي حرمه هو عمر بن الخطاب وليس أحدا غيره وأن كثيرا من أصحاب رسول الله اعترضوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونحن لا نريد هذا الأمر جدالا فقهيا ولا تبادلا لتناقض مذهبي كما أننا لا نريد أن نوضح الفرق بين دواعي ومقتضيات وأسلوب زواج المتعة على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين ما وقع بعد أن حرمه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد حرم زواج المتعة ونهى عنه في آخر أيامه لكن - وعلى ضوء ما اطلعنا عليه من كتب العلماء والأئمة الثقات من القدماء حول هذه القضية التي اختلف حولها

الشيعة والسنة من زمن سحيق وكان من الممكن الا يكون هذا الموضوع له الأهمية أو المبرر القوي لعرضه للمناقشة لولا أن بعض العلماء المعاصرين من فقهاء الشيعة الإمامية يطالعون أمة الإسلام وخاصة بسيل من المنشورات والمصادر التي تبرهن على أن القول بزواج المتعة لا يختلف حوله أحد من الشيعة القدامى والمحدثين وكان آخرها ما كتبه توفيق الفكيكي بعنوان: (المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي). وقد حقق الكتاب وعلق عليه هشام شريف همدى ونشرته دار الأضواء وجاءت الطبعة الأولى المحققة عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م والطبعة الثانية المحققة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. والطبعة الأولى تتضمن مقدمة لمن يسمى حجة الإسلام وعلم الاعلام الإمام الشهير والمصلح الكبير الشيخ محمد الحسين آل كائف الغطاء قدس الله روحه ونور ضريحه. كذا.

والكتاب له دوافع باعثة على التأليف فهو رد على كتاب السائح المصري الذي وضعه عقب جولته في ربوع الشرق الأدنى ولا نريد أن ندخل في جدل مع المصنف الشيعي ولا ندافع عن السائح المصري محمد ثابت الذي أفاض مصنف المتعة وأثرها في (الإصلاح الاجتماعي) حين قال أنه استرعى نظره في النجف أن كثيرا من الاطفال يلبسون في إزائهم حلقات خاصة هي علامة على أنهم من ذرية زواج المتعة المنتشر بين الشيعة جميعا وبخاصة في بلاد فارس. ولكن اعتمادا على ما أطلعنا عليه في المصادر الأمهات وبأقلام كبار أئمة المذهب الإمامي نطرح سؤالنا أمام جمهور الفقهاء الإماميين ولا نود بهذا السؤال أن يدور حول استمرار واستبقاء أباحة نكاح المتعة بعد النبي من عدمه أي أننا لا نريد أن يدور الاستفسار حول الخلاف بين أهل السنة والشيعة في هذه القضية ولكننا نريد أن نعرف وبشكل قاطع، أنكاح المتعة الذي يقول به فقهاء المذهب من القدماء المعاصرين هو على ضوء ما في كتب الأئمة القدماء من مقولات وأطروحات ونماذج ومعتقدات؟ أم أن نكاح المتعة له معنى ودلالة ومسمى واعتبارا غير الذي تقول به مصادر الأئمة القدماء؟

ولابد هنا من الإشارة إلى أن نكاح المتعة من أركان المذهب وقواعده وتمتلىء به مصادرهم.

نكاح المتعة في تراث الإمامية:

هل يعتقد الفقهاء المعاصرون صحة ما قال به الملا فتح الله الكاشاني في النص الفارسي لكتاب (تفسير منهج الصادقين ج ٢ ص ٤٨٩) من أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع. وهل تعتبر رواية (حضرة من خصه الله بالطف الأبدي خاتم مجتهدى الإمامية بالتوفيق السرمدي الغريق في بحار رحمة الله الملك الشيخ على بن عبد العال روح الله روحه) في رسالته التي كتبها في باب المتعة (من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار ومن تمتع ثلاث عتق كله من النار).

وهل حقا وصدقاً رواية صاحب (تفسير منهج الصادقين) ج ٢ ص ٤٩٣ من أن نبي الله محمد - صلى الله عليه وسلم - قال: "من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحسين عليه السلام ومن تمتع مرتين كان درجته كدرجة الحسن عليه السلام ومن تمتع ثلاث مرات كان كدرجة على بن أبى طالب عليه السلام ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي).

والمعنى البدهى الواضح لمثل هذه الرواية أن أى أمامى يستطيع أن يبلغ درجة النبي - صلى الله عليه وسلم - فى بضع ليال مع بضع نساء ينكحهن متعة فهل يؤمن العلماء المعاصرون من أهل المذهب بمثل هذه الروايات وما هو الموقف الفقهي من قول القائل: إن بعض الشيعة يرون المتعة عيباً وان كانت حلالاً مثلما صرح بذلك السيد محسن أمين فى كتابه (أعيان الشيعة) ومن صفحة ١٥٩ عندما قال: والشريعة فى كل مكان ترى المتعة عيباً وان كانت حلالاً وليس كل حلال يفعل والعجيب الغريب كيف تكون المتعة فى الطباع والأعراف عيباً بينما هى فى الدين حلالاً؟

كما أن جوانب من السؤال لا تزال قائمة: هل حقاً وصدقاً ما نسبته البحراني في كتاب (البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٣٦٠) وكذلك الكليني في (الكافي) ج ٥ ص ٤٤٨ وغيرهما من أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه - قال: (لولا ما سبقنى به ان الخطاب مازنا الا شقى).

وبعض جوانب السؤال تقول للعلماء المعاصرين : أن الكليني في الفروع من الكافي يروى رواية يقول فيها: سئل أبو عبد الله وهو الإمام السادس عن رجل تمتع بامرأة بغير شهود فكان جوابه او ليس عامة ما تتزوج فتياتنا ونحن نتعرق الطعام على خوان ونقول يا فلان زوج فلانة فيقول نعم.

أو يصح مثل هذا النكاح عندا علماء وفقهاء المذهب؟ وما الفرق إذن بين هذا النوع من العلاقة الجنسية وبين البغاء والسفاح؟

ولا زالت جوانب السؤال قائمة؟ : هل حقاً وصدقاً يا علماء المذهب صحة نكاح المتعة حتى بالزانية كما قال الإمام الخميني في (تحرير الوسيلة) ص ٢٩٢ من طبعة قم بايران وما قاله في القول بما أسماه النكاح المنقطع وبالمسائل التي أوردها في كتابه (تحرير الوسيلة ج ٢ صفحات ٢٦٢ - ٢٧٣ الذي طبع عام ١٩٨٧ تحت اشراف سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإذا كان القول بنعم فما السرائر في هاتين الروايتين اللتين رواهما الطوسي وغيره (عن فضل مولى محمد بن راشد أنه قال لجعفر الصادق إنى تزوجت امرأة متعة فوق في نفسى أن لها زوجاً ففتشت عن ذلك فوجدت لها زوجاً قال - أى جعفر - ولم فتشت وقال ليس هذا عليك إنما عليك أن تصدقها في نفسها.

أكرر القول: ما رأى علماء المذهب في هذا النوع من البغاء؟ وهل يمكن أن يقدم كنمط من العلاقات الاجتماعية لأى شعب في العالم على أنه من تشريع الإسلام؟ أعتقد أنا أنه مستحيل وألف مستحيل خاصة أن أبعاد هذا النوع من الإستباحة لا ضوابط له ولا حد وأما عند كبار الأئمة فقد نسب للكليني في الفروع من الكافي ج ٥ ص ٤٦٣ من أن الإمام جعفر سئل عن الجارية يتمتع بها الرجل قال

نعم ألا أن تكون صبيبة تخذع. قال: قلت أصلحك الله فكم الحد الذي إذا بلغته لم تخذع؟ قال : بنت عشر سنين.

والعجيب الغريب أنه لا بأس كما قال الأئمة الثقات عن جعفر لا بأس بتزويج البكر إذا رضيت بغير إذن أبويها.

ولست أدري كيف يمكن أن تتقبل من فقهاء المذهب وأئمة لجان حقوق الإنسان ومنظمات النساء إذا قيل لهذه المنظمات إن صاحب كتاب (الإستبصار) وهو من الأئمة الثقات عند الشيعة الإمامية يقول في ج ٣ ص ١٤٧ إن أبا جعفر قال: المتعة ليست من الأربع لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث وإنما هي مستأجرة، والكليني في الفروع من الكافي ج ٥ ص ٤٥٧ يروى عن أبي عبد الله أنه عندما ذكرت له المتعة وقيل له : أهى من الأربع؟ قال تزوج منهن ألفا فإنهن مستأجرات. كما روى الأئمة عن أبي جعفر أنه سئل عن متعة النساء قال: حلال وأنه يجزئ فيه درهم فما فوقه ولا ندري كم بلغ الصداق اليوم وهل مهور المتعة ، أو قل أسعارها لا تزال بهذا النوع من الأجر الرمزي؟ خاصة وأن جعفرا كان يقول يجزئه كف من بر أو كف من طعام دقيق أو سويق أو تمر. وأيضا لا تزال جوانب السؤال قائمة خاصة وأنه لم يتعرض بالإجابة لمثل ما نتعرض له وما تقضى به الضرورة ما رأى لو سئل دعاة المذهب وفقهائه من قبل أمة الإسلام التي لا تدين بالمذهب الإمامي: هل للرجل أن يتمتع بالمرأة الواحدة مرات كثيرة أى يقوم بعقد استمتاع مرة بعد الأخرى؟ هل يجيب كما ادعى الأئمة القدماء مثل الكليني على جعفر الصادق من أنه قال فى الرجل يتمتع بالمرأة مرات: لا بأس يتمتع بها ما شاء لأن هذه مستأجرة.

وهل يمكن فى أى معيار أن يقبل العقل اعتبار أن هذا النوع من العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة شرعية بأن يقال كما يقول صاحب الفروع من الكافي وهو الإمام الكليني فى ج ٥ ص ٤٦١ من أن للمتمتع بها أن يحاسب الممتوع على أجرته التي أعطاه إياها ويخصم منها حسب العمل كما روا عن أبي الحسن أنه سئل أن الرجل يتزوج المرأة متعة تشترط له أن تأتية كل يوم حتى توفيه شرطه أو تشترط

أياماً معلومة تأتيه فيها فتغدر فلا تأتيه على ما شرطه لها؟ فهل يصلح له أن يحاسبها على ما لم تأت به من الأيام فيحبس عنها من مهرها بحساب ذلك؟ قال: نعم ينظر ما قطعت من الشرط فيحبس عنها من مهرها بمقدار ما لم تف له ما خلا أيام الطمث فإنها لها.

وهل حقاً وصدقاً أن هذا النوع من البغاء هو المعنى بما نسبوه إلى جعفر الصادق حين قال على ضوء ما ورد عند الملا الكاشاني في (تفسير منهج الصادقين ج ٢ ص ٤٩٥):

(إن المتعة من ديني ودين آبائي فمن عمل بها عمل بديننا ومن أنكرها أنكر ديننا واعتقد بدين غيرنا، والمتعة مقربة إلى السلف وأمان من الشرك وولد المتعة أفضل من ولد النكاح ومنكرها كافر مرتد ومقرها مؤمن موحد لأن له في المتعة أجران أجر الصدقة التي يعطيها المستمتعة وأجر المتعة).

هذا وقد روى الطوسي في (الاستبصار ج ٣ ص ١٤١) عن أبي الحسن الطائري أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج؟ قال لا بأس به كما رواه عن أبيه مثل هذا لقد روى الطوس أيضاً عن زرارة أنه قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: الرجل يحل جاريته لأخيه قال لا بأس به.

كما أننا نود أن نسأل مدرسة الفقهاء من أئمة المذهب المعاصرين بما إذا يحكم على ما جاء بشأن هذا الإثم الذي يقول به فقهاء الشيعة القدماء وبما إذا يردون على وجوه التحريم القاطعة التي يؤمن بها أهل الإسلام في شتى بقاع الأرض مما جاء بشأن تحريم نكاح المتعة والتي منها مثلاً: ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما وقد سأله رجل عن المتعة فقال حرام قال فإن فلانا يقول بها فقال ، والله لقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمها يوم خيبر وما كنا سائحين.

والتي منها ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتطول غربتنا فقلنا ألا نخصي يا رسول الله فنهانا

ثم رخص لنا أن نتزوج إلى أجل بالشئ ثم نهانا عنها يوم خبير وعن لحوم الحمر
الإنسية.

ومنها كما جاء عن ثعلبة بن الحكم من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم
خبير عن المتعة.

ومنها ما جاء عن زيد بن خالد الجهني مما رواها الطبراني في مجمع الزوائد
ج ٢ / ٢٤٥ / ٦ / ٢٤٦ قال: كنت أنا وصاحب لي نماكس امرأة في الأجل وتماكسنا
فأتانا آت فأخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم نكاح المتعة وحرم أكل
كل ذي ناب من السباع والحمر الإنسية، ومنهما ما أخرجه مسلم في صحيحه ج ٥ /
١ / ١٧٩ / ١٩٠ من أن الإمام علي بن أبي طالب قال لابن عمه عبد الله بن عباس
لما بلغه أنه يرخص في المتعة إنك أمرؤ تائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرم نكاح المتعة ولحوم الحمر الإنسية عام خبير.

وقد أخرج الدار قطني عن علي رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن المتعة ، قال إنما كانت لمن لا يجدها ؟ فلما نزل النكاح والطلاق
والعدة والميراث بين الزوج والمرأة نسخت . ولا نود أن نستطرد في هذا الباب
فنذكر رأى أم المؤمنين عائشة رضي عنها حين سئلت عن المتعة وقالت " بيني
وبينكم كتاب الله قال الله عز وجل: (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى غير ما روجه الله فقد عدا.

كما أننا لا نود أن نستعرض رأى كبار الصحابة كعبد الله بن الزبير الذي قام
بمكة يقول : " أن أناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة.

ولا رأى: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان يقول (المتعة منسوخة
نسخها الطلاق والصداق والعدة والميراث).

كما أن موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه - ثابت ومؤكد في النهي عن
نكاح المتعة ، ففي صحيح مسلم عن طريق أبي نضرة قال وكنت عند جابر بن عبد
الله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين - يعنى الحج والنكاح

- فقال جابر: فعلنا هما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما^(١).

لما أنكر على بن عباس الترخيص في متعة النكاح حين قال له: أنك أمرؤتائه إن رسول الله حرم متعة النساء وحرم لحوم الحمر الأهلية عام خبير^(٢).

ومن هنا يتضح تماما أن نهى عمر بن الخطاب نكاح المتعة مستند إلى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلمه باختصاص الصحابة بها دون غيرهم مؤقتا ثم حرمت. هذا ويلحق بنكاح المتعة عند الإمامية الذي ابتدعوه بعد تحريمه واستدلوا له وجوها من الاستدلال باطلة بعد أن امتثل صحابة رسول الله للنهي عنه. يلحق بهذا الموضوع موقف الشيعة من نكاح الشيعي بغير الشيعية وموقفهم أيضا من نكاح غير الشيعي بالشيعة. وواضح بداهة قبل الدخول في معالجة هذا الجانب أن هذا الموقف من القضايا والعقائد التي تأثر فيها الإمامية بمنهج وعقائد وأساليب اليهودية الأرثوذكسية.

وهذا الموقف جاء نتيجة تكفير أو تفسيق الشيعة لمن عاداهم خاصة أهل السنة الذين كثيرا ما يصفهم الشيعة (بالعوام) أو (النواصب).

وفي هذا نقول المصادر الإمامية فيما نسبوه إلى عبد الله بن سنان أنه قال (سألت أبا عبد الله عليه السلام - عن الناصب وعداوته هل يزوجه المؤمن وهو قادر على رده وهو لا يعلم؟

قال: لا يتزوج المؤمن ولا يتزوج الناصب مؤمنة ولا يتزوج المستضعف مؤمنة)

وعن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لامرأتى أختا عارفة على رأينا وليس على رأينا بالبصرة الا قليل. أما أزوجه بمن لا يرى رأيها؟

(١) النووى على مسلم ج ٥ / ١ / ١٨٤ والسنة الكبرى ٧ / ٢٠٦

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٣٣ ص ٩٦.

قال: لا ولا نعمة أن الله عز وجل يقول: فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن.

كما نسب إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن نكاح الناصب فقال لا والله لا يحل : أي أن الأمر عند الإمامية في هذا المجال يمثل نظرة مذهبية ضيقة ذلك أنهم يجعلون لليهودية والنصرانية أولوية في النكاح على المرأة المسلمة من أهل السنة. فعن عبد الله بن سنان عن ابن عبد الله عليه السلام قال: سأله أبي وأنا أسأل عن نكاح اليهودية والنصرانية فقال : نكاحهما أحب إلى من نكاح الناصبية.

وقد نقل عن سليمان الحمار عن أبي عبد الله أنه قال: لا ينبغي للرجل منكم أن يتزوج الناصبية ولا يزوج ابنته ناصبياً ولا يطرحها عنده.

وإذا كان من الممكن جدلاً ومراء أن تتقبل هذه الروح العدوانية ذات النظرة المذهبية المتعصبة من فقهاء قداماء، فالعجيب الغريب أن يقول الإمام الخميني في المرجع التشريعي (تحرير الوسيلة) ومن ج ٢ ص ٢٨٦ : (لا يجوز للمؤمنة أن تنكح الناصب وكذا لا يجوز للمؤمن أن ينكح الناصبية لانهما بحكم الكفار وان انتحلا دين الإسلام).

وهنا يطرح السؤال نفسه للإمام الخميني: كيف توفق بين تناقضات المذهب الذي تنتمي إليه بحكم كونك المرجع الأعلى لفقهه وتشريعه كيف توفق بين تناقضات المذهب حين يقول الأئمة القداماء ممن هم على شاكلتك بجواز نكاح الإمامي من اليهودية والنصرانية على ما قالوه واعتقدوه وعملوا به ضد أمة الإسلام على مدى التاريخ الطويل ولم تجعل اليهودية أو النصرانية في حكم الكافرة بينما جازمت بكفر المرأة المسلمة التي لا تعتقد في صحة ما عليه الشيعة الإمامية أو التي لا تعتقد بأن الأئمة في المذهب عندهم علم المنايا والبلايا والانساب وفصل الخطاب أو أنهم يرون الرجل بحقيقة الايمان وحقيقة النفاق بينما هي تؤمن كما يؤمن كل مسلم بقول الله تعالى مخاطباً النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - في شأن النفاق والمنافقين "وممن حولكم من أهل المدينة " الآية.

اضطراب الأئمة في رواية " نكاح المتعة "

بدأت روايات إباحة نكاح (المتعة) باضطراب شديد و تناقض واضح و ذلك من الرويات المتعلقة بهذا الموضوع في مصادر الشيعة فهي ما بين الإباحة والحرمة على لسان الأئمة المعترين فعلى لسان الذين لفقوا الروايات و استدلوا بالنصوص المنسوبة إلى كبار الأئمة بل إلى النبي صلى الله عليه و سلم بالإباحة بل و بالدعوة إلى العمل بنكاح المتعة أو ردوا مفتريات ودعاوى عديدة جاءت على لسان الأئمة الكبار من آل بيت النبي صلى الله عليه و في نفس المصادر الشيعية جاءت روايات و أدلة قاطعة بحرمة نكاح المتعة واعتبارها زنا وسفاحا فمثلا من الأكاذيب والمفتربات ما ادعاه صاحب " الاحتجاج: الطبرسي من ان النبي صلى الله عليه و سلم قال : من خرج من الدنيا و لم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجذع^(١) وأقبح من هذا الافتراء على رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ادعوه من أنه صلى الله عليه وسلم قال (من تمتع مرة أمن من سخط الجبار ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان^(٢)).

ولا هذا فحسب بل صرحوا بأسماء أهل البيت و شخصياتهم الذين جعلوهم غرضا لأسنتهم المشرعة، وسيوفهم المشهورة، وما أقبح التعبير وما أفضع الكذب والبهتان، فيفترون على نبي الله الطاهر المطهر صلوات الله و سلامه عليه أنه قال :

من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحسين عليه السلام - الإمام الثالث المعصوم حسب زعمهم - ومن تمتع مرتين كان درجته كدرجة الحسن عليه السلام - الإمام الثاني المعصوم المزعوم - ومن تمتع ثلاث مرات كان درجته كدرجة

(١) المرجع صفحة ١٧

(٢) " تفسير منهج الصادقين " ج ٢ ص ٤٩٣.

على بن أبى طالب عليه السلام^(١) - الإمام المعصوم الأول لديهم ، ختن رسول الله وابن عمه - ومن تمنع أربع مرات فدرجته كدرجتي " (٢) .

فلننظر إلى الأكاذيب التي نسجت على رسول الله ﷺ والافتراءات التي تقولت عليه، وإلى عمارة الإسلام كيف هدمت، وإلى الشريعة أنها كيف عطلت، وإلى أهل بيت النبوة كيف أهينوا وجعلوا مساوين لأهل الأهواء والهوس، وكيف عدلوا بالفسقة والفجرة ؟ والعجيب الغريب الذي يدل على وضعية هذه " الفرية " جواز نكاح المتعة ان الذين قابلناهم من الشيعة " عامه و شيوخ " رجالا و نساء وتحدثنا اليهم يرون نكاح المتعة " عيبا " ويستقبحونه وان كانوا يقولون إنها حلال لكن ليس كل حلال يفعل أو بعد ذلك يدعى القوم بأنهم محبون لأهل البيت وموالون لهم ؟ هذا وللقوم شنائع فى هذه المسألة الخطيرة التي لا تزال تطالعنا منها ما اخترعوه ونسبوه إلى محمد الباقر-الإمام الخامس عندهم - أنه قال :

إن النبي صلى الله عليه و آله لما اسرى به إلى السماء قال : لحقنى جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد إن الله تبارك و تعالى يقول : إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء " (٣)

وذكر الطوسى مفتريا على أبى الحسن-الإمام العاشر عند الشيعة - أنه قال له على السائى : جعلت فداك : أنى كنت أتزوج المتعة فكرهتها وتشائمنا بها فأعطيت الله عهدا بين الركن والمقام وجعلت على ذلك نذرا وصيامات أن لا أتزوجها ثم إن ذلك شق علي وندمت على يميني، ولكن بيدي من القوة ما أتزوج فى العلانية، فقال لى :

عاهدت الله أن لا تطيعه ! والله لئن لم تطعه لتعصينه " (٤) .

(١) أنظر (أعيان الشيعة للسيد محسن أمين ص ١٥٩) .

(٢) " تفسير منهج الصادقين " ج ٢ ص ٤٩٣ .

(٣) من لا يحضر الفقيه لابن بابويه القمى الملقب بالصدوق - وهو الكنوب - ج ٣ ص ٤٦٣ .

(٤) تهذيب الاحكام للطوسى - أحد الصحاح الأربعة - ج ٧ ص ٢٥١ ، الفروع من الكافي ج ٥ ص

وأیضا رَوَا عن أبی عبد الله جعفر الصادق - وهم یكذبون علیه - انه قال :
المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله صلى الله علیه
وآله ^(١) . كما كذبوا علی علی بن أبی طالب عليه السلام أنه قال :
لولا ما سبقتنی به ابن الخطاب یعنی عمر مازنی إلا شقی ^(٢) .

وحكوا فی ذلك قصة طریفة تنبئ عما تخفيه الصدور ، والراوى هو محدث
القوم الكبير محمد بن یعقوب الكلینی عن رجل من قریش أنه قال : بعثت إلى ابنة
عمة لى كان لها مال كثير تقول قد عرفت كثرة من یخطبنى من الرجال فلم
أزوجهم نفسى ، و ما بعثت إليك رغبة فی الرجال غیر أنه بلغنى أنه أحلها الله عز
وجل فی كتابه وبينها الرسول صلى الله علیه و آله فی سننه فحرمها زفر - یعنی
عمر كما صرح به فی الهامش - فأحببت أن أطیع الله عز وجل فوق عرشه ،
وأطیع رسول الله صلى الله علیه و آله ، وأعصى زفر ، فتزوجنى متعة ، فقلت لها : حتى
أدخل علی أبی جعفر علیه السلام فاستشيره ، فدخلت علیه فخبرتة ، فقال : أفعل ،
صلى الله علیكما من زوج ^(٣) .

وشددوا فی التحريض علی هذه القبيحة حتى نسبوا إلى جعفر بن محمد الباقر
أنه قال :

ليس منا من يؤمن بكرتنا - رجعتنا - ويستحل متعتنا ^(٤) .

(١) الاستبصار للطوسى ج ٣ ص ١٤٢ باب تحليل المتعة
(٢) السبرهان فی تفسير القرآن للبحرانی ج ١ ص ٣٦٠ و تفسير العياشى ج ١ ص ٢٣٣ و تفسير
الصفارى ج ١ ص ٣٤٧ و الكافي للكلینی ج ٥ ص ٤٤٨ ومجمع البيان للطبرسى ص ٣٢
(٣) " الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٥٥ .
(٤) " كتاب الصفارى " للكاشانى ج ١ ص ٣٤٧ ، أيضا " من لا يحضر الفقيه " ج ٣ ص ٤٥٨ .

المتعة وكيف تكون وكيف تتحقق :

مما قد يستقر في خلد بعض الناس أن نكاح المتعة مثل النكاح الشرعى غير أنه محكوم بوقت وأجر وليس في نية الزوج التأييد لكنها فترة وله بعد ذلك ما يشاء لكن الأمر عند القوم أيسر وأبسط من ذلك بكثير الأمر أشبه بالسيناريو أو الحوار الذي يتم بين رجل وامرأة التقيا على غير سابق عهد في مطعم أو مرقص واتفقا على قضاء بعض الوقت ليلة أو ساعة أو أقل وأكثر، عمل يقابله أجر هكذا بالضبط ينسب إلى أئمة فقههم لهذه القضية الخطيرة فقد سئل الإمام جعفر الصادق من قبل رجل قال له كيف أقول له إذا خلوت بها قال : "حاشاه" .

" كيف أقول لها إذا خلوت بها ؟ قال : تقول : أتزوجك متعة على كتاب الله وسنة نبيه، لا وارثة ولا موروثة، كذا وكذا يوما وإن شئت كذا وكذا سنة، بكذا وكذا درهما، وتسمى من الأجر ما تراضيتما عليه قليلا كان أم كثيرا " ^(١) وأما عن باقى جوانب اتمام لعبة " المتعة " فقد سئل الإمام السادس أبو عبد الله - جعفر الصادق عن رجل تمتع بامرأة بغير شهود ، قال : أو ليس عامة ما تتزوج فتياتنا ونحن نتعرق الطعام على الخوان ونقول : يا فلان زوج فلان فلانة ؟ فيقول : نعم " ^(٢) .

وفى ظل ذلك الطرح الإباحي فيكون من المتصور أن يتوسعوا فى حجم المفتریات و ينسبون إلى الأئمة قولهم بجواز المتعة من كل النساء حتى بالزوجة التي تحت زوجها فقد روى عن جعفر الصادق قوله: لا بأس بالرجل أن يتمتع بالمجوسية ^(٣) .

وبالنصرانية واليهودية، كما نقلوه عن أبى الحسن الرضا ^(٤) .

(١) " الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٥٥ .

(٢) الفروع من الكافي " ج ٧ ص ٢٥٦ . أيضا " الاستبصار " ج ٣ ص ١٤٤ .

(٣) " تهذيب الاحكام " ج ٧ ص ٢٥٦ . أيضا " الاستبصار " ج ٣ ص ١٤٤ .

(٤) كتاب شرائع الإسلام " من كتب الفقه المشهوره لجعفر بن الحسن ص ١٨٤

وبالفاجرة لأنه يمنعها بها من الفجور - حسب زعمهم^(١)

وحتى الزانية كما صرح بذلك الإمام الخميني^(٢)

وسئل أبو الحسن عن المتعة بالفراش فأذن بها^(٣)

وهناك روايتان مذهبتان تنبئان عن حقيقة المتعة رواهما الطوسي وغيره .

" عن فضل مولى محمد بن راشد أنه قال لجعفر الصادق : إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجا ، ففتشت عن ذلك ، فوجدت لها زوجا ، قال - أي جعفر - : ولم فتشت ؟ " ^(٤)

وقال : ليس هذا عليك ، إنما عليك أن تصدقها في نفسها " ^(٥)

" لا بأس بتزويج البكر إذا رضيت بغير إذن أبيها " ^(٦)

وقال الحلبي في كتابه الفقهي المشهور : للبالغة الرشيدة أن تتمتع بنفسها ، وليس لوليها اعتراض بكرا كانت أو ثيبا ^(٧) ولا يوجد حد أقصى للرجل من النساء اللاتي يستمتع بهن فلو كان رجلا مثل " العجل الفريز يان " ورغب حتى في الف امرأة مجتمعات أو متفرقات فله ذلك الحق ولا بأس عليه بل الثواب والجزاء بالمكيال الشيعة في انتظاره يوم القيامة وفي ذلك قالوا : إن أبا جعفر قال : المتعة ليست من الأربع ، لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث ^(٨) ، وإنما هي

(١) " تهذيب الاحكام " ج ٧ ص ٢٥٣ .

(٢) " تحرير الوسيلة " للخميني ص ٢٩٢ ط قم - ايران .

(٣) الاستبصار ج ٣ ص ١٤٤ .

(٤) " تهذيب الاحكام " ج ٧ ص ٢٥٣ .

(٥) الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٦٢

(٦) " تهذيب الاحكام " ج ٧ ص ٢٥٤ .

(٧) شرائع الإسلام " لنجم الدين الحلبي المتوفى ٦٧٦ هـ ج ٢ ص ١٨٦ ط طهران ١٣٧٧ هـ .

(٨) " لا أرثك ولا ترثني ، و لا اطلب ولدك لأجل مسمى " - أبو عبدالله - " تهذيب " ج ٧

مستأجرة " (١) وكذلك فعل ابنه أبو عبدالله لما ذكروا له المتعة وقالوا له: أهى من الأربع ؟ قال : تزوج منهن ألفا ، فإنهن مستأجرات (٢) .

لكن السؤال ما هو الحد الأدنى للأجر ؟ ، وقد سبق أن أشرنا إليه.

رووا عن أبي جعفر أنه سئل عن متعة النساء ، قال : حلال ، وأنه يجزئ فيه درهم فما فوقه " (٣) " الصداق "

أعنى الأجره فالتمتع بها لا صداق لها فى المذهب إنما هى أجيرة تأخذ أجرا ومن البداهة أن الأجر أو الثمن عرض و طلب فقد تعطى امرأة درهم وأخرى ألف ألف !!؟

الحد الأدنى لزمان المتعة

اللافت للنظر أن الوضع المزرى للمرأة فى الفقه الذى ينسبه الغلاة لأئمة أهل البيت وهم بالقطع منه أبرأ ما يكون المسلم عن الكبائر دفعهم إلى القول بجواز نكاح المتعة ساعة من الزمن تقل عن ذلك أو تزيد حسب قضاء الحاجة الجنسية عند الرجل ولو لمرة واحدة ثم يتركها و ينصرف حتى من غير أن يسمعها : أنها طالق ، ولماذا ؟ لأن المستمتع بها لا يحق لها عند القوم أن تطلق ، وفى ذلك رووا عن أبى الحسن - الإمام العاشر عندهم - أنه سئل :

" كم أدنى أجل المتعة ؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة ؟ قال : نعم ، و عن جده أبى عبدالله على عرد واحد - أى مرة - فقال : لا بأس ، ولكن إذا فرغ فليحول وجهه ولا ينظر " (٤) .

(١) " الاستبصار " ج ٣ ص ١٤٧

(٢) " الاستبصار " ج ٣ ص ١٤٧ ، أيضا " تهذيب الاحكام " ج ٧ ص ٢٥٩ .

(٣) " الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٥٧ .

(٤) " الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٦٠ ، أيضا " الاستبصار " ج ٣ ص ١٥١ .

كما له أن يتمتع بها مرات كثيرة كما روى أنه سئل جعفر الصادق في الرجل يتمتع بالمرأة مرات ، قال : لا بأس ، يتمتع بها ما شاء - و أبوه محمد الباقر صرح كما روى عنه " نعم كم شاء ، لأن هذه مستأجرة " (١) .

و للممتنع أن يحاسب الممتنع بها على " الأجرة " التي أعطاها إياها و يخصم منها حسب العمل ، كما روى عن أبي الحسن أنه سئل " إن الرجل يتزوج المرأة متعة تشترط له أن تأتيه كل يوم حتى توفيه شرطه ، أو تشترط أياما معلومة تأتيه فيها ، فتغدر به فلا تأتيه على ما شرطه عليها ، فهل يصلح له أن يحاسبها على ما لم تأتيه من الأيام ، فيحبس عنها من مهرها بحساب ذلك ؟ قال : نعم ينظر ما قطعت من الشرط . فيحبس عنها من مهرها بحساب ذلك ؟ فيحبس عنها مهرها بمقدار ما لم تف له ما خلا أيام الطمث فإنها لها " (٢) .

أذكر أنه ذات يوم وأنا أدرس هذه المعتقدات لطالبات الدراسات العليا : في مادة الملل والنحل والمذاهب أن سألتى طالبة ، أيمن أن يكون القائلون بهذا من المسلمين؟؟ وهل هناك امرأة حتى لو لم تكن على دين أن تقبل بهذا الهوان وهذه المذلة ، فقلت لها للأسف: إن أهل السنة ينعنون مثل هذا الكلام بقولهم : هذه :مقالة كفر ونحن أهل السنة لا نكفر (الأعيان) أى الأشخاص و إنما نكفر المقالات لكنها قبل أن تسكت قالت أين المنظمات النسائية في العالم لتطالب بحرق هذه المصادر - انسانيًا- قبل أن يقول المسلمون كلمة الفصل ، ثم قالت أهذه هي (المتعة) التي جعلوها واجبة مفروضه قلت نعم : لقد اختلقوا لها من الرويات والأحاديث (كذبا) على النبي و آله عليهم السلام " بأن المؤمن لا يكمل حتى يتمتع (٣) .

(١) " الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٦٠

(٢) " الفروع من الكافي " ج ٥ ص ٤٦١ .

(٣) " من لا حضره الفقيه " ج ٣ ص ٣٦٦ .

" وإنني لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا قد بقيت عليه خلة من خلال الرسول صلى الله عليه وآله لم يقضها" (١) - قاله أبو عبد الله في جواب من سألته عن المتعة . و أيضا عن أبي جعفر أنه سأل سائل هل للمتمتع ثواب ؟ قال : إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى، وخلافا على من أنكرها . لم يكلمها - أى المتمتع بها - كلمة إلا كتب الله له بها حسنة، ولم يمدده إليها إلا كتب الله له حسنة، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره، قلت بعدد شعره ؟ قال : نعم ! بعدد الشعر (٢) .

هذا ومثله فإنه في كتب المذهب ومصادره كثير كثير، وباطل الأباطيل في هذه الفضيحة الاخلاقية التي هي قصة " بغاء " حقيقى محسوب بالباطل والدس والوضع على المذهب هو ما نسبوه إلى الإمام الجليل جعفر الصادق من أنه - حاشاه - قال، إن المتعة من ديني و دين آبائي ، فمن عمل بها عمل بديننا ، ومن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بدين غيرنا، والمتعة مقربة إلى السلف وأمان من الشرك ، وولد المتعة أفضل من ولد النكاح، ومنكرها كافر مرتد، ومقرها مؤمن موحد، لأن له في المتعة أجران، أجر الصدقة التي يعطيها للمستمتعة، وأجر المتعة (٣) .

ودليل كون المتعة بهتاناً وافتراء على أهل البيت، وكذبا وزورا عليهم أنه لم يثبت في كتاب ما وحتى في كتب القوم أنفسهم ذكر واحدة من النساء اللاتي تمتع بها أحد من أئمتهم الإثني عشر بما فيهم الغائب الذي لم يولد بعد مع ان جميع النساء لجميع أئمتهم ذكرا، وذكر أسمائهن في الكتب التي هم ألفوها في سيرهم وسوانحهم من الإمام على بن أبي طالب عليه السلام إلى الحسن العسكري و الغائب الموهوم، كما أنه لم يثبت واحد من أولادهم كان حصيلة المتعة و ثمرتها ، وهذا مع أنهم ملئوا كتب التاريخ والانساب و السير من الأساطير و الأباطيل و الأكاذيب في هذا الباب بما يتعذر حصره الا انه لم يثبت أن واحدا من الأئمة أو من غيرهم أن

(١) أيضا ج ٣ ص ٤٦٣ .

(٢) " من لا يحضره الفقيه " ج ٣ ص ٣٦٦ .

(٣) " تفسير منهج الصادقين " للملا الكاشاني ج ١ ص ٤٩٥ .

له ولدا من سفاح المتعة، والسبب في تقديري أن جوانب الدعوة الإباحية التي يحملها موضوع (المتعة) تتضمن إجازة إعارة الفروج بين الاصدقاء ، فلقد روى أحد مصادرهم الثقة وهو إمامهم (الطوسي) الذي روى عن أبي الحسن الطائري أنه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج ؟ قال : لا بأس به " (١) .

وروا عن أبيه مثل هذا كما روى الطوسي أيضا عن زرارة أنه قال :

قلت : لأبي جعفر عليه السلام : الرجل يحل جاريتَه لأخيه ؟ قال : لا بأس به (٢) كما أنه في ضوء مسلسل الأكاذيب ، يجوز استئجار الفروج أيضا ، ومن أكاذيبهم البشعة في ذلك ماروا منسوباً إلى جعفر بن الباقر من أنه قال : جاءت امرأة إلى عمر فقالت " إني زنيته فطهرني ، فأمر بها أن ترحم ، فأخبر بذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فقال : كيف زنيته ؟ فقالت : مررت بالبادية فأصابني عطش شديد فاستقيت عربياً. فأبى أن يسقيني إلا أن أمكنه من نفسي ، فلما أجهدني العطش وخفت على نفسي سقاني فأمكنته من نفسي، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : تزويج ورب الكعبة (٣) .

والسؤال هنا لكل عقلاء الدنيا إذا لم تكن هذه الواقعة اغتصاباً وجبنا ونذالة فهل يمكن ألا أن تكون دعوة للفحش والدعارة تحت مظلة عقدية ؟؟.

" الحلال و الحرام في نكاح المتعة " :

إذا كان من نافلة القول التذكير بأن النكاح هو ما يترتب عليه وطء المسلم للمرأة في صيغة شرعية ذات ضوابط تحل الحرام و تجمل العلاقة بين الزوج والزوجة ذات طابع شرعي، فإن كل صور علاقة الرجل بالمرأة إذا لم تحط بها تلك الضوابط الشرعية تكون سفاحاً أو حراماً وثمره تلك العلاقة المباشرة الوقوع

(١) " الاستبصار للطوسي " ص ١٤١ ج ٣

(٢) أيضا ص ١٣٩ ج ٣

(٣) " الفروع الكافي " ج ٥ ص ٤٦٨

فى كبرىة " الزنا " وعلى هذا فنكاح الرجل المرأة على سبيل " المتعة " إما أن يكون حلالا و هنا لا تكون هناك أدنى مشكلة و إما أن تكون حراما فتكون من ثم تلك العلاقة " زنا " أى يكون الأمر "سفاها" و ليس نكاحا.

ومع ذلك فقد استغلت المتعة أبشع استغلال، وأهينت المرأة شر إهانة، وصار الكثيرون يشبعون رغباتهم الجنسية تحت ستار المتعة وباسم الدين، عملا بفهم معوج وقاصر لمعنى قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]. وانطلاقا من هذه الآية وملابسات نزولها وعدم ربطها بغيرها وبما نسخها من أحكام قام الشيعة و أوردوا روايات فى الترغيب بالمتعة، وحددوا أو رتبوا عليها الثواب، وعلى تاركها العقاب، بل اعتبروا كل من لم يعمل بها ليس مسلما ومن هذه الروايات بالنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قال : (من تمتع بامرأة مؤمنة كأنما زار الكعبة سبعين مرة) فهل الذي يتمتع كمن زار الكعبة سبعين مرة ؟ وبمن ؟ بامرأة مؤمنة ؟ كما رووا أنه قد روى الصدوق عن الصادق عليه السلام أنه قال :

(إن المتعة ديني ودين آبائي فمن عمل به عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا، وأعتقد بغير ديننا) "من لا يحضر الفقيه ٣/٣٦٦" و هذا تكفير لمن لم يقبل بالمتعة وفي السياق نفسه، وللتدليل على ما يذهبون اليه بشأن المتعة و اباحتها بل ووقوع الأجر والثواب لمن يقوم بها، ويشمر عن ساعديه من أجله فإنه قد ورد عند صاحب من لا يحضره الفقيه ج٣/٣٦٦ أنه قيل لأبى عبد الله عليه السلام : هل للتمتع ثواب؟ قال : (إن كان يريد بذلك وجه الله لم يكلمها كلمة إلا و كتب الله له بها حسنة ، فإذا دنأ منها غفر الله له بذلك ذنبا، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره) وأيضا نسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادعوا عليه أنه قال (من تمتع مرة أمن سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمى فى الجنان) من لا يحضره الفقيه ٣/٣٦٦ ، يقول الإمام حسين الموسوى ورغبة فى نيل هذا الثواب فإن علماء الحوزة فى النجف وجميع الحسينيات ومشاهد الأئمة يتمتعون بكثرة وأخص بالذكر منهم السيد الصدر والبرو

جردي والشيرازي والقزوني والطباطبائي، والسيد المدني إضافة إلى الشاب أبو الحارث الياصري، وغيرهم فإنهم يتمتعون بكثرة وكل يوم رغبة في نيل الثواب، ومزاحمة النبي صلوات الله عليه في الجنان .

وروى السيد فتح الله الكاشاني في تفسير منهج الصادقين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال " من تمتع مرة كانت كدرجة الحسين عليه السلام ، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن عليه السلام ، ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن تمتع أربع فدرجته كدرجتي (لكن السادة الأئمة لم يقولوا لنا كلمة عن ثواب و أجر و درجة من أحسن امرأة مسلمة وتزوج بها زواجا خالصا بنية التأبيد ودوام العشرة و ليس نكاح ليلة و ليلتين أو أكثر بدرهم أو درهمين . ثم هنا لابد من سؤال لو فرضنا أن رجلاً قذراً أو زنديقاً تمتع مرة أف تكون درجته كدرجة الحسين عليه السلام؟

وإذا تمتع مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً كانت درجته كدرجة الحسن وعلي والنبي عليهم السلام ؟

أمزلة النبي صلوات الله عليه ومنزلة الأئمة هينة إلى هذا الحد ؟ وبهذه الوسيلة البسيطة التي يرغب بها الدهماء والشواذ من طالبى المتعة الجنسية بغير ضابط ولا مسئولية .

وحتى لو كان المتمتع هذا قد بلغ في الإيمان مرتبة عالية ، أيكون كدرجة الحسين ؟ أو أخيه ؟ وأبيه أو جده ؟

إن مقام الحسين أسمى وأعلى من أن يبلغه أحد مهما كان قوي الإيمان، ودرجة الحسن وعلي فضلاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً لا يبلغها أحد مهما سما وعلا إيمانه .

لقد أجازوا المتمتع حتى بالهامشية كما روى ذلك الطوسي في التهذيب ١٩٣/٢ مع أنه من المسلم به بين جمع العقلاء ومن المؤمنين إن الهاشميات أرفع من أن يتمتع بهن ، فهن سليلات النبوة ، ومن أهل البيت ، فحاشا لهن ذلك وقد بين

الكليني أن المتعة تجوز ولو لضجة واحدة بين الرجل و المرأة ، وهذا منصوص عليه في فروع الكافي ج ٥/٤٦٠.

ولا يشترط أن تكون المتمتعة بها بالغة راشدة بل قالوا يمكن التمتع بمن في العاشرة من العمر ، ولهذا روى الكليني في الفروع ٥/٤٦٣ و الطوسي في التهذيب ٧/٢٥٥ أنه قيل لأبي عبد الله عليه السلام :

(الجارية الصغيرة، هل يتمتع بها الرجل ؟ فقال : نعم ، إلا أن تكون صبية تخدع . قيل : وما الحد الذي إذا بلغته لم تخدع ؟ قال : عشر سنين هذا و قد ذهب بعض الأئمة الشيعة في عصرنا هذا إلى جواز التمتع بالصبية ولو كانت دون سن العاشرة يروى السيد حسين الموسوي وهو من علماء النجف الشيعة التصحيحين في كتابه " لله ... ثم للتايخ " ومن صفحات ٣٥ - ٣٧ أنه لما كان الإمام الخميني مقيما في العراق كنا نتردد إليه ، و نطلب منه العلم حتى صارت علاقتنا معه وثيقة وثيقة جداً، وقد اتفق مرة أن وجهت إليه دعوة من مدينة ؟؟ وهي مدينة تقع غرب الموصل على مسيرة ساعة ونصف تقريبا بالسيارة ، فطلبني للسفر معه ، فسافرت معه ، فاستقبلونا وأكرمونا غاية الكرم مدة بقائنا عند إحدى العوائل الشيعية المقيمة هناك و قد قطعوا عهدا بنشر التشيع في تلك الأرجاء ومازالوا يحتفظون بصورة تذكارية لنا تم تصويرها في دارهم .

ولما انتهت مدة السفر رجعنا ، وفي طريق عودتنا ومرورنا في بغداد أراد الإمام أن نرتاح من عناء السفر ، فأمر بالتوجه إلى منطقة العطيفة، حيث يسكن هناك رجل إيراني الأصل يقال له سيد صاحب كانت بينه و بين الإمام معرفة قوية .

فرح سيد صاحب بمجيئنا ، وكان وصولنا إليه عند الظهر، فصنع غداء فاخرا، وأتصل ببعض أقاربه فحضروا ، وأزدهم منزله احتفاء بنا ، وطلب سيد صاحب إلينا المبيت عنده تلك الليلة ، فوافق الإمام، ثم لما كان العشاء وكان الحاضرون يقبلون يد الإمام ويسألونه، ويجيب عن أسئلتهم بعد العشاء وكان الحاضرون قد

انصرفوا إلا أهل الدار ، أبصر الإمام الخميني صبية بعمر أربع سنوات أو خمس و لكنها جميلة جدا. فطلب الإمام من أبيها سيد صاحب إحضارها للتمتع بها، فوافق أبوها بفرح بالغ ، فبات الإمام الخميني والصبية في حضنه، ونحن نسمع بكاءها وصريخها !! يقول السيد حسين الموسوي معقبا على ما أورده [ومسئولية الرواية على عاتقه فقد كان شاهد عيان] يقول: المهم انه أمضى تلك الليلة، فلما أصبح الصباح، وجلسنا لتناول الإفطار، نظر إلى فوجد علامات الإنكار واضحة في وجهي، إذ كيف يتمتع بهذه الطفلة الصغيرة وفي الدار شابات بالغات راشدات كان بإمكانه التمتع بإحداهن، فلم يفعل ١٢

فقال لي : سيد حسين ما تقول في التمتع بالطفلة ؟

قلت له : سيد القول قولك، والصواب فعلك وأنت إمام مجتهد، ولا يمكن لمثلي أن يرى أو يقول إلا ما تراه أنت أو تقوله ، ومعلوم أنني لا يمكنني الاعتراض وقتذاك.

فقال : سيد حسين، إن التمتع بها جائز ولكن بالمداعية، والتقبيل والتفخيد أما الجماع فإنها لا تقوى عليه .

يقول الإمام حسين الموسوي : وكان الإمام الخميني يرى جواز التمتع حتى بالرضيعة، فقال :

(لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضما وتفخيذاً - أي يضع ذكره بين فخذيهما - وتقبيلاً)

انظر كتابه تحرير الوسيلة ٢/٢٢١ مسألة رقم ١٢ ويستطرد الموسوي ويقول: جلست مرة عند الإمام الخوئي في مكتبه ، فدخل علينا شابان يبدو أنهما اختلفا في مسألة ، فاتفقا على سؤال الإمام الخوئي ليدلهما على الجواب .

فسأله أحدهما قائلا : سيد ما تقول في المتعة ، أحلال هي أم حرام ؟

نظر إليه الإمام الخوئي وقد أوجس من سؤاله أمراً ، ثم قال له : أين تسكن ؟
قال الشاب السائل : أسكن الموصل . و أقيم هنا في النجف منذ شهرين تقريباً .

قال له الإمام : أنت سني إذن ؟

قال الشاب : نعم

قال الإمام المتعة عندنا حلال وعندكم حرام .

فقال له الشاب : أنا هنا منذ شهرين تقريباً غريب في هذه الديار ، فهلا
زوجتني ابنتك لأتمتع بها ريثما أعود إلى أهلي ؟

فحملق فيه الإمام ، ثم قال له : أنا سيد ، وهذا حرام على السادة ، وحلال عند
عوام الشيعة .

ونظر الشاب إلى السيد الخوئي وهو مبتسم ، و نظرتة توحى أنه علم أن
الخوئي قد عمل بالتقية .

ثم قاما فانصرفا ، فاستأذنت الإمام الخوئي في الخروج ، فلحقت بالشابين
فعلمت أن السائل سني وصاحبه شيعي اختلفا في المتعة حلال أم حرام ؟ فاتفقا
على سؤال المرجع الديني ، الإمام الخوئي ، فلما حدثت الشابين انفجر الشاب
الشيعي قائلاً يا مجرمين تبيحون لأنفسكم التمتع ببناتنا ، وتخبروننا بأنه حلال وأنكم
تتقربون بذلك إلى الله ، وتحرمون علينا التمتع ببناتكم ؟

وراح يسب و يشتم ، وأقسم انه سيتحول إلى مذهب السنة ، فأخذت أهدئ به ، ثم
أقسمت له أن المتعة حرام ، وبيّنت له الأدلة على ذلك .

إن المتعة كانت مباحة في العصر الجاهلي ، ولما جاء الإسلام أبقى عليها مدة ،
ثم حرمت يوم خيبر ، لكن المتعارف عليه عند الشيعة وعند جماهير فقهاءنا أن عمر
ابن الخطاب هو الذي حرّمها ، وهذا ما يرويه بعض فقهاءنا .

والصواب في المسألة أنها حرمت يوم خيبر .

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : (حرم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية، ونكاح المتعة) انظر التهذيب ١٨٦/٢ ، الاستبصار ١٤٢/٣ ، وسائل الشيعة ٤٤١/١٤ و سئل أبو عبد الله عليه السلام :
(أكان المسلمون على عهد رسول الله عليه وآله يتزوجون بغير بينة ؟ قال : لا) .

انظر التهذيب ١٨٩/٢ وعلق الطوسي على ذلك بقوله إنه لم يرد من ذلك النكاح الدائم بل أراد منه المتعة ، ولهذا أورد هذا النص من باب المتعة ولا شك أن هذين النصين حجة قاطعة في نسخ حكم المتعة وإبطاله .

وأمير المؤمنين صلوات الله عليه نقل تحريمها عن النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله وصحبه ، وهذا يعنى أن أمير المؤمنين قد قال بحرمتها من يوم خيبر ، ولا شك أن الأئمة من بعده قد عرفوا حكم المتعة بعد علمهم بتحريمها ، وهنا نقف بين أخبار منقولة وصريحة في تحريم المتعة ، وبين أخبار منسوبة ومزعومة إلى الأئمة في الحث عليها وعلى العمل بها . وهذه مشكلة يحتمل المسلم إزاءها أيتمتم أم لا ؟

إن الصواب هو ترك المتعة لأنها حرام كما ثبت نقله عن أمير المؤمنين عليه السلام . (الكلام للإمام حسين الموسوي) وأما الأخبار التي نسبت إلى الأئمة ، فلا شك أن نسبتها إليهم غير صحيحة ، بل هي أخبار مفتراة عليهم ، إذ ما كان للأئمة عليهم السلام أن يخالفوا أمراً حرمه رسول الله ، وسار عليه أمير المؤمنين من بعده ، وهم - أي الأئمة - الذين تلقوا هذا العلم كابراً عن كابر لأنهم نرية بعضها من بعض .

لما سئل أبو عبد الله عليه السلام : (كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوجون بغير بينة ؟ قال : لا) فلولاه علمه بتحريم المتعة لما قال : لا ، خصوصاً وأن الخبر صحيح في أن السؤال كان عن المتعة ، وأن أبا جعفر الطوسي راوي الخبر أورده في باب المتعة

وما كان لأبى عبد الله و الأئمة من قبله ومن بعده أن يخالفوا أمر رسول الله صلوات الله عليه أو أن يحلوا أمرا حرمه أو أن يبتدعوا شيئا ما كان معروفا في عهده عليه السلام .

و بذلك يتبين أن الأخبار التي تحت على التمتع ما قال الأئمة منها حرفا واحدا، بل افتراها و تقولها عليهم أناس زنادقة أرادوا الطعن بأهل البيت الكرام والإساءة إليهم، و إلا بم تفسر إباحتهم التمتع بالهاشمية ، وتكفيرهم لمن لا يتمتع ؟ مع أن الأئمة عليهم السلام لم ينقل عن واحد منهم نقلا ثابتا أنه تمتع مرة أو قال بحلية المتعة ، أيكونون قد دانوا بغير دين الإسلام ؟

فإذا توضح لنا هذا ندرك أن الذين وضعوا تلك الأخبار هم قوم زنادقة أرادوا الطعن بأهل البيت و الأئمة عليهم السلام ، لأن العمل بتلك الأخبار فيه تكفير للأئمة كما هو مبين

إن المتعة كما هو معروف تكون عن تراض بين الطرفين وعن رغبة منهما . أما في المرأة التي كانت بالبادية فهي مجبورة ، فساومها البدوى على نفسها مقابل شربة ماء ، و ليست هي في حكم الزانية حتى تطلب من عمر أن يطهرها ، وفوق ذلك - وهذا مهم - أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي روى تحريم المتعة في نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ، فكيف يفتى هنا بأن هذا نكاح متعة ١٢ و فتواه على سبيل الحل و الإقرار و الرضا منه بفعل الرجل و المرأة ١٣

إن هذه الفتوى لو قالها أحد طلاب العلم لعدت سقطة بل غلطة يعاب عليه بسببها ، فكيف لأمر المؤمنين عليه السلام ، وهو من هو في العلم و الفتيا ؟

إن الذين نسبوا هذه الفتوى لأمر المؤمنين إما حاقداً أراد الطعن به ، و إما ذا غرض وهوى اخترع هذه القصة ، فنسبها لأمر المؤمنين ، ليضفي الشرعية على المتعة كي يسوغ لنفسه و لأمثاله استباحة الفروج باسم الدين حتى و إن أدى ذلك إلى الكذب على الأئمة عليهم السلام ، بل على النبي صلوات الله عليه .

إن المفسد المترتبة على المتعة كبيرة ومتعددة الجوانب :

• فهي مخالفة للنصوص الشرعية لأنها تحليل لما حرم الله .

• ولقد ترتب على هذا اختلاف الروايات الكاذبة ، ونسبتها إلى الأئمة عليهم السلام مع ما فى تلك الروايات من مطاعن قاسية لا يرضاها لهم من كان فى قلبه مثقال نرة من إيمان و كذلك من مفسدها إباحة التمتع بالمرأة المحصنة - أى المتزوجة - رغم أنها فى عصمة رجل دون علم زوجها ، وفى هذه الحالة لا يأمن الأزواج على زوجاتهم فقد تتزوج المرأة متعة دون علم زوجها الشرعى ، ودون رضاه ، وهذه مفسدة ما بعدها مفسدة، انظر فروع الكافي ٤٦٣/٥ ، تهذيب الأحكام ٥٥٤/٧ ، الاستبصار ١٤٥/٣ و ليت شعري ما رأى الرجل وما شعوره إذا اكتشف أن امرأته التي فى عصمته متزوجة من رجل آخر غيره زواج متعة ؟ وفى ظل مشروعية المتعة فإن الآباء أيضا لا يأمنون على بناتهم الباكرات إذ قد يتزوجن متعة دون علم أبائهن، وقد يفاجأ الأب أن ابنته الباكر حملت لم ؟ كيف ؟ لا يدري ممن ؟ لا يدري أيضا ، فقد تزوجت من واحد فمن هو ؟ لا يدري لأنه تركها و ذهب .

• واللافت للنظر أن أغلب الذين يتمتعون ، يبيحون لأنفسهم التمتع ببنات الناس ، ولكن إذا تقدم أحد لخطبة بناتهم، أو قريباتهم فأراد أن يتزوجها متعة ، لما وافق ولما رضى، لأنه يرى هذا الزواج أشبه بالزنا، وأن هذا عار عليه وهو لا يشعر بهذا من خلال تمتعه ببنات الناس ، فلا شك أنه يمتنع عن تزويج بناته للآخرين متعة ، أى أنه يبيح لنفسه التمتع ببنات الناس ، وفى المقابل يحرم على الناس أن يتمتعوا ببناته .

إذا كانت المتعة مشروعة ، وأمرها مباحا ، فلم هذا التحرج فى إباحة تمتع الغرباء ببناته أو قريباته ؟ إن الأمر فى غاية الخطورة فكما يقول أئمة الشيعة الذين يجيزون المتعة فإن المتعة ليس فيها إشهاد ، ولا إعلان ، ولا رضى ولى أمر المخطوبة، ولا يقع شئ من ميراث المتمتع للمتمتع بها ، إنما هى مستأجرة كما

نسب ذلك القول إلى أبى عبد الله عليه السلام ، فكيف يمكن أبحاثها و إشاعتها بين الناس ؟ إن المتعة فتحت المجال أمام الساقطين و الساقطات من الشباب و الشابات فى لصق ما عندهم من فجور بالدين ، و أدى ذلك إلى تشويه صورة الدين و المتدينين وبذلك يتبين لنا أضرار المتعة دينيا واجتماعيا وخلقيا ، ولهذا حرمت المتعة ، ولو كان فيها مصالح لما حرمت ، ولكن لما كانت كثيرة المفسد حرمتها رسول الله صلى الله عليه وآله ونقل ذلك التحريم أمير المؤمنين رضى الله عنه وأما قول الأئمة بأن المتعة حرمت يوم خيبر فقط أى لمدة يوم واحد فهذا لم يقل به عاقل و لم يقم عليه دليل ولو كان التحريم خاصا بيوم خيبر فقط ، لورد التصريح من النبي صلى الله عليه وآله بنسخ تلك الحرمة، على أنه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن علة إباحة المتعة هى السفر والحرب، فكيف تحرم فى تلك الحرب والمقاتل أحوج ما يكون إليها خصوصا وأنه فى غربة من أهله وما ملكت يمينه ، ثم تباح فى السلم ؟

أن معنى قوله رضى الله عليه أنها حرمت يوم خيبر أى أن بداية تحريمها كان يوم خيبر ، وأما أقوال الفقهاء الشيعة فإنما هى تلاعب بالنصوص لا أكثر .

فالحق أن تحريم المتعة و لحوم الحمر الأهلية متلازمان ، نزل الحكم بحرمتها يوم خيبر ، وهو باق إلى قيام الساعة ، وليس هناك داع لتأويل كلام أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه من أجل إشباع رغبات النفس و شهواتها فى البحث الدائم عن الجميلات والفاتنات من النساء للتمتع بهن ، والتلذذ باسم الدين، وعلى حسابه .

ان المتعة التي يقول بها فقهاء الشيعة تعطى الحق للرجل فى أن يتمتع بعدد لا حصر له من النسوة ، ولو ألف امرأة وفى وقت واحد .

وكم من متمتع جمع بين المرأة وأمها ، وبين المرأة وأختها ، وبين المرأة وعمتها أو خالتها وهو لا يدري ... وحول جمع بعض مثالب ومخازى ومخاطر نكاح " المتعة " يقول السيد حسين الموسوى حفظه الله .

جاءتني امرأة تستفسر مني عن حادثة حصلت معها ، إذ أخبرتني أن أحد السادة وهو السيد حسين الصدر كان قد تمتع بها قبل أكثر من عشرين سنة فحملت منه ، فلما شبع رغبته منها فارقها ، وبعد مدة رزقت ببنت ، و أقسمت أنها حملت منه هو إذ لم يتمتع بها و قتلها أحد غيره .

و بعد أن كبرت البنت و صارت شابة جميلة متأهلة للزواج ، اكتشفت الأم أن ابنتها حبلى ، فلما سألتها عن سبب حملها أخبرتها أن السيد المذكور استمتع بها فحملت منه ، فدهشت الأم و فقدت صوابها إذ أخبرت ابنتها أن هذا السيد هو أبوها، وأخبرتها القصة ، فكيف يتمتع بالأم ، واليوم يأتي ليتمتع بابنتها التي هي ابنته هو؟ والعجيب الغريب أن الفطرة لا تزال تعمل عملها في بعض من تقع من النساء في هذا البلاء الذي اسمه " المتعة " فتذهب الواحدة الأخرى إلى من قد ينقذها من البلاء الذي وقعت فيه يقول السيد حسنين الموسوي.

ثم جاءتني مستفسرة عن موقف السيد المذكور منها ومن ابنتها التي ولدت منه. إن الحوادث من هذا النوع كثيرة جدا . فقد تمتع أحدهم بفتاه تبين له فيما بعد أنها أخته من المتعة ، ومنهم من تمتع بامرأة أبيه .

يقول الإمام السيد حسين الموسوي وفي إيران الحوادث من هذا القبيل لا يستطيع أحد حصرها ، وقد رأينا ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٢٣] فمن لم يتمكن من الزواج الشرعي بسبب قلة ذات اليد فعليه بالاستعفاف ريثما يرزقه الله من فضله كي يستطيع الزواج .

فلو كانت المتعة حلالا لما أمره بالاستعفاف و الانتظار ريثما تتيسر أمور الزواج ، بل لأرشدته إلى المتعة كي يقضى وطره بدلا من المكوث و التحرق بنار الشهوة.

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تُصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٢٥] .

فأرشد الذين لا يستطيعون الزواج لقلّة ذات اليد أن يتزوجوا ما ملكت أيّمانهم، ومن عجز حتى عن ملك اليمين ، أمره بالصبر ، ولو كانت المتعة حلالاً لأرشده إليها ومن الأنصاف أن نشير إلى أنه وقعت إشارات وتلميحات بل وتصريحات من بعض أئمة الشيعة بل من الأئمة أنفسهم الذي أفتوا ونقلوا إباحة المتعة وجوازها. القول بحرمتها فمنهم مثلاً من ورد على لسانه حرمة المتعة ودم جوازها والعجيب الغريب وفي نفس المصادر الشيعية التي أباحت المتعة وأجازتها ، فمثلاً ورد عن عبد الله بن سنان قال سألت عبد الله عليه السلام عن المتعة فقال : (لا تدنس نفسك بها) بحار الأنوار ٣١٨/١٠٠ .

وهذا صريح في قول أبي عبد الله عليه السلام أن المتعة تدنس النفس ، ولو كانت حلالاً لما صارت في هذا الحكم ، ولم يكتف الصادق عليه السلام بذلك بل صرح بتحريمها :

وعن عمارة قال : قال عبد الله عليه السلام لى و لسليمان بن خالد : (قد حرمت عليكم المتعة) فروع الكافي ٤٨/٢ ، وسائل الشيعة ٤٥٠/١٤ .

وكان عليه السلام يوبخ أصحابه و يحذرهم من المتعة ، فقال : أما يستحي أحدكم أن يرى موضع فيحمل على صالحى إخوانه و أصحابه ؟ الفروع ٤٤/٢ ، وسائل الشيعة ٤٥٠/١٤ .

ولما سأل على بن يقطين أبا الحسن عليه السلام عن المتعة أجابه :

(ما أنت وذلك ؟ وقد أغناك الله عنها) الفروع ٤٣/٢ ، الوسائل ٤٩٩/١٤ .

ولهذا لم ينقل أن أحداً تمتع بامرأة من أهل البيت عليهم السلام ، فلو كان حلالاً لفعلن ، يؤيد ذلك أن عبد الله بن عمير قال لأبى جعفر عليه السلام (يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن ؟ - أى يتمتعن - فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نساءه و بنات عمه) الفروع ٤/٢ ، الوسائل ٤٩٩/١٤ .

وبهذا يتأكد لكل مسلم عاقل أن المتعة حرام ، لمخالفتها لنصوص القرآن
واللسنة ولأقوال الأئمة عليهم السلام .

والناظر للآيات القرآنية الكريمة والنصوص المتقدمة في تحريم المتعة - إن
كان طالبا للحق محبا له - لا يملك إلا أن يحكم ببطلان تلك الروايات التي تحت
على المتعة لمعارضتها لصريح القرآن وصريح السنة المنقولة عن أهل البيت عليهم
السلام ، ولما يترتب عليها من مفسد لا حصر لها .

منها على الأقل انتشار العمل بالمتعة وهو يجر إلى إعاره الفرج ، وإعارة
الفرج معناها أن يعطى الرجل امرأته إلى رجل آخر فيحل له أن يتمتع بها أو أى
شخص كان يختاره ، فيبيح له أن يصنع بها ما يشاء طيلة مدة سفره . والسبب
معلوم حتى يطمئن الزوج على امرأته لئلا تزنى فى غيابه (١١) والفرق بين " وطء
المتعة " وسفاح الزنا متوقف على مجرد علم الرجل الذي اسمه الزوج ولا أعلم أين
يكون موقع الرجل "الديوث" فى مفاهيم القائلين بجواز المتعة .؟؟ وهناك طريقة
ثانية لإعارة الفرج، وهى أنه إذا نزل أحد ضيفا عند قوم وأرادوا إكرامه فإن
صاحب الدار يعير امرأته للضيف طيلة مدة إقامته عندهم فيحل له منها كل شئ،
و للأسف يروون فى تلك روايات ينسبونها إلى الإمام الصادق عليه السلام و إلى
أبيه أبى جعفر سلام الله عليه والتي منها كما سبق الإشارة اليه فيما روى الطوسى
عن محمد عن أبى جعفر عليه السلام قال: قلت:

(الرجل يحل لأخيه فرج جاريته ؟ قال : نعم لا بأس به له ما أحل له منها)
الإستبصار ١٣٦/٣ .

ولا يوجد مسلم عاقل يقبل أو يصدق بمثل هذا الكلام الفاجر على أنه صدر من
إمامين عظيمين من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهما الصادر والباقر رضى
الله عنهما وعن جميع آل بيت رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه .

"حب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم"

من بدهيات هذا الدين ، حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك حب آل بيته وأصحابه فالنص على مودته صلى الله عليه وسلم في آل بيته وحب أصحابه لا تحتاج إلى تذكير و إيراد أدلة لكن فريقا من أولئك الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ادعوا حب أهل البيت وموالاتهم ، ينكرون المعروف ويأتون المنكر ، ويبغضون أحباءهم و يتوددون إلى أعدائهم ، يطاوعون الأهواء والنفس الأمارة بالسوء ، ولا يتركونها ولا يعصونها ، وفوق ذلك يختلقون القصص والأساطير والأكاذيب على أهل البيت ، ويفترونها وينسبونها إليهم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وهم يستهدفون من هذه المفتريات أغراضا ذاتية وإرواء النفس من شهواتها ، وملذاتها ، رواجاً لمذهبهم ، وجلباً إلى دينهم الذي هم كونوه واخترعوه من عند أنفسهم لأن الصالحين من أهل البيت لم يقولوا شيئا يخالفه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ولا يتصور مسلم أنه يمكن أن ينسب إلى أهل بيت النبي ما يخالف الكتاب والسنة ، فضلا عن أن يقعوا فيه أو أن يفتوا بما يخالفهما لأن أهل البيت كغيرهم من المسلمين لم يؤمروا إلا أن يعملوا بكتاب ربهم و سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام و أن يتمسكوا بهما عملا وامتثالا وتطبيقا لقوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^(١) وعملا بقوله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾^(٢) وتطبيقا لقوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٣) .

وكل مسلم صحيح الإيمان سليم المعتقد يلتزم بهدي الكتاب و السنة من غير تحريف ولا تعطيل يطالع كتاب ربه وهو يقول لأئمة الإسلام ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٢ .

وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ^(١) . هذا بعض ما جاء في كتاب الله تعالى، وأما الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه من السنة فقد جاء فيها ما هو ثابت عند جميع أئمة المسلمين "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي".

والمعترف به عند علي رضي الله عنه وأولاده كما روى عنه الثقفى في كتابه "الغارات" إن عليا كتب إلى مسلمي مصر كتابا أرسله إليهم مع قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الذي استعمله على مصر، يدعوهم إلى بيعته بقوله "ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله" ^(٢) .

ثم يذكر "لما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى خطيبا فحمد الله وأثنى عليه .. - إلى أن قال - : فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه. فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم فقاموا فبايعوا فاستقامت له مصر" ^(٣) .

كما كتب على بنفس هذا الكلام في كتابه إلى أهل البصرة "من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم أما بعد .. فإن تفوا ببيعتي ، وتقبلوا نصيحتي ، وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب والسنة" ^(٤) .

واللافت للنظر أن واحدا من أبرز أئمة آل البيت قد ورد عنه في مصادر الشيعة قوله ^(٥) : ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة" وقوله: من خالف كتاب الله

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

(٢) "كتاب الغارات للثقفى ج ١ ص ٢١١ تحت عنوان "ولاية قيس بن سعد"

(٣) أيضا ص ٢١١ ، ٢١٢

(٤) "الغارات" للثقفى ج ٢ ص ٣ ، ٤

(٥) "الكافي في الاصول" ج ١ ص ٥٩ باب الرد إلى الكتاب والسنة وإنه ليس شيء من الحلال والحرام إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة وايضا نقل مثل هذا عن أبيه المغيرة في كتابه "الشيعة في الميزان" ص ٥٦

وسنة محمد فقد كفر" (١) وأما الإمام الباقر والد الإمام السادس جعفر الصادق فقد ورد عنه أنه قال: كل من تعدى السنة رد إلى السنة (٢) وكذلك قال الإمام علي بن الحسين الإمام الرابع: "إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل" (٣).

هذا ، ولم يكتفوا بهذا حتى إنهم قالوا أكثر من ذلك وأصرح كما رواه الكشي عن جعفر بن الباقر أنه قال: فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإننا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤).

ولذلك أمر متبعيه ومن ادعى متابعتهم: لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة (٥).

وقبله بين هذه القاعدة الأصلية: الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه" (٦).

ومثل هذا روى الباقر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنته فخذوه وما خالف كتاب الله فلا تأخذوه" (٧).

فذلك ما أمر الله به وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذه هي تعاليم ومناهج وعقيدة أئمة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ، لكن

(١) الأصول من الكافي ج ١ ص ٧٠

(٢) الأصول من الكافي ج ١ ص ٧١

(٣) أيضاً ج ١ ص ٧٠

(٤) "رجال الكشي" ص ١٩٥ تحت تذكرة المغيرة بن سعيد ط كربلاء

(٥) المصدر السابق نفس الموضوع

(٦) كتاب "الأمالي" للطوسي ج ١ ، ٢٢١

(٧) نفس المصدر السابق نفس الموضوع

السؤال هنا هل الشيعة وسط زحام الموروث التاريخي الضخم الذي دون ونسب إلى الأئمة وغيرهم تقوم عقائدهم جملة وتفصيلا وفق منهج وعقيدة أئمة أهل البيت أم انهم ، يفترون عليهم ما لم يقولوه، ويكذبون عليهم فيما لم يصوروه؟ فلنبداً بإمام وسيد أئمة أهل البيت جميعاً بل سيد الكون رسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم الذي يعلم القاصي والداني : المسلم والكافر ، أن مما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن من كذب عليه تبوأ معقده من النار ، ومع ذلك ماذا فعل الغلاة بسيرته صلى الله عليه وسلم ؟؟ نسبوا إليه أنه صلى الله عليه وسلم - حاشاه - قال فيما سبق أن أشرنا إليه : من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار ومن تمتع ثلاث مرات عتق كله من النار.

مزاعم حب آل البيت وزيفها

من قضايا الاختلاف المذهبي الذي لا يتنازل عنه الشيعة أبداً على مر القرون حتى ولو لم تكن لهم سطوة، أو لم تقم لهم دولة، قضية زعمهم باختصاصهم وحدهم بحب أهل بيت النبي صلى الله وسلم: وكما يقول: السيد حسين الموسوي وهو من علماء النجف

إن من الشائع عندنا معاصر الشيعة، اختصاصنا بأهل البيت، فالمذهب الشيعي كله قائم على محبة أهل البيت - حسب رأينا - إذ الولاء والبراء مع العامة - وهم أهل السنة - بسبب أهل البيت، والبراءة من الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة وعائشة بنت أبي بكر بسبب الموقف من أهل البيت، والراسخ في عقول الشيعة جميعاً صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، ذكرهم وأنثاهم، إن الصحابة ظلموا أهل البيت، وسفكوا دماءهم، واستباحوا حرمتهم^(١) ثم يسترسل ويقول: ومن الشائع عندنا أيضاً أن أهل السنة ناصبوا أهل البيت العدا، ولذلك لا يتردد أحدنا في تسميتهم بالنواصب، ونستذكر دائماً دم الحسين الشهيد عليه السلام، ولكن كتبنا المعتبرة عندنا تبين لنا الحقيقة، إذ تذكر لنا تدمير أهل البيت صلوات الله عليهم من شيعتهم، وتذكر لنا ما فعله الشيعة الأوائل بأهل البيت، وتذكر لنا من الذي سفك دماء أهل البيت عليهم السلام ومن الذي تسبب في قتالتهم واستباحة حرمتهم وبهذه المقدمة نقل الإمام حسين الموسوي كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه حين قال:

(لو ميزت شيعتي لما وجدتكم إلا واصله، ولو إمتحنتم لما وجدتكم إلا مرتدين ولو تمحصتكم لما خلص من الألف واحد) (الكافي / الروضة ٣٣٨/٨). وينقل الموسوي عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه قوله (يال أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم

(١) في كتابه القيم: الله ثم التاريخ صفحات ١٤-٢٤

معرفة، حزت والله ندما، وأعتبت صدما .. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدرى غيظا، وجرعتموني نخب التهاب أنفاسنا، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قریش : إن ابن ابى طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع) نهج البلاغة ، ٧٠ ، ٧١.

وقال لهم موبخا: منيت بكم بثلاث، واثنيتين:

(صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمى ذوو أبصار، لا أحرار وصدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء.. قد انفرجتم عن ابى أبى طالب انفراج المرأة عن قبلها ٩ نهج البلاغة ص ١٤٢.

قال لهم ذلك بسبب تخاذلهم وغدرهم بأمر المؤمنين عليه السلام، وله فيهم كلام كثير.

وقال الإمام الحسين عليه السلام فى دعائه على شيعته:

(اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا، واجعلهم طرائق قنءا، ولا ترض الولاية عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا فقتلونا) (الإرشاد للمفيد ص ٢٤١) وقد خاطبهم مرة أخرى ودعا عليهم، فكان مما قال: (لكنكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدباء، وتهافتهم كتهافت الفرش، ثم نقضتموها ، سفها وبعدا وسحقا لطواغيت هذه الأمة، وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنا، وتقتلوننا، ألا لعنة الله على الظالمين) الاحتجاج ٢/٢٤ ويعلق السيد الموسوى على هذه النصوص المنقولة من أهم وأوثق مصادر الشيعة قائلا:

وهذه النصوص تبين لنا من هم قتلة الحسين الحقيقيون، إنهم شيعته أهل الكوفة، أى أجدادنا، فلماذا نحمل أهل السنة مسئولية مقتل الحسين عليه السلام؟

ولهذا قال السيد محسن الأمين:

بایع الحسين من أهل العراق عشرون ألفا، غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته فى أعناقهم، وقتلوه) من أعيان الشيعة / القسم الأول ص ٣٤.

وقال الحسن عليه السلام:

(أرى والله معاوية خيراً لى من هؤلاء، يزعمون أنهم لى شيعة، ابتغوا قتلى، وأخذوا مالى ، والله لأن أخذ من معاوية ما أحقن به دمي ، وآمن به فى أهلى خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتى، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعوا بى إليه سلماً والله لأن أسأله وأنا عزيز خير من أن يقتلنى وأنا أسير)
الاحتجاج ١٠/٢.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لأهل الكوفة:

(هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبى وخذعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق ، ثم قاتلتموه وخذلتموه ؟ بأى عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لكم: قاتلتهم عترتى، وانتهتكم حرمتى، فلستم من أمتى) الاحتجاج ٣٢/٢.
وقال أيضاً عنهم:

(إن هؤلاء يبيكون علينا، فمن قتلنا غيرهم؟) الاحتجاج ٢٩/٢

وقال الباقر عليه السلام:

(لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً ، والربع الآخر أحمق) رجال الكشى ص ٧٩.

وقال الصادق عليه السلام:

(أما والله لو أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثى ما إستحللت أن أكتهم حديثاً). أصول الكافي ٤٩٦/١.

وقالت فاطمة الصغرى عليها السلام فى خطبة لها فى أهل الكوفة:

(يا أهل الكوفة ، يا أهل الغدر والمكر والخيلاء ، إنا أهل البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاككم بنا ، فجعل بلاءنا حسناً .. فكفرتمونا ، وكذبتموننا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهباً .. كما قتلتم جدنا بالأمس وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت .

تسباً لكم ، فإنظروا اللعنة والعذاب ، فكان قد حل بكم .. ويذيق بعضكم باس بعض ثم تخلصون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ، ألا لعنة الله على الظالمين: تبا لكم يا أهل الكوفة، كم قرأت لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم ، ثم غدرتم بأخيه على بن أبي طالب ، وجدي، وبنيه وعترته الطيبين .

فرد عليها أحد أهل الكوفة منخراً ، فقال :

نحن قتلنا علياً ، وبني علي بسيف هندية ورماح .

وسبينا نساءهم سبي ترك ، نطحناهم فأبي نطاح) الاحتجاج ٢٨/٢ .

وقالت زينب بنت أمير المؤمنين صلوات الله عليها لأهل الكوفة تقرعاً لهم :

(أما بعد ، يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر والخذل .. إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، هل فيكم إلا الصلف والعجب والشنف والكذب .. أتبكون أخي؟

أجل والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فقد ابليت بعارها .. وأني ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ..) الاحتجاج ٢٩/٢ - ٣٠ .

وفي ظل هذه النصوص المدونة والمتناثرة في كتب فقه وعقيدة وسيرة أئمة الشيعة والتي طبعت ووزعت في العقود الأخيرة على أوسع نطاق بحيث أصبحت في يد المتخصصين وغيرهم يستطيع الدارسون أن يقفوا على تداعياتها ونتائجها المباشرة والتي لم يختلف حول استنباطها والوقوف عليها العامة من الناس قبل العلماء منهم وهي في ضوء ما تقول هذه النصوص وغيرها كثير مما يدل على ملل وضجر أمير المؤمنين وذريته من شيعتهم أهل الكوفة لغدرهم ومكرهم وتخاذلهم . كما أن تخاذل أهل الكوفة وغدرهم تسبب في سفك دماء أهل البيت واستباحة حرمااتهم وهذه النصوص تلهم أن أهل البيت عليهم السلام يحملون شيعتهم مسؤولية مقتل الحسين عليه السلام ، ومن معه، وقد اعترف أحدهم برده على فاطمة الصغرى بأنهم هم الذين قتلوا علياً وبنيه ، وسبوا نساءهم.

كما تدل هذه النصوص على أن أهل البيت عليهم السلام دعوا على شيعتهم ووصفوهم بأنهم طواغيت هذه الأمة وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب ، ثم زادوا على تلك بقولهم: ألا لعنة الله على الظالمين ولهذا جاؤوا إلى أبي عبد الله عليه السلام ، فقالوا له:

إنا قد نبزنا أثقال ظهورنا ، وماتت له أفئدتنا ، واستحلت له الولاية دماءنا ، في حديث رواه لهم فقهاءهم ، فقال أبو عبد الله عليه السلام :

الرافضة ؟

(قالوا : نعم ، فقال : لا والله ما هم سموكم .. ولكن الله سماكم به) الكافي ٢٤/٥ .

فبين أبو عبد الله ان الله أسماهم (الرافضة) وليس أهل السنة .

وأمام هذه النصوص يقول السيد حسين الموسوي لقد قرأت هذه النصوص مرارا ، وفكرت فيها كثيرا ، ونقلتها في ملف خاص ، وسهرت الليالي ذوات العدد أمعن النظر فيها - وفي غيرها - فلم أنتبه لنفسي إلا وأنا أقول بصوت مرتفع : كان الله في عونكم يا أهل البيت على ما لقيتم من شيعتكم .

نحن نعلم جميعا ما لاقاه أنبياء الله ورسله عليه السلام من أذى أقوامهم ، وما لاقاه نبينا صلى الله عليه وآله ولكني عجبت من اثنين من موسى عليه السلام ، وصبره على بني إسرائيل ونلاحظ أن القرآن الكريم تحدث عن موسى عليه السلام أكثر من غيره ن وبين صبره على كثرة أذى بني إسرائيل ومراوغاتهم وحبائلهم وفسائسهم .

وأعجب من أهل البيت سلام الله عليهم على كثرة ما لقوه من أذى من أهل الكوفة وعلى عظيم صبرهم على أهل الكوفة مركز الشيعة ، على خيانتهم لهم ، وغدرهم بهم ، وقتلهم لهم ، وسلبهم أموالهم ، وصبر أهل البيت على هذا كله ، ومع هذا نلقي باللائمة على أهل السنة ، ونحملهم المسؤولية .

يقول السيد حسين الموسوي وعندما نقرأ في كتبنا المعتبرة نجد فيها عجا
عجابا قد لا يصدق أحدنا إذا قلنا : إن كتبنا معاشر الشيعة - تطعن بأهل البيت
عليهم السلام وتطعن بالنبي صلى الله عليه وآله وهذه أمثلة ونماذج

عن أمير المؤمنين عليه السلام أن غفيراً - حمار رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله - قال له : بابي أنت وأمي - يا رسول الله - عن أبي حدثني عن أبيه عن جده
عن أبيه : (انه كان مع نوح في السفينة ، فقام إليه نوح فمسح على كفله ، ثم قال :
يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم فالحمد لله الذي
جعلني ذلك الحمار (أصول الكافي) ٢٣٧/١ .

هذه الرواية أو فنقل هذه الفكاهة والخرافة تفيدنا بما يأتي

- ١- الحمار يتكلم والكلام للإمام الشيعي التصحيحي السيد حسين الموسوي .
- ٢- الحمار يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله فداك أبي وأمي مع
أن المسلمين هم الذين يفدون رسول الله صلوات الله عليه بأبائهم وأمهاتهم
لا الحمير .
- ٣- الحمار يقول : (حدثني أبي عن جدي عن جده الرابع) مع أن بين نوح ومحمد
ألوفاً من السنين ، بينما يقول الحمار أن جده الرابع كان مع نوح في السفينة
ويسخر الموسوي كما يسخر كل عاقل من هذه الأسطورة الخرافية والتي
لا يتصور جوانب الحوار فيها إلا الفصيل الذي يرويها ويروي الإمام حسين
الموسوي ذكرياته ويقول كنا نقرأ أصول الكافي مرة مع بعض طلبة الحوزة في
النجف على الإمام الخوئي ، فرد الإمام الخوئي وكما هو معروف الرجل من
كبار الأئمة المعاصرين الشيعة .

انظروا إلى هذه المعجزة إلى نوح سلام الله عليه يخبر بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبنبوته قبل ولادته بألوف السنين ويبقى السؤال الذي لا جواب عليه كيف
يمكن أن تكون هذه معجزة وفيها حمار يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله:
بابي أنت وأمي؟ وكيف يمكن لأمر المؤمنين سلام الله عليه أن ينقل مثل هذه

الرواية ؟ لكن مسلسل المفتريات والمزاعم لا ينتهي فقد نقل الصدوق عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى : (وإذ تقول للذي أنعم الله وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه) (الأحزاب/ ٣٧) قال الرضا مفسرا هذه الآية :

(عن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة في أمر أراده، فرأى امرأته زينب تغتسل فقال لها : سبحان الذي خلقك) عيون أخبار الرضا ص ١١٣.

فهل ينظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى امرأة رجل مسلم: ويشتهيها، ويعجب بها، ثم يقول لها سبحان الذي خلقك أليس هذا طعناً برسول الله صلى الله عليه وآله؟.

لكن العجيب الغريب هو ما جاء في كتاب البرهان في تفسير القرآن ج ٤ ، ٢٢٥ مما ينسب إلى أمير المؤمنين رضى الله عنه من أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعمر فحدث كما زعموا عليه رضى الله عنه أنه قال : (فجلست بينه وبين عائشة ، فقالت عائشة : ما وجدت إلا فخذى وفخذ رسول الله ؟ فقال : مه يا عائشة) البرهان في تفسير القرآن ٢٢٥/٤ .

وجاء مرة أخرى فلم يجد مكانا ، فأشار إليه رسول الله : ههنا - يعني خلفه - وعائشة قائمة خلفه وعليها كساء : فجاء على عليه السلام فقعد بين رسول الله وبين عائشة فقالت وهي غاضبة : (ما وجدت لإستك - دبرك أو مؤخرتك - موضعا غير حجري ؟ فغضب رسول الله ، وقال : يا حميراء ، لا تؤذيني في أخي) كتاب سليم بن قيس ص ١٧٩ . وعمل الدرب نفسه المؤذى لله ولرسوله ، ولآل بيته جميعا ما رواه المجلسي من أن أمير المؤمنين قال :

(سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليس له خادم غيري ، وكان معه لحاف ليس له غيره ، ومعه عائشة وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتا لحاف غيره ، فإذا قام إلى الصلاة - صلاة الليل - يحط بيده اللحاف

من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا) بحار الأنوار ج ٢/٤٠ ، والسؤال الذي يستحي المسلم من مجرد طرحه تاريخيا ولو في مقام الدفاع عن آل بيت رسول الله واحقاق الحق هل يرضى رسول الله أن يجلس علي في حجر عائشة امرأته ؟ ألا يخار رسول الله صلى الله عليه وآله على امرأته وشريكة حياته إذا تركها في فراش واحد مع ابن عمه الذي لا يعتبر من المحارم ؟ ثم كيف يرتضي أمير المؤمنين ذلك لنفسه ؟

ومما يزيد الطين بلة ويكشف عن خلل عقلي وفساد عقدي ما يقوله السيد علي غروي أحد أكبر العلماء في الحوزة : إن النبي صلى الله عليه وآله لا بد أن يدخل فرجه النار ، لأنه وطئ بعض المشركات) يريد بذلك زواجه من عائشة وحفصة ، وهذا كما هو معلوم فيه إساءة إلى النبي صلى الله عليه وآله ، لأنه لو كان فرج رسول الله يدخل النار فلن يدخل الجنة أبدا .

وإذا كان هذا غيظ من فيض القاذورات والنجاسات التي توجهها مصادر الغلو والفساد العقلي إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله الكرام فإن حجم رمى وأصحابه صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من المخازي لا يوصف عند الغلاة من علماء القوم وأئمتهم ، فقد جاء في بحار الأنوار ج ٤ ، ٣٠٣ .

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (أتى عمر بامرأة قد تعلقت برجل من الأنصار كانت تهواه ، فأخذت بياض البيضة على ثيابها وبين فخذيهما ، فقام علي فنظر بين فخذيهما فاتهمها) .

والسؤال الذي لا بد منه عند من يتماسك ويتحمل هذه البذاءات بحق أفضل الخلق بعد رسول الله وهم صفوة أصحابه . هل يمكن لعاقل أن يتصور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو ينظر بين فخذي امرأة أجنبية ؟ وهل يعقل أن ينقل الإمام الصادق هذا الخبر ؟ وهل يقول هذا الكلام رجل أحب أهل البيت ؟ وثالثة الأثافي ما ينسب في بحار الأنوار إلى الإمام الصادق من أنه قال :

قامت امرأة شنيعة إلى أمير المؤمنين وهو على المنبر ، فقالت : هذا قاتل
الأحبة، فنظر إليها ، وقال لها :

(يا سلفع ، يا جريئة ، يا بذية ، يا مذكرة ، يا التي لا تحيض كما تحيض
النساء ، يا التي على منها شيء بين مدلى) : البحار ٢٩٣/٤١ .

فهل يتلفظ أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام البذي ؟ هل يخاطب امرأة بقوله يا
التي على منها شيء بين مدلى ؟ وهل ينقل الصادق عليه السلام مثل هذا الكلام
الباطل ؟ يقول السيد حسين موسى لو كانت هذه الروايات في كتب أهل السنة
لأقمنا الدنيا ولم نقعدها ، ولفضحناهم شر فضيحة ، ولكنها في كتبنا نحن الشيعة .
نقول وعلى درب المفتريات فقد روى الطبرسي في الاحتجاج أيضا كيف أن عمر
ومن معه اقتادوا أمير المؤمنين عليه السلام والحبل في عنقه وهم يجرونه جرا حتى
انتهى به إلى أبي بكر ثم نادى بقوله : ابن أم، إن القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني ونحن نسأل يا ترى أكان أمير المؤمنين جباناً إلى هذا الحد ؟

وانظر وصفهم لأمر المؤمنين عليه السلام إذ قالت فاطمة عنه :

(إن نساء قریش تحدثني عنه أنه رجل دحاح البطن ، طويل الذراعين ضخمة
الكراديس ، انزع ، عظيم العينين ، لمنكبه مشاشا كمشاش البعير ضاحك السن
لا مال له (تفسير القمي ٣٣٦/٢) .

أدخلني أبي المسجد يوم الجمعة ، فرفعتني فرأيت عليا يخطب على المنبر شيخا
اصلع، ناتئ الجبهة ، عريض ما بين المنكبين في عينه اطر غشاش (يعني لين في
عينه) . عن مقاتل الطالبين .

فهل كانت هذه أوصاف أمير المؤمنين عليه السلام؟؟ هذا ما لا يقوله حتى
أعداء المسلمين وإذا ما ذهبنا إلى الزهراء فاطمة رضي الله تعالى عنها فإننا نرى
حولها في مصادر القوم العجب العجاب والمفتريات العظام فقد روى أبو جعفر
الكليني في أصول الكافي أن فاطمة أخذت بتلابيب عمر ، فجذبتة إليها ، وفي كتاب
سليم بن قيس ، أنها سلام الله عليها تقدمت إلى أبي بكر وعمر في قضية فذك ،
وتشاجرت معهما ، وتكلمت في وسط الناس وصاحت ، وجمع الناس لها) ص ٢٥٣ .

فهل هذا مما يمكن أن ينسب إلى بنت النبي رضى الله عنها ، ومن شر البلايا في حق آل البيت بل ومن أبشع المفتريات حول فلذة كبد النبي محمد وحبيبته فاطمة أم الحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا ما يرويه الكليني في الفروع من كتابه الواسع (الكافي) من أنها رضى الله عنها ما كانت راضية بزواجها من على عليه السلام إذ دخل عليها أبوها عليه السلام وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك ؟ فو الله لو كان في (أهلي) خير منه ما زوجته ، وما أنا زوجتك ولكن الله زوجك ، ولما دخل عليها أبوها صلوات الله عليه ومعه بريده : لما أبصرت أباهما دمعت عيناها، قال ما يبكيك يا بنتي ؟

قالت : (قلة الطعم ، وكثرة الهم ، وشدة الغم) ، وقالت في رواية : (والله لقد اشتد حزني، واشتدت فاقتي، وطال سقمي) كشف الغمة ١/١٤٩ - ١٥٠ وقد وصفوا عليا عليه السلام وصفا جامعا فقالوا :

(كان عليه السلام مربوعا ، وهو إلى القصر اقرب ، عظيم البطن ، دقيق الأصابع ، غليظ الذراعين ، خمش الساقين ، في عينه لين ، عظيم اللحية ، اصلع ، نأتى الجبهة) مقاتل الطالبين ص ٢٧ .

فإذا كانت هذه أوصاف أمير المؤمنين كما يقولون، فكيف يمكن أن ترضى به ؟.

وفي هذا الباب الغريب والذي لا يدل على حب وتقدير بل على عدوان واستهزاء واستخفاف ما نقله الكليني في الأصول من الكافي : أن جبريل نزل على محمد صلى الله عليه وآله فقال له : يا محمد ، إن الله يبشرك بمولود من فاطمة ، تقتله أمك من بعدك فقال: يا جبريل ، وعلى ربي السلام ، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمي من بعدي" فخرج ثم هبط فقال مثل ذلك : "يا جبريل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمي من بعدي " فخرج جبريل إلى السماء ، ثم هبط فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية ، إني رضيت، ثم أرسل إلى فاطمة أن الله يبشرك بمولود يولد لك تقتله أمي من بعدي، فأرسلت إليه أن لا حاجة لي في مولد تقتله

أمتي من بعدي، وأرسل إليها أن الله عز وجل جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه أنني رضيت، فحملته كرها .. ووضعت كرها ، ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى ، كان يؤتى بالنبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمص ما يكفيه اليوم والثلاثة .

والسؤال الذي لا بد منه، هل يعقل مسلم أو غير مسلم أن يرد رسول الله صلى الله عليه وآله أمرا بشره الله تعالى به وهل كانت الزهراء سلام الله عليها ترد أمرا قد قضاه الله وأراد تبشيرها به ، فتقول (لا حاجة لي به) وهل حملت بالحسين وهي كارهة له ، ووضعت وهي كارهة له ؟ وهل امتنعت عن إرضاعه حتى كان يؤتى بالنبي صلوات الله عليه ليرضعه من إبهامه ما يكفيه اليومين والثلاثة ؟

إن الإمام الحسين الشهيد سلام الله عليه أجل وأعظم من أن يقال بحقه مثل هذا الكلام، وهو أجل وأعظم من أن تكره أمه حمله ووضعه . إن نساء الدنيا يتمنين أن تلد كل واحدة منهن عشرات الأولاد مثل الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه ، فكيف يمكن للزهراء الطاهرة العفيفة أن تكره حمل الحسين، وتكره وضعه، وتمتنع عن إرضاعه؟.

والعجيب الغريب أن معظم الأئمة الشيعة على الرغم من كل هذه المفتريات المدونة ضد أهل البيت في مصادر لا يترددون في رمي أهل السنة بأنهم يسبون "الإمام الحسين" رضي الله عنه .. ومن المصائب التي تطالع الدارسين والباحثين ما جاء في فروع الكافي ١٤١/٢ من أنه لما زوج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب نقل أبو جعفر الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في ذلك الزواج :

"إن ذلك فرج غصبناه !!!"

والسؤال لقائل هذا الافتراء وداعي هذا الزور والزيغ والبهتان : هل تزوج عمر أم كلثوم زواجا شرعيا أم اغتصبها غصبا ؟ إن الكلام المنسوب إلى الصادق عليه السلام واضح المعنى ، فهل يقول أبو عبد الله مثل هذا الكلام الباطل عن ابنة المرتضى عليه السلام ؟

ثم لو كان عمر اغتصب أم كلثوم ، فكيف رضى أبوها أسد الله وذو الفقار ،
وفتى قريش بذلك ؟ وكيف تستقيم هذه الأكذوبة التي تفتري وتكذب على أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب وما جاء في الروضة من الكافي ١٠١/٨ في حديث
أبي بصير عن المرأة التي جاءت إلى أبي عبد الله تسأل عن (أبي بكر وعمر) فقال
لها : توليهما قالت : فأقول لربي إذا لقيته أنك أمرتني بولايتهما ؟ قال نعم .

فهل الذي يأمر بتولي عمر يتهمة بأنه اغتصب امرأة من أهل البيت ؟ وإذا
ما سألت إماما شيعيا عن هذا القول الذي يقول بعدالة عمر وصحة ولايته فإنه
سيقول على الفور إنما قال الإمام الصادق للمرأة قوله هذا تقية ، وإذا ما قيل لكل
الشيعة في العالم : إن المرأة كانت من شيعة أهل البيت ، وأبو بصير من أصحاب
الصادق عليه السلام ، فما كان هناك موجب للقول بالتقية لو كان ذلك صحيحا فإن
أحدا لا يعطيك جوابا .

ومن المخزيات المبكيات بشأن العدوان على أهل بيت النبي صلى الله عليه
وسلم ما رواه : "المفيد في الإرشاد" عن أهل الكوفة أنهم : (شدوا على فسطاطه ،
وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، فبقى جالسا متقلدا السيف بغير رداء)
ص ١٩٠ .

يبقى الحسن عليه السلام بغير رداء مكشوف العورة أمام الناس ؟ أهذه محبة ؟
وفي مسلسل العدوان المذهبي والتعصب الأعمى والافتراء بغير ضابط
ولا دليل ما جاء في : "رجال الكشي" من أنه دخل سفيان بن أبي ليلى على الحسن
عليه السلام وهو في داره فقال للإمام الحسن :

(السلام عليك يا مذل المؤمنين قال : "وما علمك بذلك" ؟

قال : عمدت إلى أمر الأمة فخلعته من عنقك ، وقلدته هذا الطاغية يحكم بغير
م (مر الله ؟) هل يوجد من عقلاء الشيعة أو من البلهاء من يقبل هذا الافتراء على
الحسن بن علي رضى الله عنهما .

هل كان الحسن عليه السلام مذلاً للمؤمنين ؟ أم أنه كان معزاً لهم لأنه حقن دماءهم ، ووجد صفوفهم بتصرفه الحكيم ، ونظره الثاقب ؟

فلو أن الحسن عليه السلام حارب معاوية وقاتله على الخلافة لأريق بحر من دماء المسلمين، ولقتل منهم عدد لا يحصى إلا الله تبارك وتعالى، ولمزقت الأمة تمزيقاً، ولما قامت لها قائمة من ذلك الوقت .

وللأسف فإن هذا القول ينسب إلى عبد الله عليه السلام ، والله إنه لبرئ من هذا الكلام وأمثاله . وهو نفسه الإمام الصادق قد ناله منهم شتى أنواع الأذى ، ونسبوا إليه كل قبيح .

فعن زرارة قال : (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التشهد .. قلت التحيات والصلوات .. فسألته عن التشهد فقال كمثلته ، قال : التحيات والصلوات ، فلما خرجت ضرطت في لحيته ، وقلت : لا يفلح أبدا) رجال الكشي ص ١٤٢ .

ويعلق السيد حسين الموسوي جزاء الله كل الخير وأكثر من أمثاله على مثل المفتريات ويقول حق لنا أن نبكي دما على الإمام الصادق عليه السلام ، نعم .. كلمة قذرة كهذه تقال في حق الإمام أبي عبد الله ؟ أضرط زرارة في لحية أبي عبد الله عليه السلام؟ أيقول عن الصادق عليه السلام : لا يفلح أبدا ؟؟ (١)

ثم يقول : لقد مضى على تأليف كتاب الكشي عشرة قرون ، وتداولته أيدي علماء الشيعة كلهم على اختلاف فرقهم ، فما رأيت أحدا منهم . اعترض على هذا الكلام، أو أنكره أو نبه عليه، ويتوسع السيد حسين الموسوي في بيان خطورة هذه المفتريات على أئمة أهل البيت فيقول عن واقعة كان هو أحد أطرافها عندما كان يتتلمذ على الخوئي وهو من كبار الأئمة المعاصرين لما شرع في تأليف كتابه الضخم (معجم رجال الحديث) فإني كنت أحد الذين ساعدوه في تأليف هذا السفر ، وفي جمع الروايات من بطون الكتب ، ولما قرأنا هذه الرواية على مسمعه أطرق قليلاً ، ثم قال : لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة ، ما زاد على ذلك ، ولكن أيها

(١) مصدر سابق صفحة ٢٧

الإمام الجليل ، إن الهفوة تكون سبب غفلة ، أو خطأ غير مقصود إن قوة العلاقة بك إذ كنت لك بمنزلة الولد للوالد ، وكنت مني بمنزلة الوالد لولده تحتم على أن أحمل كلامك على حسن النية ، وسلامة الطوية ن وإلا لما كنت أرضى منك السكوت على هذه الإهانة على الإمام الصادق أبي عبدالله عليه السلام .

وقال ثقة الإسلام الكليني (حدثني هشام عبد الحكم وحماد عن زرارة قال : قلت في نفسي : شيخ لا علم له بالخصومة - والمراد إمامه) .

وقد كتبوا في شرح هذا الحديث :

إن هذا الشيخ عجوز لا عقل له ، ولا يحسن الكلام مع الخصم .

فهل الإمام الصادق (لاعقل له) ؟ يقول الإمام الشيعي التصحيحي حسين الموسوي .

إن قلبي ليعتصر ألما وحزنا ، فإن هذا السباب وهذه الشتائم وهذه الجراءة لا يستحقها أهل البيت الكرام ، فينبغي التأدب معهم .

وأما العباس وابنه عبد الله ، وابنه الآخر عبيد الله ، وعقيل عليهم السلام جميعا فلم يسلموا من الطعن والغمز واللمز ، اقرأ معي هذه النصوص :

روى الكشي أن قوله تعالى : (فلبئس المولى ولبئس العشير) نزلت فيه - أي في العباس - رجال الكشي ص ٥٤ .

وقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وقوله تعالى (ولا ينفعكم نصحي إن أردت إن أنصح لكم) نزلتا فيه ص ٥٢ - ٥٣ روى الكشي أيضا أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا على عبد الله بن العباس وأخيه عبيد الله فقال : (اللهم العن ابني فلان - يعني عبد الله وعبيد الله - واعم إبصارهما كما عميت قلوبهما الاجلين في رقبتى ، واجعل عمى إبصارهما دليلا على عمى قلوبهما) ص ٥٢ .

وروى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني في الفروع عن الإمام الباقر قال في أمير المؤمنين : (وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام ، عباس

وعقيل) إن الآيات الثلاث التي زعم الكشي أنها نزلت في العباس معناها الحكم عليه بالكفر والخلود في النار يوم القيامة ، وإلا فقل لي بالله عليك ما معنى قوله : " فهو في الآخرة اعمى وأضل سبيلا"؟

وأما أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا على ولدي العباس عبد الله وعبيد الله باللعن وعمى البصر وعمى القلب فهذا تكفير لهما .

يقول السيد حسين الموسوي المفكر الشيعي إن عبد الله بن العباس تلقبه العامة - أهل السنة - بترجمان القرآن وحبر الأمة ، فكيف نلعه نحن ، وندعى محبة أهل البيت عليهم السلام (١)؟

وأما عقيل عليه السلام فهو أخو أمير المؤمنين عليه السلام، فهل هو ذليل، وحديث عهد بالإسلام ؟

وأما الإمام زين العابدين على بن الحسين فقد روى الكليني : أن يزيد بن معاوية سأله أن يكون عبدا له، فرضي عليه السلام أن يكون عبدا ليزيد إذا قال له : (قد أقررت لك بما سألت أنا عبد مكره فإن شئت فامسك وإن شئت فبع) ويعلق الإمام حسين الموسوي على ما جاء في الروضة من الكافي في ٢٣٥/٨ حول الإمام زين العابدين ويقول أنظر القول والمعنى (قد أقررت بأني عبد لك وأنا عبد مكره ، فإن شئت فأبقني عبدا لك وإن شئت أن تبيعني فبعتني) فهل يكون الإمام عليه السلام عبدا ليزيد يبيعه متى شاء ويبقى متى شاء؟ ثم يتوسع ويقول :

إذا أردنا أن نستقصي ما قيل في أهل البيت جميعا فإن الكلام يطول بنا إذ لم يسلم واحد منهم من كلمة نابية، أو عبارة قبيحة، أو عمل شنيع، فقد نسبت إليهم أعمال شنيعة كثيرة ، وفي أمهات مصادر الشيعة من الغلو ما لا يتقبل ولا يعقل ولا يمكن أن يصدر من الأسوياء وفضلا عن الأنبياء والأطهار، صاحب بحار الأنوار يكذب على أبي عبد الله الصادق رضى الله عنه ويقول عنه أنه قال :

(١) مصدر سابق صفحة ٢٩

(كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمة)
بحار الأنوار ٤٣/٤٤ .

(وكان يضع وجهه بين ثدييها) بحار الأنوار ٧٨/٤٣ .

إن فاطمة سلام الله عليها امرأة فهل يعقل أن يضع رسول الله وجهه بين ثدييها؟؟ فإذا كان هذا نصيب رسول الله صلوات الله عليه ونصيب فاطمة، فما نصيب غيرهما؟ بل وأين دعوات الإباحة الفارسية التي سبقت عصر الإسلام لقد شكوا في الإمام محمد القانع هل هو ابن الرضا أم أنه ابن (...). وهذا مما تقشعر منه الأبدان فعن علي بن جعفر الباقر أنه قال للرضا عليه السلام :

(ما كان فينا إمام قط حائل اللون - أي تغير واسود - فقال لهم الرضا عليه السلام: هو ابني، قالوا : فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة - مفردها قائف وهو الذي يعرف الآثار والأشباه ويحكم بالنسب - فبيننا وبينك القافة، قال ابعثوا إليه، فأما أنا فلا، ولا تعلموهم : لم دعوتهم ولتكونوا في بيوتكم .

فلما جاعوا أقعدونا في البستان، واصطف عمومته وإخوته وأخواته ، وأخذوا الرضا عليه السلام، وألبسوه جبة صوف، وقلنسوة منها، ووضعوا على عنقه مسحاة، وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاعوا جعفر عليه السلام، فقالوا: ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا : ليس له ههنا أب، ولكن هذا عم أبيه، وهذا عمه وهذه عمته، ولم يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة ، فلما رجع أبوه الحسن قالوا : (هذا أبوه) أصول الكافي ٣٢٢/١ . أي أنهم شكوا في كون محمد القانع سلام الله عليه ابن الرضا عليه السلام ، بينما يؤكد الرضا عليه السلام أنه ابنه، وأما الباقر فإنهم أنكروا ذلك ، ولهذا قالوا : (ما كان فينا إمام قط حائل اللون) ولاشك أن هذا طعن في عرض الرضا عليه السلام، واتهام لامرأته، وشك في عفتها، ولهذا ذهبوا فأتوا بالقافة، وحكم القافة بأن محمدا القانع هو ابن الرضا عليه السلام لصلبه، عند ذلك رضوا وسكتوا . وفي ظل هذه المفتريات التي طاردوا بها أهل البيت فمن الممكن اتهام الآخرين بمثل هذه التهمة ،

وقد يصدق الناس ذلك ، أما اتهام أهل البيت صلوات الله عليهم فهذا من أشنع ما يكون ، وللأسف فإن مصادر الشيعة فيها من هذا الإثم والزيف على أهل البيت الكثير والكثير .

لقد اتهموا الرضا سلام الله عليه بأنه كان يعشق بنت عم المأمون ، وهي تعشقه انظر عيون أخبار الرضا ص ١٥٣ .

ولقبوا جعفر بجعفر الكذاب فسبوه وشتموه وأما الحسن العسكري فقد قال الكليني عنه : (هو معلن الفسق فاجر ، ماجن شريب للخمر ، أقل ما رأيته من الرجال ، وأهتكهم لنفسه ، خفيف قليل في نفسه) أصول الكافي ٥٠٤/١ .

فهل من أهل البيت سلام الله عليهم شريب خمر ؟ أو فاسق ؟ أو فاجر ؟

وأكثر من تعرض للطعن وللغمز واللمز الإمامان محمد الباقر وابنه جعفر الصادق عليهما السلام وعلى آبائهما ، فقد نسبت إليهما أغلب المسائل كالقول بالتقية، والمتعة ، واللواط بالنساء وإعارة الفرج و الخ .

وهما سلام الله عليهما بريئان من هذا كله . وبعد فهل يمكن أن يكون غلاة الإمامية يحبون حقل وصدقاً آل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه؟؟ أم أنهم دعاة زيف وعدوان على تاريخ الإسلام والمسلمين".

أهم العبادات عند الإمامية

من المآخذ التي يمكن أن تسجل على الأئمة من الإثني عشرية وغيرهم ممن ينضوي تحت لواء الباطنية العبادات والممارسات التطبيقية للمعتقدات التي يؤمنون بها من الطهارة والصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها والمطالع لمصادر القوم وأمّهات معتقداتهم يطالعه مثلاً في باب الطهارة ما يذهبون إليه من أن سور الكافر نجس، لأن الكافر ذاته نجس، ولذلك يذكرونه في النجاسات. وقد اختلفوا في تحديد الكافر وتوسعوا في مفهوم الكفر حتى شمل كثيراً من المسلمين^(١) فهم يحكمون بكفر الخوارج والغلاة والنواصب، أي الذين ينصبون العداء لآل البيت. وتوسع بعض الغلاة فوصم معظم أصحاب رسول الله ﷺ بنوع من الكفر الذي يخل المرء من ذكره، فمثلاً صاحب مفتاح الكرامة يقول: أن الذي يظهر من السير والتواريخ أن كثيراً من الصحابة في زمن النبي ﷺ، وبعده وأكثر أهل مكة وغيرهم كانوا في أشد العداوة لأمير المؤمنين، وذريته، مع أن مخالطتهم ومجاورتهم لم تكن منكراً عند الشيعة أصلاً ولو سراً. يفهم من هذا أن هناك أشكالا : فكيف أباح الشيعة مخالطة هؤلاء مع أنهم نجس لكفرهم بسبب العداء: في ضوء ما زعموا وادعوا أجاب صاحب الكتاب عن هذا بقوله: الحاصل أن طهارتهم مقرونة، إما بالتقية، أو الحاجة، وحيث ينتفيان فهم كافرون قطعاً^(٢). وللأئمة آراء متباينة في تحديد النواصب، فمنهم من جعل كلمة النواصب تشمل كل الأمة الإسلامية - عدا الإمامية بالطبع، ومنهم من حاول أن يحد من سورة هؤلاء الغلاة، لكن الجدير ذكره هنا أن الغلاة لا يذهبون إلى معتقدهم بمنهج واحد ففي هذه الشعيرة ذكر السيد محسن الحكيم بعض الآراء وناقش الأدلة. وانتهى إلى طهارة المسلم غير الإمامي ما لم يكن ينصب العداء لأحد الأئمة أو يسبه^(٣). وفي الغسل نرى بعضهم يذهب إلى أن

(١) أنظر كتاب الطهارة: ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) أنظر كتاب الطهارة من الكتاب المذكور ص ١٤٥ .

(٣) أنظر مستمسك العروة ١/ ٣٨٦ - ٣٩٨ .

الجنب يحرم عليه ذكر اسم أحد الأئمة ^(١). ونرى كثيراً من الأغسال المندوبة عندهم تتعلق بفرقتهم، فهم يرون استحباب الاغتسال لزيارة الأئمة ^(٢) وفي ليلة النصف من شهر رمضان، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين منه: فالأولى وإن كانت احتفالاً بانتصاف رمضان المعظم فقد قيل بأن فيها ولد الإمام الثاني الحسن بن علي، والإمام التاسع محمد الجواد والليلة الثانية فيها ضرب الإمام علي، ومات في الثالثة. ويرون كذلك استحباب الاغتسال ليوم الغدير، وهو الثامن عشر من ذي الحجة. بل يعدونه عيداً يحتفلون به، حيث يرون أن في مثل هذا اليوم كان حديث غدير خم المشهور. والاعتماد على يوم المأهلة - وهو الرابع والعشرون من ذي الحجة، وقيل الخامس والعشرون يرون أن في هذا اليوم نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ^(٣).

ويرون استحباب الاغتسال لنيروز الفرس، ويبدو هذا بعيداً عن الإمامة، وهو بعيد عن الإسلام، ولكن نجد من يقول بأنه يوم ظهور الإمام الثاني عشر القائم المنتظر وقيل بأن في هذا اليوم أعلن النبي ﷺ، خلافة علي بن أبي طالب.

وفيما يتعلق بالميت من الأحكام نراهم يذهبون إلى أن الكافر أي غير الإمامي لا يغسل، وقد اختلفوا حول وجوب تغسيل المسلم غير الإمامي ^(٤) ويشترطون في المغسل أن يكون من طائفتهم ^(٥) والشهيد الذي لا يغسل عندهم يشترطون أن يكون

(١) قال الحكيم: "عن شرح الجعفرية نسبتة إلى الأصحاب بل عن الغنية الإجماع عليه. وليس عليه دليل غير الإجماع المدعي، وما دل على وجوب تعظيم شعائر الله، وكلاهما غير ظاهر ... (مستمسك العروة ٤٥/٣).

(٢) إلى جانب هذا نرى من يذكر استحباب الاغتسال لأخذ ترربة قبر الحسين (أنظر المرجع السابق ٢٨٢/٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٤) نقل حكيم الآراء المختلفة وناقشها وانتهى إلى قوله "وبالجملة صناعة الاستدلال لا تساعد القول بالوجوب وإن كان الظن يقتضي ذلك، بل هو الذي تطمئن به النفس" (أنظر مستمسك العروة ٦٥/٤ - ٦٦).

(٥) وعلل الحكيم لهذا بقوله: "لبطلان عبادة الكافر والمخالف"، (المرجع السابق، ص ٩٧).

مقتولا في المعركة عند الجهاد مع أحد أئمتهم أو نائبه الخاص وأكثرهم يلحق به كل من قتل في حفظ بيضة الإسلام في حال غيبة إمامهم الثاني عشر كما يعتقدون^(١). وفي تلقين الميت: إلى جانب تلقين الشاهدين يضيفون الإقرار بالأئمة الإثني عشر. وفي الكتابة يرون أن تكتب أسماء الأئمة بالتربة الحسينية، وأن يجعل مع الميت شيء من هذه التربة.

وفي حكمهم بنجاسة الإنسان بالموت يخرجون الأئمة من هذا الحكم.

وأما ما ذهب إليه الإمامية في عقيدة الصلاة وما يتصل بها فإنهم بادئ ذي بدء يزدون في الإذان والإقامة عبارات ونداءات تفتقد السند والصحة وهي: "حي على خير العمل" مرتين بعد "حي على الفلاح" ويقول بعض الإمامية إن عبارة خير العمل هو الولاية كما يزعمون أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر بترك هذا الجزء من الإذان لأنه أراد ألا يقع حث على الولاية ودعاء إليها هذا وقد توسع بعضهم فزادوا بعد الشهادتين "أشهد أن عليا ولي الله أشهد أن عليا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين حجة الله"^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض فقهاء المذهب عندما يشعرون ببدعية عقيدة أو شعيرة مما يقولون بها لا يتخرجون من أن يجدوا لها مخرجا مثلما فعل الحكيم بعد أن بين أن الشهادة لعلي بالولاية وإمرة المؤمنين ليست جزءا من الإذان والإقامة بلا خلاف ولا إشكال، عاد ليقول بأن هذا الجزء لا بأس بالإتيان به بقصد الاستحباب المطلق. ثم قال: "بل ذلك في هذه الأعصار معدود من شعائر الإيمان ورمزا إلى التشيع، فيكون من هذه الجهة راجحا شرعا، بل قد يكون واجبا"^(٣).

ونظراً لهذه الزيادة الموجودة عندهم قالوا: من صلى خلف من لا يقتدي به إنن لنفسه وأقام، ولو خشى فوات الصلاة اقتصر من فصوله على تكبيرتين و"قد قامت

(١) أنظر نفس المرجع ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) أنظر مستمسك العروة: ٥/٥٤٤ - ٥٤٥.

(٣) نفس المرجع.

الصلاة "، وقيل بالاختصار على ذلك، وقيل : يجزيء إذان المخالف مع الإتيان بما ينقص منه ^(١).

ولكن أكثرهم يشترط الإيمان في المؤذن ، أي يكون إمامياً ولذا قال صاحب المستمسك (٥٨٤/٥) " الإذان من العبادة وهي لا تصح من المخالف إجماعاً " .

وفي المساجد نرى الشيعة ينظرون إليها بصفة عامة نظرة تتفق مع أهل السنة. ولكنهم كعبادتهم. يغالون فيما يتصل بمذهبهم، وبمن ينتسب إليهم هذا المذهب.

فمسجد الكوفة أسسه سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - في العام السابع عشر من الهجرة، وأعيد بناؤه بعد ذلك . ولكن في هذا المسجد محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وفيه ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، لهذا ينزلون مسجد الكوفة منزلة غير المنزل، فالصلاة فيه بألف صلاة، وهو يساوي المسجد الأقصى الذي كان قبلة للمسلمين ، واليه أسرى بالرسول ﷺ، ويذكرون أن الرسول الكريم صلى في مسجد الكوفة ليلة الإسراء ^(٢). وكثير منهم يجعل لمرآة الأئمة ما للمساجد من الأحكام كحرمة دخول الجنب ^(٣).

وفي السجود يرون من الأفضل أن يكون على التربة الحسينية، ولذا يضعون في مساجدهم قطعاً من هذه التربة معدة للسجود عليها، يضعونها تحت الجبهة، كما يحمل كثير منهم مثل هذه القطع .

وفي الجمعة يشترطون لوجوبها السلطان العادل أو نائبه، ويضيقون هذا المفهوم حين يقولون بأن السلطان العادل هو النبي ﷺ، أو أحد أئمتهم ^(٤).

(١) أنظر مفتاح الكرامة - كتاب الصلاة ٢٧٠/١ - ٢٧١ و ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٢) هذه الصلاة من الأمور الشائعة في الوسط الإمامي، فمن يذهب إلى هذا المسجد اليوم يجد محراباً يقولون عنه أنه محراب رسول الله ﷺ الذي صلى فيه ليلة الإسراء .

(٣) أنظر مستمسك العروة ٥١٥/١، ٤٨/٣ - ٤٩، ٣١٧ .

(٤) أنظر مفتاح الكرامة - كتاب الصلاة ٥٦/٢ - ٥٧ .

ويشترطون في النائب أن يكون مؤمناً أي إمامياً لأن الولاية من أركان الإيمان، وغير الإمامي بزعمهم ليس مؤمناً، لذا قال صاحب مفتاح الكرامة : "الإيمان عندنا إنما يتحقق بالإعتراف بإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، إلا من مات، في عهد أحدهم، فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله " (١).

والكثيرون من الإمامية هم الذين اشترطوا السلطان العادل لوجوبها وبعضهم يرى أن هذا شرط في ماهية الجمعة ومشروعيتها، وآخرون ينكرون اشتراط هذا الشرط من أصله (٢).

وفي زمن غيبة إمامهم الثاني عشر - كما يعتقدون - اختلفوا حول هذا الشرط اختلافاً بلغ إلى أربعة أقوال :

الأول : أنها واجبة عينا .

الثاني : أنها حرام .

الثالث : أنها واجبة تخيير " ٣ " مع الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء .

الرابع : أنها واجبة كذلك، لكن لا يشترط في إمامها إلا شروط أمام الجماعة. وأكثر شيعة اليوم لا يصلون الجمعة وإن دخل بعضهم فيها أحياناً مع غير الشيعة من باب التقية أو الحرص على مظهرية وحدة الصف .

وفي صلاة الجمعة خلف من لا يرضونه يرون تقديم الظهر عليها، أو الصلاة خلفه بنية الظهر، ثم القيام بعد ركعتي الإمام - على خلاف بينهم في أفضلية التقديم أو الإتمام (٣) وهم في كلتا الحالتين مسقطون للجمعة، يتظاهرون بصلاتها تقية .

(١) نفس المصدر، كتاب الصلاة ٨٠/٢ .

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) أنظر مفتاح الكرامة - كتاب الصلاة ١٧٠/٢ - ١٧١ .

وفي صلاة الجنازة يرون عدم الصلاة على الفرق المحكوم بكفرها من المسلمين، وبداهة هم الذين حكموا بهذا الكفر على مخالفهم .

ويرون الدعاء للميت إن كان مؤمناً - أي إمامياً، والدعاء عليه إن كان منافقاً^(١). والذي يرونه لا يعرف الحق وهو موالاتهم كما يزعمون، ولا يعاند فيه، ولا يوالي أحد بعينه، يسمونه مستضعفاً، فيدعى له بدعاء المستضعفين^(٢). وإن جهلوا حاله يدعون أن يحشره مع من يتولاه. فالدعاء للميت أو عليه - كما يذهبون - مرتبط بالولاية .

وفي النوافل تتكرر الصورة التي وجدناها في الأغسال المندوبة، فكما وجدنا استحباب الإغتسال لزيارة الأئمة، وبيوم الغدير والمباهلة، نجد هنا أيضاً صلاة الزيارة، وصلاة الغدير، وصلاة المباهلة، وهكذا^(٣).

ولكنهم يعطون يوم الغدير مزيداً من الاهتمام أو الغلو فيقولون : إن هذا اليوم من أعيادهم، ومن عقائدهم في موضوع الصلاة: صلاة يوم الغدير ركعتان قبل الزوال بنصف ساعة، يقرأ في كل منها "الحمد" مرة وكلاً من "القدر" و"التوحيد" وآية الكرسي إلى قوله تعالى : " هم فيها خالدون " عشراً، جماعة في الصحراء، بعد أن يخطب الإمام بهم، يعرفهم فضل اليوم، فإذا انقضت الخطبة تصافحوا وتهانوا، ولكن بعضهم نفى الخطبة والجماعة لعدم المستند .

ونرى في النوافل صلوات بطرق خاصة يسمونها بأسماء تتصل بمذهبهم

(١) يرى بعضهم أن المراد بالمنافق هو الناصب، وآخرون يرونه كل مخالف مطلقاً (أنظر مفتاح الكرامة كتاب الطهارة ص ٤٨٠) .

(٢) هذا الدعاء هو "اللهم اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم" .

(٣) راجع النوافل في مفتاح الكرامة، كتاب الصلاة ٢/٢٤٨ - ٢٧٩ .

فتسمع عن صلاة علي وصلاة فاطمة وصلاة جعفر رضي الله تعالى عنهم^(١).

وفي الجماعة: إلى جانب ما ذهبوا إليه بالنسبة لصلاة الغدير جماعة، نراهم هنا يشترطون في الإمام الإيمان. وعرفنا مرادهم بالإيمان، فهم إذا لا يجيزون الصلاة خلف غير الإمامي. ويقولون: إذا علم فسق الإمام أو كفره بعد الصلاة لم يعد، وإذا كان عالماً واضطر للصلاة خلفه أعاد الصلاة.

واللافت للنظر أنه على الرغم من قوة الإدراك السياسي للمتغيرات التي تستغل من قبل القوى المعادية للمسلمين جميعاً سواء أكانوا من أهل السنة فإن علماء العقيدة من الباطنية سوءاً كانوا إمامية، أو جعفرية لا يتخرجون من القول بمثل ذلك المعتقد يقول الحكيم وهو يبين شرائط إمام الجماعة بأن من هذه الشرائط "الإيمان الحاصل بالاعتراف بإمامة الأئمة الإثني عشر. فإنه شرط إجماعاً، حكاه جماعة، بل لعله من الواضحات"^(٢).

وإذا أضفنا قوله السابق في الإذان بأن العبادة لا تصح من المخالف إجماعاً انتضح ما نذهب إليه الفرقة من بطلان عبادة الأئمة الإسلامية جميعاً لأنها لا تقول بإمامة الأئمة الإثني عشر^(٣).

(١) صلاة علي: أربع ركعات بتشهدين وتسليمتين، يقرأ في كل ركعة "الحمد" مرة و "الإخلاص" خمسين مرة.

وصلاة فاطمة: ركعتان، يقرأ في الأولى "الحمد" مرة، و "القدر" مائة مرة، وفي الثانية "الحمد" مرة، و "الإخلاص" مائة مرة.

وصلاة جعفر: أربع ركعات بتسليمتين، يقرأ في الأولى "الحمد" مرة، و "إذا زلزلت" مرة، ثم يقول خمس عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم يقولها عشرًا في كل من الركوع والانتصاب والسجدين والرفع منهما. فيكون مجموعها خمساً وسبعين في الركعة ويقرأ في الركعات الباقية على الترتيب بعد "الحمد" "العاديات" و "إذا جاء نصر الله" و "قل هو الله أحمد". (نجد مثل هذه الصلوات في الأحاديث الموضوعة: أنظر مثلاً: اللآلئ المصنوعة ٤٨/٢ - ٦٣، والفوائد المجموعة ١٤/١ - ٥٣).

(٢) مستمسك العروة ٣١٨/٧، وقد أخذ يستدل بما وضعه الغلاة من الإمامية من روايات نسبوها للأئمة. لتطهير جماعتهم من هذا الضلال الذي يتعارض مع الإسلام نصاً وروحاً.

(٣) المعاصرون من بعض علمائهم الذين التفتنا وإياهم في بعض المؤتمرات لا يقولون بهذا القول، وقولهم هذا إما: تقية" أو لعلمهم برغبتهم التصحيح.

وفي القصر: يقولون إنه عزيمة إلا في أربعة مواطن :

مسجدي مكة والمدينة المعهودين، ومسجد الكوفة، والمسجد الحائر الحسيني بكربلاء^(١). فيتخير فيها بين الإتمام والقصر. والإتمام أفضل. ومنع بعضهم التخير، وحتم القصر فيها كغيرها. وطرد بعضهم الحكم في مشاهد الأئمة وطرد آخرون الحكم في البلدان الأربع. وثالث في بلدي المسجدين الحرمين دون الآخرين، ورابع في البلدان الثلاثة غير الحائر .

وأما ما ذهب إليه الإمامية في فريضة الصيام من حيث الاستحداث والإبداع فنراه في ثنايا مصادرهم يتمثل في عقائدهم التي تعتبر في رؤية الهلال البيئة لشرعية التي تقوم على خبر عدلين. الذين يأخذون كذلك بحكم الحاكم، ولكن هذا لا يخرج عن النطاق الإمامي، أي أنهم لا يأخذون بشهادة غيرهم ولا بحكمه^(٢).

وفي شرائط صحة الصوم يشترطون مع الإسلام الإيمان بما نقوله العقائد الإمامية على أن يكون إمامياً خالصاً ويقولون : لا يصح الصوم من غير المؤمن^(٣) كما يقولون بأن العبادة لا تصح من المخالف إجماعاً .

(١) تحمس الحكيم لهذا الرأي العجيب وقال بأنه "المشهور شهرة عظيمة كانت تكون إجماعاً. ونسب إلى مذهب الأصحاب " وقال بأن الأخبار الكثيرة دالة عليه .

(أنظر مستمسك العروة ١٧٩/٨، وراجع إلى ص ١٨٩ وقرأ الأخبار التي اعتبرها صحيحة، والتي جعلت مسجدي الكوفة وكربلاء كالحرمين الشريفين، ومن حديث كربلاء والكعبة: لكربلا بان علو الرتبة.

" الأرض والتربة الحسينية محمد الحسن آل كاشف الغطاء، ص ١٧٩" وانظر مناقشة هذا الغلو في فقه الشيعة الإمامية ١٦٨/١ - ١٧٠ وكذلك ص ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢) راجع مستمسك العروة ٤٥٣/٨ - ٤٦١ تجد ما يبين هذا، كما أن واقعهم يدل عليه. فهم لا يأخذون بما تعلنه الدول الإسلامية .

(٣) قال الحكيم بأن هذا إجماع محقق (أنظر المرجع السابق ص ٤٠٢) .

ومما يجب الإمساك عنه في الصوم من المفطرات. الكذب على أئمتهم. والحق بعضهم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ^(١) بالأئمة .

وفي المندوب من الصيام يجعلون من المؤكد صوم يومي الغدير والمبأهلة، ويجعلون صوم عاشوراء حزنا على جميع الأئمة وليس حزنا على استشهاد الإمام الحسين ومشروعية صيام هذا اليوم لم تكن من أجل هذا الزعم كما هو معروف في عهد النبي ﷺ.

(١) إذن ليس مجرد الكذب هو المفطر، وإنما خصوه بالكذب على هؤلاء إلى جانب الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ، وقالوا: الكذب على الفقهاء والمجتهدين والرواة لا يوجب بطلان الصوم. (أنظر المرجع السابق ص ٢٥١ - ٢٥٧) .

ويبقى هنا تساؤل: فوضع الفرق للأحاديث التي تؤيد مبادئهم شيء معروف .

الزكاة والخمس في الفقه الإمامي

من العقائد المتباينة والتي تتبدل وتتعدل وفق فقه وفهم وتفسير الأئمة للنصوص بحيث اختلفوا في معظم ما ذهبوا إليه في هذين الركنين أو فنقل هذين الموضوعين. وبادئ ذي بدئ فإنه في ضوء ما تقول المصادر الإمامية فإنهم :

يرون أن الزكاة واجبة على الكافر، ولكنها لا تصح منه إذا أداها لاشتراطهم الإيمان، بحسب أهوائهم في تعريفه. ويرون أن من حق إمامهم أو نائبه أن يأخذ الزكاة من الكافر قهراً^(١)، وإذا ما أخذت لا تعطى إلا للإمامي لأن مستحقها يجب أن يكون مؤمناً، والإيمان وقف على الأئمة من الإمامية وأتباعهم ولا مانع عندهم من دفعها إلى الفساق حتى مرتكبي الكبائر، وشاربي الخمر بعد كونهم فقراء من أهل الإيمان^(٢).

أما غير الإمامية فيجوز أن يأخذ -كما يأخذ الكفرة عادة- من سهم المؤلفه قلوبهم، وسهم سبيل الله في الجملة إذا كان هذا في مصلحة الإمامية^(٣).

ويرون أن غير المؤمن - أي غير الجعفري أو الإمامي - إذا أعطى زكاته أهل نحلته ثم استبصر - أي أصبح جعفرياً أو إمامياً - أعادها، ولو كان قد دفع الزكاة إلى المؤمن ثم استبصر أجزاء، ويرون أن الاحوط الإعادة أيضاً^(٤).

(١) أنظر مستمسك العروة ٩/٤٧ - ٤٨، ٣٧٧ للسيد محسن الطباطبائي طبعة النجف .

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٢٧٤ - ٢٧٥، ٢٨٣ - ٢٨٥ .

(٣) يقول السيد محسن الطباطبائي في المرجع السابق ص ٢٧٥ : " إذا كان الصرف على المخالف بملاحظة مصلحة المؤمن، لأنه في الحقيقة صرف على المؤمن لا على المخالف ... أما لو لم يكن كذلك فلا يجوز الصرف من السهم المذكور " .

(٤) أنظر نفس المرجع ٩/٢٧٩ - ٢٨٠ .

ويرون الزكاة يجب دفعها إلى الإمام إذا طلبها ، ويستحب دفعها إليه ابتداء،
ومع فقدّه إلى الفقيه المأمون من الجعفرية لأنه أبصر بمواقفها .

وحتى يحثوا الناس على دفعها للفقهاء قالوا: إذا قبضها برئت ذمة المالك ولو
تلفت .

وقالوا: يجوز دفع الزكاة إلى الحاكم الشرعي بعنوان لو كالة عن المالك
في الأداء، كما يجوز بعنوان الوكالة في الإيصال، ويجوز بعنوان أنه ولي عام
على الفقراء، وأثر القول بعصمة الإمام وولايته واضحة جلية في جمع المال
وتوجيهه^(١).

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ .

الخمس عند الإمامية

قليلة هي المصادر التي تتناول عقيدة الإمامية في تحصيل الخمس ومع ذلك نرى الحديث عن خمس الغنائم في كتاب الجهاد، ونرى في كتاب الزكاة الحديث عن خمس الركاز^(١)، وعن المعدن وما يجب فيه من خمس إلحاقاً بالركاز، أو مقدار الزكاة لمن لم يلحقه بالركاز. يقول الدكتور / علي أحمد السالوس في كتابه: " أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله " ^(٢) .

وفي الفقه الجعفري كتاباً كاملاً بعنوان الخمس ، وقد حظي بعناية غير عادية ، واعتبروه من الفرائض المهمة وقالوا: " من منع منه درهما - أو أقل - كان مندرجاً في الظالمين لهم (أي لآل البيت) والغاصبين لحقهم ، بل من كان مستحلاً لذلك كان من الكافرين، ففي الخبر عن أبي بصير، قال : قلت لأبي جعفر: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهما ونحوه الخ ^(٣) .

وتوسعوا فيما يجب فيه الخمس حتى جعلوه فيما يفضل عن مؤنة السنة من أرباح التجارات، ومن سائر التكتسبات من الصناعات والزراعات، والإيجارات، حتى الخياطة والكتابة والنجارة والصيد، وحياسة المباحات، وأجرة العبادات الاستثنائية من الحج والصوم والصلاة والزيارات، وتعليم الأطفال وغير ذلك من الأعمال التي لها أجرة، وجعلوا الأحوط ثبوته في مطلق الفائدة وإن لم تحصل بالإكتساب كالهبة والهدية والجائزة والمال الموصى به ونحوها، وجزم بعضهم بهذا ^(٤) .

(١) الركاز: هو ما أوجده الله تعالى في باطن الأرض من المعادن في حالتها الطبيعية ويطلق كذلك على الكنز، وعلى المال المدفون قبل الإسلام .

(٢) أنظر الكتاب صفحات ٣٩٠ - ٣٩٣ .

(٣) أنظر المستمسك ٤٤٢/٩ .

(٤) أنظر المرجع السابق ٥١٥/٩ - ٥٢٣ .

كما جعلوا الأحوط إخراج خمس رأس المال وقالوا : لا إشكال في أن رأس المال وما لا يعد للصرف ويدخر للقنية كالفرش ونفس الضيعة وأمثال ذلك - لا يحسب من المؤنة. ثم قالوا: وعلى هذا يتعين تقويمه في آخر السنة وإخراج خمس^(١)، بل قالوا: الأحوط إخراج الخمس في الآلات المحتاج إليها في الكسب مثل آلات النجارة للنجار وآلات النساجة للنساج، وآلات الزراعة للزارع، هكذا^(٢).

ومخرجوا الخمس الآن يعطونه فقهاءهم لينفق بمعرفتهم، ولا يخرج عن النطاق الإمامي الجعفري ما يخرج من أيد هؤلاء الفقهاء بعد الإنفاق على أنفسهم، ويتفاوت قدر هذا الإنفاق بقدر حاجة الفقهاء ومن ينفقون عليهم، وبقدر الإيمان أو النفاق والاستغلال وبقدر الخشية من الله تعالى أو الخشية من الناس^(٣). والجدير ذكره أنهم يتشددون في إيجابه فيجعلون منع الدرهم - أو أقل - ظلماً لآل البيت واغتصاباً لحقهم ويكفرون من يستحل ذلك .

وفيما يجب فيه الخمس يشترطون إذن أحد أئمتهم في القتال حتى يكون الواجب في الغنائم هو الخمس فقط. وأما إذا كان الغزو بغير إذن الإمام فإن كان في زمان الحضور، وإمكان الاستئذان منه، فالغنيمة للإمام، وإن كان في زمن الغيبة - أي غيبة إمامهم الثاني عشر كما يعتقدون - فالأحوط إخراج الخمس. ولذا يقولون بأن ما يأخذه السلاطين^(٤) في هذه الأزمنة من الكفار بالمقاتلة معهم - من المنقول وغيره - يجب فيه الخمس على الأحوط. ويقولون : إذا أغار المسلمون على الكفار فأخذوا أموالهم، أو أخذوها بالسرقة والغيلة، فالأحوط بل الأقوى إخراج خمسها إذا كان بإذن الإمام، وإلا فهي له وإن كان في زمن الغيبة .

(١) الطباطبائي نفس المرجع ص ٥٣٣ - ٥٣٥ .

(٢) المرجع السابق أيضاً ص ٥٣٩ .

(٣) أنظر: وجوب دفع الخمس للفقهاء زمن الغيبة" في كتاب النور الساطع (٤٣٩/١)، وفيه: أن الفقيه يأخذ نصف الخمس لنفسه ويقسم النصف الآخر منه على قدر الكفاية فإن فضل كان له، وإن أعوز أتمه من نصيبه.

ومن واقع الجعفرية في هذه الأيام نجد أن من أراد أن يحج فعليه أن يقوم كل ممتلكاته جميعاً ثم يدفع خمس قيمتها إلى الفقهاء الذين أفتوا بوجوب هذا الخمس، وعدم قبول حج من لم يدفع. (٤) على حد تعبيرهم، لأنه لا يوجد حاكم شرعي من وجهة نظرهم .

ويرون جواز أخذ مال الناصب أينما وجد، مع إخراج خمسة من باب الحيلة^(١).

وقد عرفنا تحديد الكافر والناصب عند الجعفرية وكيف أنه يشمل كثيراً من المسلمين إن لم يكن كل المسلمين عدا الشيعة، كما أنهم يرون كفر غير المسلمين، ومثل كفرهم كمثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى. ومعنى هذا أن كل الناس يباح للإمامية أخذ أموالهم بالإغارة أو بالسرق والغلبة^(٢).

وفي تقسيم الخمس قالوا:^(٣) يقسم ستة أسهم : سهم لله سبحانه وتعالى وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم وسهم للإمام الجعفري وهذه الثلاثة الآن لإمامهم الغائب الثاني عشر. والأسهم الثلاثة الأخرى للأيتام والمساكين وأبناء السبيل بشرط الإيمان - أي أن يكونوا من الإمامية أو الجعفرية، ولا يعتبر في المستحق العدالة، وهذا يذكرنا برأيهم في مستحق الزكاة .

وقالوا: النصف من الخمس الذي للإمام أمره في زمان الغيبة راجع إلى نائبه، وهو المجتهد الجامع للشرائط^(٤) فلا بد من الإيصال إليه أو الدفع إلى المستحقين بإذنه^(٥).

(١) راجع الأقوال السابقة في المستمسك ٤٤٢/٩ - ٤٥١ .

(٢) يقول الدكتور / علي السالوس : ماذا يريد علماء الجعفرية من إباحة السلب والنهب وهم المستفعون قبل غيرهم بالخمس؟ والذي يبيح هذا أيمن أن يكون ديناً سماوياً فضلاً عن أن يكون الإسلام العظيم ؟ وكيف ينسبون هذه المضلة لآل البيت الأطهار؟ وكيف يقولون بأن الإمام الصادق صح عنه أنه قال: "خذ مال الناصب حيثما وجدته، وانفع إلينا الخمس"، إننا نرفض أن يصور سيدنا جعفر الصادق في صورة زعيم عصابة تغير وتسرق ثم تتقاسم، أنظر : أثر الإمامة .

(٣) أنظر المستمسك ٥٦٧/٩ - ٥٨٥ .

(٤) أنظر شرائط المجتهد في المرجع السابق ج ١ ص ٤٠ وما بعدها وفي النور الساطع في الفقه النافع ج ١ ص ٧٨ وما بعدها وج ٢ ص ١٩٦ وما بعدها .

(٥) اختلف الجعفرية في هذا النصف: فمن ذهب إلى إباحته للشيعة مطلقاً، ومن ذهب إلى وجوب عزله وإيداعه والوصية به عند الموت ومن ذهب إلى وجوب دفنه لاعتقاده بأن الأرض تخرج كنوزها للإمام الثاني عشر عند ظهوره ومن ذهب إلى وجوب صرفه في المحتاجين من أهل البيت، إلى غير ذلك من الآراء (أنظر المستمسك ٥٧٨/٩ - ٥٨٠) .

أما النصف الآخر - الذي للأصناف الثلاثة - فيجوز للمالك دفعه إليهم بنفسه لكن الأحوط فيه أيضا الدفع إلى المجتهد أو بإذنه ^(١).

وبالنسبة للأئمة قالوا بأنها بعد الرسول ﷺ لأئمة الجعفرية زيادة على مالهم من سهم الخمس ^(٢).

(١) اختلفوا في هذا النصف أيضاً كوجوب دفعه إلى زمان ظهور إمامهم الأخير أو الوصية به أو غير ذلك ولكن المشهور بين المتأخرين منهم والمتقدمين وجوب قسمته على الأصناف الثلاثة (أنظر المرجع السابق ص ٥٨٥).

(٢) أنظر نفس المرجع السابق ص ٥٩٦ وما بعدها.

ويبقى أن نقول: أن الخمس الذي ينادي به الجعفرية لم يكن على عهد الرسول ﷺ، ومن المقطوع به أن أبا الأئمة علي بن أبي طالب لم يأخذه ولم يفرضه، ولا ندري من أين تسلمت هذه الفكرة إلى الفقه الجعفري؟

أدلة دفع الخمس عند الإمامية

جاء في كتاب : " أهل البيت عليهم السلام للأستاذ جعفر السبحاني ومن صفحات ١٦١-١٧٢ الأصل في ضريبة الخمس ، قوله سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(١) .

نزلت الآية يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان وهي غزوة بدر الكبرى، واختلف المفسرون في تفسير الموصول في "ما غنمتم" هل هو عام لكلما يفوز به الإنسان في حياته، كما عليه الشيعة الإمامية، أو خاص بما يظفر به في الحرب، وهذا بحث مهم لا نحوم حوله، لأنه خارج عما نحن بصدده .

إنما الكلام في تبين مواضع الخمس، وقد قسم الخمس في الآية إلى ستة أسهم، أعني: لله وللرسول ولذي القربى واليتامى و المساكين ولابن السبيل. ثم توسع السبحاني وقال: فالسهمان الأولان واضحان، إنما الكلام في السهم الثالث ومن بعده، فالمراد من ذي القربى هم أقرباء النبي وذلك بقريظة الرسول ﷺ وقد سبق منا القول في تفسير آية المودة: إن تبين المراد من القربى رهن القرائن الحافة بالآية فربما يراد منها أقرباء الناس، مثل قوله: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ^(٢) .

وعنده أن المراد أقرباء المخاطبين، بقريظة قوله: ﴿ قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا ﴾ نظير قوله: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٨] والمراد أقرباء الميت .

وعلى ضوء ذلك فإذا تقدم لفظ " الرسول " يكون المراد منه أقرباء الرسول كما في الآية ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ، ومثله قوله: ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ

(١) سورة الأنفال، الآية ٤١ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٢ .

أَهْلَ الْقُرْبَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ^(١) .
وقوله : ﴿ فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٢) . فالمراد من ذي
القربى هم أقرباء الرسول بقريظة توجه الخطاب إليه أعني " فآت " .

ومنه يعلم المراد من المساكين في الآيتين وآية الخمس، أي مساكين ذي
القربى وأيتامهم وأبناء سبيلهم. هذا هو المفهوم من الآية، وعلى ما ذكرنا فكلما
يفوز به الإنسان في مكسبه ومغنمه أو ما يفوز به في محاربة المشركين والكافرين،
يقسم خمسة بين ستة سهام كما عرفت .

ويؤيده الروايات التالية :

١- روي عن ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يقسم الخمس على ستة: لله وللرسول
سهمان وسهم لأقاربه، حتى قبض ^(٣) .

٢- وروي عن أبي العالية الرياحي: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة فيقسمها على
خمسة فتكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه
فيأخذ منه الذي قبض كفه، فيجعله للكعبة وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي، على
خمسة أسهم: فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم
للمساكين، وسهم لابن السبيل. قال: والذي جعله للكعبة فهو سهم الله ^(٤) .

وأما تخصيص بعض سهام الخمس بذي القربى ومن جاء بعدهم من اليتامى
والمساكين وابن السبيل، فلأجل الروايات الدالة على أنه لا تحل لهم الصدقة، فجعل
لهم خمس الخمس .

أخرج الطبري عن مجاهد، أنه قال : كان آل محمد ﷺ لا تحل لهم الصدقة
فجعل لهم الخمس ^(٥) .

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٢ .

(٢) سورة الروم، الآية ٣٨ .

(٣) تفسير النيسابوري ٤/١٠، المطبوع بهامش الطبري .

(٤) تفسير الطبري ٤/١٠، أحكام القرآن ٦٠/٣ .

(٥) الظاهر زيادة لفظ "خمس" بقريظة ما نقله ثانياً عن مجاهد .

وأخرج أيضاً عنه: قد علم الله أنفة بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة (١).

كما تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن السهام الأربعة من الخمس، لآل محمد ﷺ (٢). يقول الإمام السبحاني في كتابه أهل البيت عليهم السلام:

هذا ظاهر الآية ويا للأسف لعب الاجتهاد دورا كبيرا في تحويل الخمس عن أصحابه وظهرت أقوال لا توافق النص القرآني، وإليك مجملا من آرائهم :

١- قالت الشافعية والحنابلة: تقسم الغنيمة، وهي الخمس إلى خمسة أسهم: واحد منها سهم الرسول ويصرف على مصالح المسلمين ، وواحد يعطي لذوي القربى وهم من انتسب إلى هاشم بالأبوة من غير فرق بين الأغنياء والفقراء ، والثلاثة الباقية تنفق على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل سواء أكانوا من بني هاشم أو من غيرهم .

٢- وقالت الحنفية: إن سهم الرسول سقط بموته، أما ذوو القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون لفقيرهم لا لقرباتهم من الرسول .

٣- وقالت المالكية: يرجع أمر الخمس إلى الإمام يصرفه حسبما يراه من المصلحة.

٤- وقالت الإمامية : إن سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى يفوض أمرها إلى الإمام أو نائبه، يضعها في مصالح المسلمين، والأسهم الثلاثة الباقية تعطى لأيتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ولا يشاركون فيها غيرهم .

(١) تفسير الطبري ٥/١٠ .

(٢) الوسائل: ٦/ الباب ٢٩ من أبواب المستحقين للزكاة .

٥- وقال ابن قدامة في المغني بعد ما روى أن أبا بكر وعمر قسما الخمس على ثلاثة أسهم: وهو قول أصحاب الرأي أبي حنيفة وجماعته ، قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة: اليتامي، والمساكين، وابن السبيل ، وأسقطوا سهم رسول الله بموته وسهم قرابته أيضاً .

٦- وقال مالك: الفيء والخمس واحد يجعلان في بيت المال .

٧- وقال الثوري: والخمس يضعه الإمام حيث أراه الله عز وجل. يقول السبحاني الإمامي .

وما قاله أبو حنيفة مخالف لظاهر الآية فإن الله تعالى سمي لرسوله وقرابته شيئاً وجعل لهما في الخمس حقاً، كما سمي الثلاثة أصناف الباقيّة، فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، وأما جعل أبي بكر وعمر سهم ذي القربى، في سبيل الله، فقد ذكر لأحمد فسكت وحرك رأسه ولم يذهب إليه، و رأى أن قول ابن عباس ومن وافقه أولى، لموافقته كتاب الله وسنة رسوله ^(١).

وقد أجمع أهل القبلة كافة على أن رسول الله ﷺ كان يختص بسهم من الخمس ويخص أقاربه بسهم آخر منه، وأنه لم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتى دعاه الله إليه، واختار الله له الرفيق الأعلى. واستطرد الأستاذ جعفر السبحاني يقول : فلما ولي أبو بكر تناول الآية فأسقط سهم النبي وسهم ذي القربى بموت النبي ﷺ، وما منع بني هاشم من الخمس، وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم .

قال الزمخشري عن ابن عباس : الخمس على ستة أسهم: لله ولرسوله سهران، وسهم لأقاربه، حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء، قال: وروي أن أبا بكر منع بني هاشم الخمس ^(٢).

(١) الفقه على المذاهب الخمسة: ١٨٨ .

(٢) أنظر المغني والشرح الكبير، ج ١٠/٤٩٣-٤٩٤ .

وقد أرسلت فاطمة "عليها السلام"، تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرتة فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها^(١).

وفي صحيح مسلم عن بريد بن هرمز، قال: كتب نجدة بن عامر (الحروري الخارجي) إلى ابن عباس، قال ابن هرمز: فشهدت ابن عباس حين قرأ الكتاب وحين كتب جوابه، وقال ابن عباس: والله لولا أن أراد عن نثن يقع فيه، ما كتبت إليه ولا نعمة عين، قال: فكتب إليه إنك سألت عن سهم ذي القربى الذي ذكرهم الله من هم؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله ﷺ هم نحن فأبى ذلك علينا قومنا^(٢). وانتقل السبحاني إلى الحديث عن الفيء المنصوص عليه فيما يقوله عن أهل البيت فيقول الفيء عبارة عن الغنائم التي يحصل عليها المسلمون بلا خيل ولا ركاب، فإن هذه الأموال تقع تحت تصرف الرسول ﷺ باعتباره رئيساً للدولة الإسلامية، وكان الفيء في حياة الرسول ﷺ أمراً هاماً في تنمية الثروة في المجتمع الإسلامي ولا سيما انتقال الثروة من يد الأغنياء إلى يد الفقراء.

والأساس فيه قوله سبحانه ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

(١) صحيح البخاري ٣٦/٣ باب غزوة خيبر.

(٢) صحيح مسلم ١٠٥/٢، كتاب الجهاد و ١٦٧ السير، باب النساء الغزيات.

(٣) سورة الحشر، الآية ٦.

بين سبحانه أحكام الفيء، وقال ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ الضمير يرجع إلى اليهود، ولكن الحكم سار على جميع الكفار .

﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ أي الفيء عبارة عن الأموال التي استوليت عليها بلا إيجاب خيل ولا إيل ولم تسيروا إليها على خيل ولا إيل.

هذا هو الفيء، وأما المواضع التي يصرف بها هذا الفيء فقد بينها سبحانه في الآية الثانية ، وقال : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ، أي ما رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله إياهم ذلك، (فله) و (لرسول) و(لذي القربى)، فهو لله بالذات وللرسول ولذي القربى بتمليك الله إياه .

والمراد من ذي القربى بقرينة الرسول أهل بيت رسول الله وقرابته، وهم بنو هاشم .

﴿ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ أي منهم، بقرينة الرسول، فيكون المعنى ويتامى أهل بيته ومساكينهم وأهل السبيل منهم .

وعلى ذلك فالفيء يقسم على ستة أسهم :

١- سهم لله المالك لكل شيء غير محتاج لشيء، جعل نفسه قرينا لسائر الاسم تكريما السهام .

٢- سهم الرسول وهو يؤمن بذلك حاجاته وحاجة الدولة الإسلامية .

٣- سهم ذوي القربى أي أقرباء الرسول، أن الصدقة تحرم عليهم حل ذلك محله .

٤- سهم اليتامى .

وبكلمة موجزة "الغنيمة" - أخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقله إلى دار الإسلام، وما لا يمكن نقله إلى دار الإسلام- لجميع المسلمين ينظر فيه الإمام، ويصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح المسلمين .

"الفيء" - أخذ من الكفار بغير قتال أو انجلاء أهلها - للنبي، يضعه في المذكورين في هذه الآية، ولمن قام مقامه من الأئمة وقد بينه سبحانه في ضمن الآيتين .

وعند الإمامية كما ورد في مصادرهم: لا يمكن لباحث أن يهمل عقيدتهم في حقهم في الأنفال وهم كما يوضحون ويشرحون أنه وردت لفظة "الأنفال" في القرآن مرتين في آية واحدة، قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]. وفي ضوء هذه الآية فإنهم يرون أن الضرائب الواردة في القرآن الكريم لا تتجاوز الأربع :

- ١- الزكاة ومقسمها ثمانية .
- ٢- الخمس ومقسمه هو الستة .
- ٣- الفيء ومقسمه مقسم الخمس كما عرفت .
- ٤- الأنفال ومقسمها اثنان ، وهما ما ذكر في الآية من قوله: (لِلَّهِ وَالرُّسُولِ)، لكنهم وفي ضوء ما يؤمنون اختلفوا كثيراً في تفسير الأنفال اختلافاً كثيراً، والذي يمكن أن يفهم في ضوء ما يقوله جعفر السبحاني أن الأنفال من النفل وهو الزائد من الأموال، فيشمل كل زائد عن حاجات الحياة. ويستدرك السبحاني ويتوسع في هذا الباب فيقول:

ولكن السنة المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فسرتة بالنحو التالي :

- ١ - روى حفص البخترى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : " الأنفال ما لم يوجف عليه بخیل أو ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكل أرض خربة، وبطون الأودية، فهو لرسول الله، وهو للإمام بعده يضعه حيث يشاء" (١) .

(١) وعلى هذا يكون الفيء قسماً من الأنفال .

٢ - وروى حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في حديث : " هو الأنفال كالأرض خربة باد أهلها، وكالأرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولكن صالحوا صلحاً وأعطوا بأيديهم على غير قتال، وله رؤوس الجبال بطون الأودية والأجام وكل أرض ميتة لا رب لها، وله صوافي الملوك ما كان في أيديهم من غير وجه الغصب، لأن الغصب كله مردود، وهو وارث من لا وارث له، يعول من لا حيلة له " (١) .

٣ - موثقة إسحاق بن عمار المروية في تفسير القمي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الأنفال، فقال (عليه السلام) : " هي القرى التي خربت وانجلى أهلها، فهي لله وللرسول ﷺ، وما كان للملوك فهو للإمام، وما كان من الأرض الخربة لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكالأرض لا رب لها، والمعادن منها، من مات وليس له مولى فماله من الأنفال " (٢) .
إلى غير ذلك من الروايات .

وعلى الرواية الأولى يكون الفيء من أقسام الأنفال، ولم نجد في تفاسير أهل السنة من يوافق الشيعة الإمامية في تفسير الأنفال .

الخمس في الكتاب والسنة

الأصل في ضريبة الخمس هو قوله سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١] .

لا شك أن الآية نزلت في مورد خاص، أعني يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان وهو غزوة بدر الكبرى، لكن الكلام في أن قوله (ما غنمتم) هل هو عام لكل ما يفوز به الإنسان في حياته أو خاص بما يظفر به في الحرب من السلب والنهب.

(١) وسائل الشيعة: ٦، الباب الأول من أبواب الأنفال، الحديث ١، ٤، ٢٠ .

(٢) وسائل الشيعة: ٦، الباب الأول من أبواب الأنفال، الحديث ١، ٤، ٢٠ .

وعلى فرض كونه عاماً فهل المورد مخصص أولاً ؟ .

فيقع الكلام في مقامين :

الأول : الغنيمة مطلق ما يفوز به الإنسان :

أما الأول فالظاهر من أئمة اللغة أنه في الأصل أعم مما يظفر به الإنسان في ساحات الحرب، بل هو لغة لكل ما يفوز به الإنسان وإليك بعض كلماتهم .

١- قال الأزهري : " قال الليث : الغنم : الفوز بالشيء والاغتنام انتهاز الغنم".

٢- قال الراغب : الغنم معروف والغنم : إصابته والظفر به، ثم أستعمل في كل مظفور به من جهة العدو وغيرهم قال ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنفال: ٤١] ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ [الأنفال: ٦٩] والمغنم : ما يغنم وجمعه مغنم، قال : ﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴾ [النساء: ٩٤] .

٣- قال ابن فارس : (غنم) أصل صحيح واحد يدل على إفادة شيء لم يملك من قبل ثم يختص بما أخذ من المشركين .

٤- قال ابن منظور (الغنم) الفوز بالشيء من غير مشقة .

٥- قال ابن الأثير : في الحديث : (الرهن لمن رهنه، له غنمه وعليه غرمه، غنمه : زيادته ونماؤه وفاضل قيمته) .

٦- قال الفيروز آبادي : (الغنم) الفوز بالشيء لا بمشقة، وأغنمه كذا تغنيماً نفعه إياه، واغتنمه وتغنمه، عده غنيمة .

وهذه النصوص تعرب عن أن المادة لم توضع لما يفوز به الإنسان في الحروب، بل معناها أوسع من ذلك وأن كان لا يستعمل في العصور المتأخرة عن نزول القرآن إلا في ما يظفر به في ساحة الحرب .

ولأجل ذلك نجد أن المادة استعملت في مطلق ما يفوز به الإنسان في الذكر الحكيم والسنة النبوية .

لقد أستعمل القرآن الكريم لفظه (المغنم) فيما يفوز به الإنسان وإن لم يكن عن طريق القتال بل كان عن طريق العمل المادي الدنيوي أو الأخروي إذ يقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِذَ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ [النساء: ٩٤] .

والمراد بالمغانم الكثيرة : هو أجر الآخرة، بدليل مقابلته لعرض الحياة الدنيا فيدل على أن لفظ المغنم لا يختص بالأمور والأشياء التي يحصل عليها الإنسان في هذه الدنيا وفي ساحات الحرب فقط، بل هو عام لكل مكسب وفائدة . ثم أنه قد وردت هذه اللفظة في الأحاديث وأريد منها مطلق الفائدة الحاصلة للمرء .

روى ابن ماجة في سننه : أنه جاء عن رسول الله ﷺ : (اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرمًا) .

وفي مسند أحمد عن رسول الله ﷺ : (غنيمة مجالس الذكر الجنة) .

وفي وصف شهر رمضان عنه ﷺ : (غنم للمؤمن) .

وفي نهاية ابن الأثير: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة، سماه غنيمة لما فيه من الأجر والثواب .

فقد بان مما نقلناه من كلمات أئمة اللغة وموارد استعمال تلك المادة في الكتاب والسنة، أن العرب تستعملها في كل مورد يفوز به الإنسان، من جهة العدو وغيرهم، وإنما صار حقيقة متشعبة في الإعصار المتأخرة في خصوص ما يفوز به الإنسان في ساحة الحرب، ونزلت الآية في أول حرب خاضها المسلمون تحت لواء رسول الله، ولم يكن الاستعمال إلا تطبيقاً للمعنى الكلي على مورد خاص .

الثاني : المورد غير مخصص :

إذا كان مفهوم اللفظ عاماً يشمل كافة ما يفوز به الإنسان، فلا يكون وروده في مورد خاص، مخصصاً لمفهومه ومضيقاً لعمومه، إذا وقفنا على أن التشريع

الإسلامي فرض الخمس في الركاز والكنز والسيوب أولاً، وأرباح المكاسب ثانياً، فيكون ذلك التشريع مؤكداً لإطلاق الآية، ولا يكون وروده في الغنائم الحربية رافعاً له، وإليك ما ورد في السنة من الروايات في الموردين :

١- الخمس في الركاز والكنز والسيوب :

تضافرت الروايات عن النبي الأعظم على وجوب الخمس في الركاز والكنز والسيوب وإليك النصوص، أولاً ثم تبين مفادها ثانياً .

روى لفيف من الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وجابر وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك، وجوب الخمس في الركاز والكنز والسيوب، وإليك قسماً مما روى في ذلك المجال :

١- في مسند أحمد وسنن ابن ماجه واللفظ للأول: عن ابن عباس قال : قضى رسول الله ﷺ في الركاز الخمس .

٢- وفي صحيح مسلم والبخاري واللفظ للأول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (العجماء جرحها جبار، وفي الركاز الخمس) وفي بعض الروايات عند أحمد : البهيمة عقلها جبار .

قال أبو يوسف في كتاب الخراج :كان أهل الجاهلية إذا عطب الرجل في قليب جعلوا القليب عقلة ، وإذا قتلته دابة جعلوها عقلة، وإذا قتلته معدن جعلوه عقلة. فسأل سائل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: (العجماء جبار، والمعدن جبار، والبئر جبار، وفي الركاز خمس) فقل له: ما الركاز يا رسول الله؟ فقال: (الذهب والفضة الذي خلقه الله في الأرض يوم خلقت) .

٣- وفي مسند أحمد : عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (السائمة جبار، والجرب جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس) قال الشعبي: الركاز: الكنز العادي .

٤- وفيه أيضاً: عن عبادة بن الصامت قال: من قضاء رسول الله ﷺ: أن المعدن جبار، والبئر جبار، والعجماء جرحها جبار، والعجماء البهيمة من الأنعام وغيرها ، والجبار هو الهدر الذي لا يغرم، وقضى في الركاز الخمس.

٥- وفيه: عن أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فدخل صاحب لنا إلى خربة يقضي حاجته فتناول لبنة ليستطيب بها فأنهارت عليه نبراً، فأخذها فأتى بها النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: (زنها) فوزنها فإذا مائتا درهم فقال النبي: (هذا ركاز وفيه الخمس).

٦- وفيه: أن رجلاً من مزينة سأل رسول الله ﷺ مسائل جاء فيها: فالكنز نجده في الخرب وفي الآرام؟ فقال رسول الله ﷺ: (فيه وفي الركاز الخمس).

٧- وفي نهاية اللغة و لسان العرب وتاج العروس في مادة (سيب) واللفظ للأول: وفي كتابه-أي كتاب رسول الله- لوائل بن حجر: (فيه وفي الركاز الخمس) السيوب: الركاز .

قالوا :

(السيوب: عروق من الذهب والفضة تسبب في المعدن ، أي تتكون فيه وتظهر .. والسيوب: جمع سيب، يريد به - أي يريد النبي بالسيب - المال المدفون في الجاهلية، أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه).

تفسير ألفاظ الأحاديث :

العجماء : الدابة المنفلتة من صاحبها، فما أصابت في انفلاتها فلا غرم على صاحبها، والمعدن جبار يعني: إذا احتقر الرجل معدنا فوقع فيه إنسان فلا غرم عليه، وكذلك البئر إذا احتقرها الرجل للسبيل فوقع فيها إنسان فلا غرم على صاحبها، وفي الركاز الخمس، والركاز: ما وجد من دفن أهل الجاهلية فمن وجد ركازاً أدى منه الخمس إلى السلطان وما بقي له.

والآرام: الأعلام وهي حجارة تجمع وتتصب في المفازة يهتدى بها، وأحدها ارم، كعنب، وكان من عادة الجاهلية أنهم إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه، تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه.

وفي لسان العرب وغيره من معاجم اللغة: ركزه يركزه ركزاً: إذا دفنه. والركاز: قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن، واحده الركزة كأنه ركز في الأرض.

وفي نهاية اللغة: والركزة: القطعة من جواهر الأرض المركوزة فيها وجمع الركزة الركاز .

إن هذه الروايات تعرب عن كون وجوب الخمس في الكنز والمعادن ضريبة غير الزكاة، وقد أستند إليها أستاذ الفقهاء أبو يوسف في كتابه (الخراج) وإليك نصه:

كلام أبي يوسف في المعدن والركاز :

قال أبو يوسف : في كل ما أصيب من المعادن من قليل أو كثير الخمس، ولو أن رجلاً أصاب في معدن أقل من وزن مائتي درهم فضة أو أقل من وزن عشرين مثقالاً ذهباً فإن فيه الخمس، وليس هذا على موضع الزكاة إنما هو على موضع الغنائم (٢٣) وليس في تراب ذلك شيء إنما الخمس في الذهب الخالص والفضة الخالصة والحديد والنحاس والرصاص، ولا يحسب لمن استخرج ذلك من نفقته عليه شيء، وقد تكون النفقة تستغرق ذلك كله فلا يجب إذن فيه خمس عليه، وفيه الخمس حين يفرغ من تصفيته قليلاً كان أو كثيراً، ولا يحسب له من نفقته شيء من ذلك وما استخرج من المعادن سوى ذلك من الحجارة-مثل الياقوت والفيروز والكحل والزئبق والكبريت والمغرة-فلا خمس في شيء (٢٤) من ذلك إنما ذلك كله بمنزلة الطين والتراب .

قال : ولو أن الذي أصاب شيئاً من الذهب أو الفضة أو الحديد أو الرصاص أو النحاس، كان عليه دين فادح لم يبطل ذلك الخمس عنه ، ألا ترى لو أن جنداً من الأجناد أصابوا غنيمة من أهل الحرب خمست ولم ينظر أعليهم دين أم لا، ولو كان عليهم دين لم يمنع ذلك من الخمس .

قال: وأما الركاز فهو الذهب والفضة الذي خلقه الله عز وجل في الأرض يوم خلقت ، فيه أيضاً الخمس ، فمن أصاب كنزاً عادياً في غير ملك أحد فيه ذهب أو فضة أو جواهر أو ثياب - فإن في ذلك الخمس وأربعة أخماس للذي أصابه وهو بمنزلة .

وفي ضوء ما تقوله الإمامية مما ورد عند الشيخ السبحاني من الروايات أن النبي الأكرم أمر بإخراج الخمس من مطلق ما يغنمه الإنسان من أرباح المكاسب وغيرها وإليك بعض ما ورد في المقام :

١- لما وفد عبدالقيس لرسول الله ﷺ فقالوا: (إن بيننا وبينك المشركين وإنا لا نصل إليك إلا في الأشهر الحرم فمرنا بجمل الأمر، إن عملنا به دخلنا الجنة وندعوا إليه من ورائنا) فقال: (أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، أمركم بالإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان، شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتعطوا الخمس من المغنم).

ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يطلب من بني عبد القيس أن يدفعوا غنائم الحرب كيف وهم لا يستطيعون الخروج من حيزهم في غير الأشهر الحرم، خوفا من المشركين، فيكون قد قصد المغنم بمعناه الحقيقي في لغة العرب وهو ما يفوزون به فعليهم أن يعطوا خمس ما يربحون . يقول الإمام السبحاني في كتابه أهل البيت :

وهناك كتب ومواثيق، كتبها النبي وفرض فيها الخمس على أصحابها وستبين بعد الفراغ من نقلها دلالتها على الخمس في الأرباح، وإن لم تكن غنيمة حربية فانتظر .

٢- كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن : (بسم الله الرحمن الرحيم... هذا ... عهد من النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره يستقوى الله في أمره كله، وأن يأخذ من المغنم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البغل وسقت السماء، ونصف العشر مما سقى الغرب) .

والبعل ما سقى بعروقه، والغرب : الدلو العظيمة.

٣- كتب إلى شرحبيل بن عبد كلال والحرث بن عبد كلال قيل ذي رعين، ومعاقر همدان: (أما بعد ، فقد رجع رسولكم وأعطيتكم من المغنم خمس الله).

٤- كتب إلى سعد هذيم من قصاعة، وإلى جزام كتابا واحدا يعلمهم فرائض الصدقة، ويأمرهم أن يدفعوا الصدقة والخمس إلى رسولي أبي وعنيسة أو من أرسلاه.

٥- كتب للفجيع ومن تبعه: (من محمد النبي للفجيع، ومن تبعه وأسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم خمس الله ...) .

٦- كتب لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه: (ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغنم خمس الله وسهم النبي وفارقوا المشركين فإن لهم ذمة الله وذمة محمد بن عبد الله).

٧- كتب لجهينة بن زيد فيما كتب: (إن لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها على أن تؤدوا الخمس).

٨- كتب لملوك حمير فيما كتب: (وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغنم: خمس الله وسهم النبي وصفية وما كتب الله على المؤمنين من الصدقة).

٩- كتب لبني ثعلبة بن عامر: (من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأعطى خمس المغنم وسهم النبي والصفية).

١٠- كتب إلى بعض أفخاذ جهينة: (من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم الخمس) .

إيضاح الاستدلال بهذه المكاتيب :

يقول الإمام السبحاني : يتبين - بجملة - من هذه الرسائل أن النبي ﷺ لم يكن يطلب منهم أن يدفعوا خمس غنائم الحرب التي اشتركوا فيها، بل كان يطلب ما استحق في أموالهم من خمس وصدقة .

ثم إنه كلن يطلب منهم الخمس دون أن يشترط في ذلك - خوض الحرب واكتساب الغنائم . ثم يسترسل ويتوسع ويقول في كتابه " أهل البيت " :

هذا مضافاً إلى أن الحاكم الإسلامي أو نائبه هما اللذان يليان بعد الفتح قبض جميع غنائم الحرب وتقسيمها بعد استخراج الخمس منها، ولا يملك أحد من الغزاة عدا سلب القتل شيئاً مما سلب وإلا كان سارقاً مغلاً .

فإذا كان إعلان الحرب وإخراج خمس الغنائم على عهد النبي ﷺ من شؤون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فماذا يعني طلبه الخمس من الناس وتأكيده في كتاب بعد كتاب وفي عهد بعد عهد ؟.

فيتبين أن ما كان يطلبه لم يكن مرتبطاً بغنائم الحرب. هذا مضافاً إلى أنه لا يمكن أن يقال : إن المراد بالغنيمة في هذه الرسائل هو ما كان يحصل الناس عليه في الجاهلية عن طريق النهب، كيف وقد نهى النبي ﷺ عن النهب والنهبي بشدة، ففي كتاب الفتن باب النهي عن النهبة عنه ﷺ: (من انتهب نهبة فليس منا)، وقال: (إن النهبة لا تحل)، وفي صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبادة بن الصامت : بايعنا النبي ﷺ على أن لا ننهب.

وفي سنن أبي داود، باب النهي عن النهبي، عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد، وأصابوا غنماً فإنتهبوها، فإن قدورنا لتغلي، إذ جاء رسول الله ﷺ يمشي متكئاً على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال: (إن النهبة ليس بأحل من الميتة).

وعن عبد الله بن زيد: نهى النبي ﷺ عن النهبي والمثلة.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في كتاب الجهاد .

فإذا لم يكن النهب مسموحاً به في الدين، وإذا لم تكن الحروب التي يقوم بها أحد بغير إذن النبي ﷺ جائزة، لم تكن الغنيمة في هذه الوثائق تعني دائماً ما يؤخذ في القتال، بل كان معنى الغنيمة الواردة فيها هو ما يفوز به الناس من غير طريق القتال بل من طريق الكسب وما شابهه، ولا محيص حينئذ من أن يقال: إن المراد بالخمس الذي كان يطلبه النبي ﷺ هو خمس أرباح الكسب والفوائد الحاصلة للإنسان من غير طريق القتال أو النهب الممنوع في الدين .

وعلى الجملة: أن الغنائم المطلوب في هذه الرسائل النبوية أداء خمسها إما أن يراد ما يستولى عليه أحد من طريق النهب والإغارة، أو ما يستولى عليه من طريق محاربة بصورة الجهاد، أو ما يستولى من طريق الكسب والكد .

والأول ممنوع بنص الأحاديث السابقة فلا معنى أن يطلب النبي ﷺ خمس النهبية.

والثاني يكون أمر الغنائم فيه بيد النبي ﷺ مباشرة فهو الذي يأخذ كل الغنائم ويضرب لكل من الفارس والراجل ماله من الأسهم بعد أن يستخرج الخمس بنفسه

من تلك الغنائم، فلا معنى لأن يطلبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغزاة، فيكون الثالث هو المتعين .

وورد عن أئمة أهل البيت - عليهم السلام - ما يدل على ذلك، فقد كتب أحد الشيعة إلى الإمام الجواد - عليه السلام - قائلاً: أخبرني عن الخمس أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الصناعات وكيف ذلك؟ . فكتب - عليه السلام - بخطه: الخمس بعد المؤنة.

وفي هذه الإجابة القصيرة يظهر تأييد الإمام - عليه السلام - لما ذهب إليه السائل، ويتضمن ذكر الكيفية التي يجب أن تراعى في أداء الخمس .

وعن سماعة قال: سألت أبا الحسن (الكاظم) - عليه السلام - عن الخمس؟ فقال: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير .

وعن أبي علي بن راشد (وهو من وكلاء الإمام الجواد والإمام الهادي - عليهما السلام) قال: قلت له (أي الإمام المنتظر): أمرتني بالقيام بأمرك وأخذ حقاك، فأعلمت مواليك بذلك فقال لي بعضهم: وأي شيء حقه؟ فلم أدر ما أجيبه؟ فقال: يجب عليهم الخمس، فقلت: وفي أي شيء؟ فقال: في أمتعتهم وصنائعهم، قلت: والتاجر عليه، والصانع بيده؟ فقال: إذا أمكنهم بعد مؤنتهم .

إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار المروية عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين - عليهم السلام - التي تدل على شمول الخمس لكل مكسب .

ثم ينتقل الإمام السبحاني في كتابه " أهل البيت " إلى مواضع الخمس في كتاب الله كما يؤمن الإمامية فيقول :

يقسم الخمس حسب تنصيب الآية على ستة أسهم، فيفرق على مواضعها الواردة في الآية، قال سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١] غير أنه يطيب لي تعيين المراد من ذي القربى .

إن ﴿ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ بمعنى صاحب القرابة والوشيجة النسبية، ويتعين فردة، بتعيين المنسوب إليه، وهو يختلف حسب اختلاف مورد الاستعمال، ويستعان في

تعيينه بالقرائن الموجودة في الكلام وهي: الأشخاص المذكورون في الآية، وأما ما دل عليها سياق الكلام .

قال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣] والمراد أقرباء المذكورين في الآية أي النبي والمؤمنين . وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، والمراد أقرباء المخاطبين في الآية بقوله: ﴿ قُلْتُمْ ﴾ و ﴿ فَاعْدِلُوا ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٨] والمراد أقرباء من يقسم ماله أعني الميت .

وعلى ضوء ذلك فالمراد منه في آية الخمس، أقرباء الرسول، المذكورين قبل هذه الكلمة، قال سبحانه: ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الأنفال: ٤١] .

ومثلها قوله سبحانه: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الحشر: ٧] وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] . وذلك بقريضة ذكر الرسول قبله في الآية الثانية وكون المتكلم هو الرسول في الآية الثالثة لأعني قوله: ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ ﴾ .

وبذلك يظهر حال (اليتم والمساكين) أي يتامى أقرباء الرسول ومساكينهم وأبناء سبيلهم وهذا هو المفهوم من الآية . وينتقل الإمام السبحاني إلى مواضع الخمس في السنة كما يؤمن الإمامية فيقول :

وأما السنة فهي أيضا تدعم ما هو مفاد الآية :

روى عن ابن عباس: (كان رسول الله ﷺ يقسم الخمس ستة: لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض) .

وروي عن أبي العالية الرياحي: كان رسول الله ﷺ يوتي بالغنيمة فيقسمها على خمسة فتكون أربعة أخماس لمن شهداها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه

فيأخذ منه الذي قبض كفه، فيجعله للكعبة وهو سهم الله، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبن السبيل. قال: والذي جعله للكعبة فهو سهم الله .

ولعل جعله للكعبة كان لتجسيد السهام وتفكيكها وربما خالفه كما روى عطاء بن أبي رباح قال: (خمس الله، وخمس رسوله واحد، وكان رسول الله ﷺ يحمل منه ويعطي منه ويطعه حيث شاء ويصنع به ما شاء) .

والمراد من كون سهمهما وحدا كون أمره بيده ﷺ بخلاف الأسهم الأخرى فإن مواضعها معينة .

وبذلك يظهر المراد مما رواه الطبري: (كان نبي الله إذا اغتتم غنيمة جعلت أخماسا، فكان خمس لله ولرسوله، ويقسم المسلمون ما بقي (الأخماس الأربعة) وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله، لرسوله، ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ولرسوله).

فالظاهر أن المراد كان أمر السهمين بيد الرسول ولذا جعلهما سهماً واحداً بخلاف السهام الأخرى، وإلا فالخبر مخالف لتنصيب القرآن الكريم .

وأما تخصيص بعض سهام الخمس بذوي القربى ومن جاء بعدهم من اليتامى والمساكين وابن السبيل، فلأجل الروايات الدالة على أنه لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس. روى الطبري: كان آل محمد ﷺ لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس، وقال: قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة. كما تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت أن السهام الأربعة من الخمس لآل محمد ﷺ. يقول السبحاني :

هذا ما يستفاد من الكتاب والسنة غير أن الاجتهاد لعب دورا كبيرا في تحويل الخمس عن أصحابه وإليك ما ذهب إليه المذاهب الأربعة :

(قالت الشافعية والحنابلة: تقسم الغنيمة، وهي الخمس، إلى خمسة أسهم، واحد منها سهم الرسول، ويصرف على مصالح المسلمين، وواحد يعطى لذوي القربى، وهم من أنتسب على هاشم بالأبوة من غير فرق بين الأغنياء والفقراء، والثلاثة

الباقية تنفق على اليتامى والمساكين وابن السبيل سواء أكانوا من بني هاشم أو من غيرهم .

وقالت الحنفية: إن سهم الرسول سقط بموته، أما ذوو القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون لفقرهم لا لقرباتهم من الرسول .

وقالت المالكية: يرجع أمر الخمس إلى الإمام يصرفه حسبما يراه من المصلحة.

وقالت الإمامية : إن سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى يفوض أمرها إلى الإمام أو نائبه، يضعها في مصالح المسلمين. والأسهم الثلاثة الباقية تعطى لأيتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ، ولا يشاركون فيها غيرهم) .

وقال ابن قدامة في المغني، بعد ما روى أن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - قسما الخمس على ثلاثة أسهم: (وهو قول أصحاب الرأي - أبي حنيفة وجماعته - قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة : اليتامى والمساكين وابن السبيل، وأسقطوا سهم رسول الله بموته، وسهم قرابته أيضاً) .

وقال مالك : الفيء والخمس واحد يجعلان في بيت المال .

وقال الثوري: والخمس يضعه الإمام حيث آراه الله عز وجل .

وما قاله أبو حنيفة مخالف لظاهر الآية، فإن الله تعالى سمى لرسوله وقرابته شيئاً وجعل لهما في الخمس حقاً كما سمى الثلاثة الأصناف لباقية، فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، وأما جعل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - سهم ذي القربى في سبيل الله، فقد ذكر لأحمد فسكت وحرك رأسه ولم يذهب إليه، ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقه أولى، لموافقته كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

الاجتهاد تجاه النص :

يقول الإمام السبحاني وهو من رموز الأئمة في كتابه " أهل البيت " : ثم إن الخلفاء بعد النبي الأكرم اجتهدوا تجاه النص في موارد منها: إسقاط سهم ذي القربى من الخمس، وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل لهم سهماً، افترض أدائه نصاً في الذكر الحكيم والفرقان العظيم يتلوه المسلمون أثناء الليل وأطراف النهار، وهو

قوله عز من قائل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١] .

وقد أجمع أهل القبلة كافة على أن رسول الله ﷺ كان يختص بسهم من الخمس ويخص أقاربه بسهم آخر منه، وأنه لم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتى دعاه الله إليه، واختار الله له الرفيق الأعلى .

فلما ولي أبو بكر - رضي الله عنه - تأول الآية فأسقط سهم النبي وسهم ذي القربى بموت النبي ﷺ ومنع بني هاشم من الخمس، وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم .

قال الزمخشري : وعن ابن عباس : الخمس على ستة أسهم : لله ولرسوله، سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض أبو بكر الخمس على ثلاثة، وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء قال: وروى أن أبا بكر منع بني هاشم الخمس.

وقد أرسلت فاطمة - عليها السلام - (تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلى عليها) الحديث.

وفي صحيح مسلم عن يزيد بن هرمز قال: كتب نجدة بن عامر الحروري الخارجي إلى ابن عباس قال ابن هرمز : فشهدت ابن عباس حين قرأ الكتاب وحين كتب جوابه وقال ابن عباس: والله لولا أن أراده عن نتن يقع فيه ما كتبت إليه، ولا نعمة عين، قال: فكتب إليه : إنك سألتني عن سهم ذي القربى الذين ذكرهم الله من هم؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله ﷺ هم نحن فأبى ذلك علينا قومنا، الحديث.

وأخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس في أواخر ص ٢٩٤ من الجزء الأول من مسنده .

ورواه كثير من أصحاب المسانيد بطرق كلها صحيحة، وهذا هو مذهب أهل البيت المتواتر عن أئمتهم - عليهم السلام - .

لكن الكثير من أئمة الجمهور أخذوا برأي الخيفتين - رضي الله عنهما - فلم يجعلوا لذي القربى نصيباً من الخمس خاصة بهم .

فأما مالك بن أنس فقد جعله بأجمعه مفوضاً إلى رأي الإمام يجعله حيث يشاء في مصالح المسلمين، لا حق فيه لذي قربى ولا يتيم ولا لمساكين ولا لابن سبيل مطلقاً .

وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد أسقطوا بعد النبي ﷺ سهمه وسهم ذي قرباه، وقسموه بين مطلق اليتامى والمساكين وابن السبيل على السواء لا فرق عندهم بين الهاشميين وغيرهم من المسلمين .

والشافعي جعله خمسة أسهم: سهماً لرسول الله ﷺ يصرف إلى ما كان يصرف إليه من مصالح المسلمين الغزاة من الخيل والسلاح والكراع ونحو ذلك، وسهما لذوي القربى من بني هاشم وبني المطلب دون عبد الشمس وبني نوفل يقسم بينهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] ولباقى الفرق الثلاث اليتامى والمساكين وابن السبيل مطلقاً. وبعد هذا العرض للمعتقد الإمامي في (الخمس) علق الإمام السبحاني بقوله :

إلى هنا خرجنا بنتيجتين :

١- وجوب الخمس في كل ما يفوز به الإنسان، وأنه لا يختص بالغنائم الحربية.

٢- إن الخمس يقسم على ستة أسهم الثلاثة الأولى، أمرها بيد الإمام يتولاها حسب ما رأى من المصلحة، والثلاثة الأخرى، للأيتام والمساكين وأبناء السبيل من آل النبي الكريم لا مطلقهم .

تم بحمد الله وتوفيقه ..

الأصول العقدية للإمامية

دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة

هذا الكتاب (الأصول العقدية للإمامية) محاولة لمساندة ودعم مواقف دعاة التصحيح من علماء المذهب الذين خرجوا على الغلو فيه واستنهاض همم مخالفيهم من سدنة المذهب ودعائه وأئمة وذلك من خلال عرض مقالات المذهب وعقائده من المصادر القديمة والحديثة لأئمتهم الذين يجلونهم وينظرون إليهم كمراجع بعين الاعتبار والتقدير.

وفى إيجاز تناولنا التاريخ السياسى لإيران كشعب متعدد الانتماءات خاصة حين قامت الدولة الصفوية ذات الانتماء السياسى للمذهب ثم قبل أن نعرض لأهم العقائد الإمامية تناولنا ظهور الخمينية كتيار انبعاثى للمذهب وقواعده فى إطار ثورى ، وكان مما لا بد منه بيان التأثير والتأثير الذى شاب عقائد الإمامية من الأمم والعقائد القديمة كاليهودية التى أسهمت فى تغذية بعض المقالات الإمامية كالقول بالتشبيه والتجسيم ، والبداء ، والرجعة والوصى والولى ونكاح المتعة ذات الأثر الأجنبى بعد نسخها فى الإسلام ولما كان أئمة المذهب والمراجع العظمى لعقائده من أمثال الشيخ الكلينى ، والقمى ، والطبرسى ، والمفيد ،

ومحمد رضا المظفر ، والنوبختى ، والنعمانى ، ونعمة الجز والكاشانى وغيرهم كثير قد تناولوا من عقائد المذهب وتفسيره و أحكامه بالتأويل والوضع والاقتباس مقالات سندها ومتنها مض ومتناقض مما يخالف ما عليه جمهور أئمة الإسلام من فهم وفقه الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد تناولنا مع بالعرض والنقد وبيان وجه الفساد فيها .

... من المة

